ألبير حبيب مُطلق

الحركة اللغوية في الأندلس

منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف

المكتبة العصرية، صيدا - بيروت

ألبير حبيب مُطلَق

الحركة اللغوية في الأندلس

منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف

المكتبة العصرية، صيدا - بيروت

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

١٩٦٧

الى والديّ والى اخوتي ادوار وروبير ورفيق

تمهيد

يعالج هذا الكتاب تاريخ الحركة اللغوية في الاندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف (٩٢ ــ حوالي ٧١١/٥٠٠ ــ حوالي ١١٠٦). وهي فترة طويلة من الزمن استطاعت الاندلس خلالها ان تشارك في النهضة اللغوية ، وأن يكون لها نصيب واضح في الجهود العلمية عامة . فبرز من علمائها جماعة ممن وقفت مؤلفاتهم على قدم المساواة مع المؤلفات المشرقية ، ومن هؤلاء الزبيدي وابن القوطية وابن سيده وآخرون ممن وقفت عندهم وعينت لهم أمكنتهم في تاريخنا اللغوي . وطبيعي أن هذه القمم قد سبقتها محاولات كثيرة درجت بها الاندلس من طور التكون والبناء الذي استمر حتى نهاية القرن الثالث الهجري الى طور الشباب والنضج في القرن الرابع ثم أخيرا طور الكهولة في القرن الخامس .

وتعد نهاية هذه الفترة معلما سياسيا وثقافيا فارقا في حياة الاندلس ، ذلك ان سيادة الاندلسيين انفسهم قد تضاءلت عندما انتهت هذه الفترة واصبحت الاندلس ولاية تابعة للعدوة المغربية ــ ان صح التعبير ــ واصبحت الكوارث التي تحل بالاندلس تباعا شاغلة عن التفرغ الذي يهيىء للانتاج الأصيل . وليس في هذا انكار للاسهامات الاندلسية بعد هذه الفترة ، ولكنه سبب وجيه حدا بي الى ايثار هذه الوقفة عند نهاية العصر الذي يدعى في التاريخ الاندلسي « عصر ملوك الطوائف » .

والحيـــاة اللغوية في الاندلس بعد هـــذه الفترة تمثـــل فصلا جديدا بخصائصه ــ قوية كانت او ضعيفة ــ وربما تمكنت في المستقبل من رصد هذه الحركة حتى نهاية الحكم العربي في تلك البلاد . فهي على الرغم مما دهم الاندلس قد انجبت علماء أفذاذا من امثال ابن مضاء القرطبي صاحب نظرية العوامل .

وقد يلحظ قارىء هذا الكتاب كيف **أن الحيـــاة اللغوية في الاندلس قد تأخرت في نشأتها** ــ بحكم الوضع الطبيعـــي للفتح والاستيطان ــ عن الحياة اللغوية في المشرق ، ولذا كانت بواكيرها تعتمد على المشرق اعتمادا كليا ، ولكن المنهج الذي رأيته اسلم المناهج في تناول البحث ، لم يبح لي التصدي للحياة اللغوية في المشرق علـــى نحو منفصل لا في نشأتها ولا في تطورها ، فاللغة في المشرق وحركتها المتطورة قد دخلت في بناء هذا البحث على النحو المتدرج الذي حققته في واقعها العملي . ولذلك وجدت مـــن المناسب ان أرصد المؤثرات المشرقية حسب التطور الزمني دون ان افردها بالبحث والنظر في فصل مستقل بذلك . ثم ان تاريخ اللغة في المشرق قد حظي بالعناية وكتب فيه بعض أفذاذ الدارسين ، فهناك كتاب «العربية» للاستاذ يوهان فوك ، وكتاب « اللغـــة والنحو » للدكتـــور حسن عون ، فالوقوف عند تاريخ طويل للغة في المشرق لا يعدو في مثل هذا البحث أن يكون تلخيصا لجهود الآخرين ، وقد أغناني عن ذلك أن كنت ، كلما وجدت ذلك ممكنا ، أشير الى العلاقات بـــين المشرق والمغرب ، والى أثر اللغويين المشارقة في اللغويين الاندلسيين ، وأبين طبيعـــة هذه العلاقات مـــن تتبع وتلخيص ومعارضة ودراسة وتتلمذ . واني لأعتقد انني قد أعطيت صورة واضحة لأثر المشرق في الدراسات اللغوية الاندلسية ، ولم أغمط المشرق حقه في ما قدمه للاندلس من خدمات ، تتمثل في العلماء المهاجرين والكتب

المهاجرة ورحلات الطلاب الاندلسيين الى المشرق ، وكذلك لم أحاول أن أعطي للاندلس في ميدان اللغة اكثر مما تستحقه من تقدير .

ولا بد لي – وأنا في معرض الحديث عن أعداد هذا البحث – ان أذكر الصعوبة التي لاقيتها في بناء بحثي متدرجا متماسكا . فقد حاولت جهدي أن أجعله صورة لوحدة عضوية نامية ، وكان أشق ما عانيته **كون هذا البحث في بنائه العام جديدا أحاول رصف لبناته لأول مرة .** فان انشغالي بالبناء قد أستغرق من جهدي الشيء الكثير الذي كان يمكن ان يصرفني لولاه الى التعمق في تصور التيارات الكبرى ، واذن لتمكنت من أن أجلو بعض الجوانب جلاء يبعث على مزيد من الرضى والاقناع . ولكنني لست نادما أن كان هذا البحث ريادة في المجهول أو شبه المجهول ، اذ انني اليوم ، بعد ان عشت مع هذا الكتاب اكثر من ثلاث سنوات مفعمة بالجهد الدائب والعمل المتواصل ، أحس بأنني قد أقمت بناء سليما في جملته . وهذا لا يعني انني توصلت الى الكمال – فما ابعد ذلك من جهود بني الانسان – بل انني لأرحب بكل توجيه يسدد خطواتي في هذه السبيل الشاقة .

وقد كانت قصتي مع المصادر قصة طويلة مضنية ، فان **المادة مبعثرة في كتب التراجم والتاريخ والفقه .** وقد زاد في هذه الصعوبة انني لم أجد من المعالم ما يهديني الى الجادة ، اعني انه لم تكن هناك دراسة موجهة تعينني على تتبع المصادر المفيدة . وكم من مرة حسبتني أفوز بشيء ينير لي الطريق وكنت اخرج من القراءة صفر اليدين كما بدأت . وليس هذا تعبيرا عن الاسف وانما هو تعبير حقيقي عما يصادفه المرء في بحثه من عناء ومشقة .

ويتصل **بحثي هذا بكتب ما تزال مخطوطة** . وقد واجهتني صعوبة بالغة في الحصول على المخطوطات التي يمكن ان تفيدني ، رغم اني حاولت جهدي الحصول عليها . وانـي لأعدني سيىء الحظ اذ ان بعض جوانب هذا البحث ظلت معتمة لعدم الحصول على المخطوطات اللازمة جميعها ، وان كنت استدركت جانبا كبيرا منها بعـد أن احتفظت بالكتاب ، قبـل نشره ، مدة سنتين لأتمكن من الحصول عـلى بعض المخطوطات الهامة . وهذه الصعوبة بالذات تجرني الى الشكوى مـن القصور الشديد الذي تعانيه مكتباتنا في ما يتعلق بالمصادر القديمة ذات الأهمية والخطر .

وقد حاولت جهدي ان **تتصل هذه الدراسة اتصالا وثيقا بالمصادر الأصيلة** ، لكي تكون اشد الماما بالمنهج العلمي . ولم اعتمد من المراجع الا الموثوقة التـي اتخذت سبيلها لتكـون معتمـد الدارسين والباحثـين . واقتصرت من هذه المراجع على عدد ضئيل ككتاب فجر الاندلس للدكتور حسين مؤنس ، والمعجم العربي للدكتـور حسين نصـار ، ومـا كتبـه بروفنسال وريبيرا والدكتور احسان عباس من الباحثين الثقات .

وكان يمكن لهـذا البحث أن يستوعب دراسة خطيرة ، هي دراسة العامية الاندلسية . ولكن منعني من ذلك أمران هامان ، اولهما ان مثل هذه الدراسة يمكن ان يفرد لها بحث خاص ، وثانيهما ، وهو الأهم ، ان العامية الاندلسية قد تأثرت بالاسبانية القديمة تأثرا واضحا مما يجعـل حديثي عنها ، وانا أجهل الاسبانية القديمة ، أمرا لاحقا بالمستحيل . واود لو ارى من تيسرت له سبل هذا البحث ومقوماته أن يقوم به خدمة لتراثنا وحياتنا اللغوية بخاصة .

وأود أن أشير ها هنا الى منهجي في الدراسة ، فانني قد اخترت هذا المنهج بعد تأمل وتعمق شديدين في طبيعة الحياة اللغوية عبر قرون أربعة . ولقد حاولت أن اظهر بوضوح **اتجاهات هذه الحركة اللغوية وتطورها خطوة فخطوة** . واعتقد أن هذه الخطة قد سمحت بتبيان التيارات العامة من جهة وسمحت ، من جهة اخرى ، بابراز التطور الذي واجهته الحركة منذ بدايتها ، مع دخول العرب الى الاندلس ، حتى الفترة التي جعلتها حدا لنهاية دراستي .

وقد حاولت أن تكون هذه الدراسة متكاملة ليس فيها فجوات ولا تشويش ولا خروج عن الموضوع مما لا يفيد في اثراء العمل العلمي . ولهذا تراني **لم أحفل كثيرا بالمقدمات الطويلة** التي أراها معتمد الدارسين في هذه الايام ، فمثلا لم اتحدث عن السياسة الا في المواطن الضرورية للغاية ، وحيث كانت السياسة ذات أثر فعال في توجيه الحياة اللغوية ، وعندئذ كنت أوجز اكثر ما يمكن الايجاز .

وأخيرا كلمة مودة وامتنان وتقدير لاستاذي الكريم الدكتور احسان عباس ، لما حباني به من عطف صادق ، ورعاية اخوية مخلصة ، ولما قدم لي من وقته وعلمه وخبرته . ولقد كان لدقته العلمية البالغة ولمنهجه الصارم في البحث ولأياديه البيضاء الأخرى التي لا تحصى أبلغ الاثر في هذا الكتاب ، وفي حياتي العلمية بعامة .

كما وانني اتوجه بالشكر العميق للاخوة والاخوات الذين ساعدوني في اخراج دراستي هذه ، وأخص بالذكر منهم الآنستين سلمى صموري وسلمى صايغ والسيدين ادوار مطلق ورفيق مطلق . وقد أتاح لي السيد محمد رضوان الداية فرصة الافادة من بعض المخطوطات ، فله مني عميق

الشكر والتقدير . كما اقدم شكري للسيد شريف الانصاري ناشر الكتاب، وللسيد سامي حنينه اللذين تحملا كثيرا من العبء والمشقة .

وأرجو أن أكون قد أسهمت في ابراز حقبة غامضة من تاريخ حياتنا اللغوية ، واضفت الى مكتبتنا العربية ما يسد فراغا ولو بسيطا . فذلك – على ضآلة شأنه – يمنحني الرضى ، ويميزني بثمرة علمية متواضعة .

البير مطلق

بيروت : حزيران (يونيه) ١٩٦٧

الكتاب الأول

الحركة اللغوية في الأندلس
حتى أواخر القرن الثالث الهجري

مقدمة

١ ـ حالة المجتمع واللغة في العهد القوطي

كـانت اسبانيا قبل الفتح العربـي تحت حكم القوط الغربيين Visigoths وهم من القبائل التوتونية التي اجتاحت الامبراطورية الرومانية في اواخر القرن الرابـع الميلادي ، واستطاعوا عنـد سقوط الدولة الرومانية الاستقلال بحكم اسبانيا (ومعها اجزاء من فرنسا) في القرن الخامس تحت زعامة « يوريك » (٤٦٧ م) متخذين مدينة طليطلة عاصمة لهم . وكان القوط أقلية لا يتجـاوز عددها ٢٠٠ الف نسمة في بلاد يبلغ سكانها ٩ ملايين[١] . وكانوا يختلفون عن السكان المحكومين من ناحيتين : (١) أنهم يدينون ببدعة آريوس أي لا يعتقدون بألوهية المسيح ولا يجعلون للعذراء مكانا ممتازا في العقيدة . (٢) أنهم يتكلمون لغة جرمانيـة بينما يستعمل السكان لغة رومانسية او لاتينية عاميـة . ولذلك فانهم من الناحية الدينية وجدوا بعد فترة من الزمن ان لا بد لهم

---

(١) Henri Terrasse, Islam d'Espagne p. 3.
ويشار اليه فيما بعد باسم « تراس » .

من التخلي عن الآريوسية واعتناق الكثلكة ، وبهذا اصبحت الكاثوليكية مذهبا رسميا في اسبانيا منذ عهد الملك ريكاريدو عام ٥٨٧[1] ، وبعد هذا التحول اعتبرت اللغة اللاتينية لغة رسمية في البلاد ، وأصبح ولاء القوط للبابوية شديدا ، واصبحت طليطلة مركزا لاستقفية كبيرة يقيم فيها اسقف كبير يمثل البابا ونفوذه[2] .

وقد كان المنتظر بعد هذا التحول ـ في اللغة والمذهب ـ ان تنصهر الفروق القائمة في المجتمع الاسباني حينئذ ، وتقترب اسبانيا من الوحدة الثقافية والاجتماعية ، ولكن عوامل أخرى كانت تعمل عملها في المجتمع فتجعل الانصهار مستحيلا ، من ذلك (١) اقرار الفوارق الاجتماعية بين الطبقات ، فقد تكونت من العائلات القوطية وكبار رجال الدين واشراف العهد الروماني طبقة ارستقراطية تتمتع بامتيازات لا حصر لها . (٢) اقرار الفوارق بين الاجناس والاديان ولذلك اضطهد اليهود ـ مثلا ـ بشدة ، حتى انهم لشدة ما لحقهم من اضطهاد دبروا القيام بثورة عامة قبل سبعة عشر عاما من الفتح العربي[3] . (٣) نظام الاقطاع الذي جعل قسما كبيرا من الناس رقيق أرض أو عبيدا ، يعملون لاسعاد الاقلية الغنية[4] .

ويرسم دوزي صورة قاتمة لحال اسبانيا في أيام القوط ، ويعارضه

---

(١) فجر الاندلس : ٩ وتراس : ٥ .
(٢) المصدر نفسه : ٩ .
(٣) R. Dozy : Spanish Islam p. 227.
(٤) المصدر نفسه : ٢١٧ .

مؤرخون آخرون فيؤكدون ان اسبانيا تحت حكم القوط كانت تتمتع بالرخاء والرفاهية[1] . ويحمل دوزي على رجال الدين لانهم كانوا ضالعين مع السلطة الحاكمة لا يهتمون الا بما يتعلق بهم ، وأنهم لم يحاولوا انعاش الطبقات المضطهدة من كبوتها ، ولا عملوا شيئا لتحسين أحوال الناس ، الا القليل منهم[2] . ولكن ليس من همي وأنا ادرس الجانب اللغوي ، أن أصور الوضع الاجتماعي الا بمقدار تأثيره في حياة اللغة . فقد أصبحت اللغة اللاتينية هي لغة الثقافة حينئذ ، وكان الناس يتكلمون لغة رومانسية دخلتها بعض الالفاظ من أصل جرماني بحيث يصور موضعها من اللغة أثر الفاتحين[3] . وعلى هذا الاساس الثقافي ـ اللغوي في أساسه ـ وجدت حضارة علمية اسبانية مركزها الاديرة والمدارس الدينية ، وكانت اشبيلية من أهم مراكز هذه الثقافة واليها ينتمي ايزيدور الاشبيلي (ــ ٦٣٦ م) ، الذي قام بدور الوسيط في نقل الفكر اليوناني الروماني الى القرون الوسطى . ومن اهم آثاره كتاب له في الاشتقاق اللغوي[4] ، ومعنى هذا أن اسبانيا لم تكن دون معالم ثقافية حين دخلها العرب ، واذا كان لنا ان نلاحق المظاهر القوطية في حياة اسبانيا بعد الفتح العربي ، فيجب أن نتطلع الى طبقة «المستعربين»

---

(١) انظر مثلا Maurice Legendre, Nouvelle Histoire d'Espagne pp. 73 seq.

(٢) Spanish Islam p. 222 seq.

(٣) تراس : ١١ .

(٤) تراس : ١٤ ، وفجر الاندلس : ٢٩ .

الذين ظلوا يحافظون على لغتهم الرومانسية وهي التي أصبح العرب يسمونها « عجمية الاندلس » ، وعلى الثقافة الايزيدورية وعلى طراز الابنية القوطية[1] .

٢ ـ الاجناس المختلفة في الاندلس بعد الفتح العربي

أ ـ العرب : كان الجيش الذي دخل به طارق الى الاندلس (٩٢ ه / ٧١١ م) يبلغ اثني عشر ألفا اكثرهم من البربر وليس فيه من الجند العربي الا قلة ضئيلة ، وتزايد عدد البربر الداخلين الى الاندلس عندما نجح طارق في مهمته ، يقول الرازي حسب نقل المقري : « وتسامع الناس من أهل بر العدوة بالفتح على طارق بالاندلس وسعة المغانم فيها، فأقبلوا نحوه من كل وجه ، وخرقوا البحر على كل ما قدروا عليه من مركب وقشر فلحقوا بطارق وارتفع أهل الاندلس عند ذلك الى الحصون والقلاع ، وتهاربوا من السهل ولحقوا بالجبال »[2] . وهذا النص يعني ان عدد البربر المهاجرين ازداد في أثناء الفتح ، وان كان لا ينفي أن هناك عربا دخلوا معهم في تلك الفترة ، ثم لحق موسى بن نصير بطارق في جيش عربي يبلغ اثني عشر ألفا ، ويسمى هؤلاء « الطالعة الاولى » من العرب ، ثم كانت طالعة بلج بن بشر القيسي (١٢٣ / ٧٤١) وهي تضم عشرة آلاف من الشاميين القيسية ، وقد سمي الذين

---

(١) تراس : ٢٣ .

(٢) نفح الطيب ١ : ٢٤٣ ، وفجر الاندلس : ١٢٧ .

استقروا قبل طالعة بلج باسم البلديين تمييزا لهم عن المهاجرين الشاميين الجدد ، كما ان البلديين كان معظمهم من اليمنية[1] . غير أننا يجب أن نقدر أن هجرة العرب في عهد الولاة والعهد الاموي لم تقتصر على هذه الاعداد ، بل كان هناك اقبال عام على الهجرة ؛ يقول المقري : « فاعلم أنه لما استقر قدم اهل الاسلام بالاندلس وتنام[3] فتحها صرف أهل الشام وغيرهم من العرب وساداتهم هممهم الى الحلول بها ، فنزل بها من جراثيم العرب وساداتهم جماعة أورثوها أعقابهم »[2] .

ويمثل العرب الاندلسيون الانتساب الى كل من القحطانيين والعدنانيين ــ أي عرب الجنوب وعرب الشمال ــ الا أن القحطانيين كانوا أكثر عددا[3] ، ويضم هؤلاء القحطانيون قبائل الازد والانصار ــ « وكان جزء الأنصار بناحية طليطلة وهم أكثر القبائل بالاندلس في شرقها وغربها »[4] ــ وجذام وتجيب وذي رعين وكلب ، ومنهم حضرميون حلوا بمرسية وغرناطة واشبيلية وبطليوس وقرطبة ، .. وهم كثير بالاندلس[5] ، ويضم عرب الشمال من ينتسبون الى قريش خاصة أو الى كنانة عامة ، ومن ينتسبون الى قيس عيلان أو للقبائل المتفرعة من قيس عيلان مثل سليم وهوازن وكلاب ونمير ومن ينتسب

(١) انظر فجر الاندلس : ٣٥٦ .
(٢) نفح الطيب ١ : ٢٧١ وفجر الاندلس : ٣٦٨ .
(٣) النفح ١ : ٢٧٤ .
(٤) المصدر نفسه ١ : ٢٧٥ .
(٥) المصدر نفسه ١ : ٢٧٩ .

الى ربيعة مثل أسد والنمر بن قاسط وتغلب وبكر ، وكان من قبائل تميم خلق كثير بالاندلس[1] .

وقد درس الدكتور حسين مؤنس ظاهرة استيطان العرب في الاندلس دراسة تفصيلية يحق أن أجعلها معتمدي في هذه المقدمة ، لما لها من قيمة في توضيح البيئة العنصرية والاجتماعية التي تكونت فيها الجهود اللغوية ، قال : « ونستطيع ان نقول بصفة عامة ان العرب استقروا على طول خطوط الفتح الاولى ، فنرى منازلهم تنتشر ابتداء من الجزيرة الخضراء ، وتملأ معظم المنطقة الواقعة جنوب نهر شنيل وحوض الوادي الكبير ، ثم تكثر بصورة ظاهرة في اقليم اشبيلية ، وتستمر على طول الوادي الكبير وفروعه . وعند اقليم اشبيلية تنتشر منازل العرب في نفس الاتجاه الذي سار فيه موسى ، وتكثر في نواحي أونبة ولبلة وباجة ، وتتصل حتى بطليوس ثم نواحي طلبيرة وطليطلة فوادي الحجارة وقلعة أيوب ودروقة وحوض ابره الاوسط حول سرقسطة في منطقة واسعة تشمل حوض نهير جلق Gallego ونهير الحمة Rio Alhama . ومن أحواز قرطبة يمتد خط عربي آخر ، على طول طريق طارق بن زياد حتى طليطلة مارا بقلعة رباح . ومن حوض الوادي الكبير انساح العرب شرقا ، فملأوا نواحي ما يعرف

---

(١) المصدر نفسه ١ : ٢٧٢ وانظر تفصيل ما أورده المقري عن العرب الذين استوطنوا الاندلس ٢٧١ ــ ٢٧٩ .

عادة بشرق الاندلس ، وهي نواحي بلنسية وتدمير (مرسية) ولقنت والمرية ومالقة »[1] .

ويرى الدكتور مؤنس أيضا أن العدنانية والقحطانية لم يتخذ أي منهم ناحية ينفرد بالسكنى فيها الا في القليل من المواضع[2] ، وقد رسم جدولا بتوزع القبائل في كل ناحية ، دل على أن الكتلة اليمنية كانت أقوى في نواحي اشبيلية وغرب الاندلس وان اليمنيين كانوا كثيرين في أقاليم البيرة وغرناطة وجيان وأن غالبية من نزلوا سرقسطة هم من الخزرج وعذرة وقضاعة وتجيب وكندة وجذام وهي كلها قبائل يمنية وأن مرسية وطلبيرة وبلنسية غلب عليها عرب الشمال . أما قرطبة فقد نزلها من كل قبيلة من العرب ، وظل العنصر العربي طوال عصور الاندلس غالبا على اشبيلية واستجة ورية وقبرة والجزيرة الخضراء والبيرة وجيان ومالقة وتدمير وسرقسطة وشذونة وقرمونة ولبلة وباجة وأونبة[3] . أما العرب الذين نزلوا الريف فقد اتخذوا لأنفسهم حصونا يعتصمون فيها مثل قلعة يحصب (قلعة بني سعيد) في اقليم غرناطة وقلعة خولان (بين الجزيرة الخضراء واشبيلية) ، ومنهم من أنشأ قرى كاملة ظلت تحمل أسماء أصحابها كمنزل طي جنوبي مرسية

---

(١) فجر الاندلس : ٣٧١ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) فجر الاندلس : ٣٧٢ ـ ٣٧٥ .

ودار بلي شمالي قرطبة[1] ، وكـان هؤلاء العرب يفدون رجالا لا نساء معهم فيتزوجون من نساء غير عربيات ، ولذا فان الاجيال الثانية منهم ربما جاز اعتبارهم مولدين[2] .

ب ــ البربر : رأينا منهم الفوج الذي دخل مـع الفتح ، ثم تلك الأفواج التي سارعت الى الهجرة لما سمعت من نجاح طارق في فتوحاته ، ولقرب افريقيا من الاندلس كان كثير من البربر يهاجرون اليهـا أملا في ظروف معيشية أكثر ملاءمة[3] . وكان البربر فـي بدايـة الاستيطان أكثر عددا من العرب ، ولعلهم في البدايـة أيضا اتحدوا مـع العرب وعرف الفريقان معا باسم البلديين ضد الشاميين المهاجرين ، وكان اكثرهم من قبـائل مطغرة ومديونة ومكنـاسـة وهوارة أو مـا يسمى « البتر »[4]، ثم جاءت الهجرات التالية بأناس مـن فرع « البرانس » ، وقـد درس سيزار دوبلر منازل البربر في الاندلس من مراجعته لاسماء المواضع البربرية ، وأكثر هذه الاماكن التي اكتشفها تقع في البرتغال[5] . ويـدل الثبت الذي أورده ابن حزم في الجمهرة عن بيوتـات البربر في الاندلس على أن أمراء الثغر كانوا منهم ، أي أن معظم سكان النواحي الشمالية كانوا من البربر . وهذه المجموعة التـي ذكرها ابن حزم تكـون خطا

(١) المصدر نفسه : ٣٧٦ .
(٢) المصدر نفسه : ٣٧٦ .
(٣) Levi Provencal : Histoire de l'Espagne Musulmane, Vol. 3 p. 168
(٤) فجر الاندلس : ٣٧٩ ــ ٣٨٠ .
(٥) انظر فجر الاندلس : ٣٨١ ــ ٣٨٢ .

واحدا « يبدأ من نواحي جبال البرت عند لاردة ووشقة ثم ينحدر الى ناحية مدينة سالم (قاعدة الثغر الاوسط فيما بعد) فقد نزلها بنو سالم من البرانس وأعطوها اسمهم ، وسكن الى جوارهم بنو الفرج وبنو عوسجة . وفي الدائرة الواسعة التي تحيط بمدينة سالم والتي تضم شنتبرية والسهلة ووادي الحجارة نجد كتلة بربرية ضخمة تعمر هذه النواحي كلها الى أحواز طليطلة ... وتمتد هذه الكتلة البربرية شرقا فتشمل تيروال حيث نزل بنو غزلون وناحية ألبونت حيث نزل بنو قاسم ثم تتصل هذه السلسلة البربرية ... فتشمل مناطق طبيرة (جنوبي طليطلة) وماردة وقورية بين التاجه والدويره ، ثم تصل الى ساحل المحيط عند قلنبيرة »[1] .

ويقول الاستاذ لفي بروفنسال في حديثه عن البربر : « وقد اضطرهم العرب في اكثر الاحايين على الاقامة في المرتفعات مما جعلهم قليلي الحظ والنعمة ، وصاروا عرضة للقحط والجفاف اللذين نزلا في بعض السنين مما حمل بعض جماعات من هؤلاء البربر على العودة — طوعا أو كرها — الى افريقية »[2] ويناقش الدكتور مؤنس هذه الدعوى فيذهب الى أن الاقامة لم تكن مدروسة وانما كانت قائمة على المصادفة ، ولو ان الفتح سار في طريق غير التي سار فيها لما تكاثر

---

(١) فجر الاندلس : ٣٨٤ .
(٢) بروفنسال ٣ : ١٦٨ .

العرب حيث تكاثروا[1] .

جـ ــ السود : وكانت في الاندلس عدا العرب والبربر جمـاعة من السود ، وقد ظل عددهم قليلا وظلوا يعملون في الجندية .

د ــ اليهود : كذلك كانت هناك جماعـات من اليهود واقعة تحت الاضطهاد في أيـام القوط ، وهم من الفئات التـي رحبت بالفاتحـين وتعاونت معهم وقد ظلوا يتمتعون بمركز طيب في أكثر العصور . وبلغ بعضهم في العصور التاليـة درجة الوزارة ، وعمل كثير منهم أطبـاء في بلاطات الامراء ، بل ان حركة بعث اللغة العبرية والادب العبري بدأت في اسبانيا تحت رعاية الحكام الاندلسيين ، وكان بعض علماء المسلمين يعينون اليهود على انشاء نحو لغتهم ، واستعرب اليهود منذ زمن مبكر فاخذوا لغة العرب وأزياءهم[2] .

هـ ــ الموالي : وكان في الاندلس جماعة كبيرة من الموالي ، وكان أهمهم اولئك الذين ارتبطوا بالولاء مع البيت الاموي ومنهم ناس من البربر أنفسهم ، وقد زادت أعدادهم في الاندلس زيـادة عظيمة وكثروا بعد سقوط الدولة الاموية في المشرق ، كما دخل في ولاء بني أمية عدد كثير من أهل الاندلس . وقد كانت رابطة الولاء هـذه التماسا لشرف المنزلة ، وقد اعتمد عليهم عبد الرحمن الداخل كثيرا في ارساء حكمـه

(١) انظر فجر الاندلس : ٣٨٧ ــ ٣٨٩ ، والصفحة : ٣٧٠ .

(٢) Levi Provencal, Hist. vol. I p. 80-81.

وظل أمراء بني أمية يحلونهم المراكز الممتازة في الادارة وغيرهـا . ومن عائـــلات الموالي المشهـــورة بنو شهيد وبنو فطيس وبنو حدير وبنو مغيث[1] .

و ـ السكان الاصليون : وهناك السكان الاصليون وهم يسمون « عجم الاندلس » أو « عجم الذمة »[2] فمـــن أسلم منهم أطلق عليهـــم « المسالمة » أو « الأسالمـــة » وأولاد هؤلاء « المسالمـــة » يسمـــــون « المولدين » ، وأما من بقوا على دينهم فهم « ذمة » أو « معاهدة » أو « المعاهدون » ـ أي من لهم عهد من المسلمين . ومع الزمن أخذ عدد الذمة يتنـــاقص ويكثر عـــدد المسالمة والمولديـــن ، ولما زار ابن حوقل الاندلس في خلافـــة عبد الرحمن الناصر كـــان ما يزال عـــدد الذميين والمعاهدة كثيرا ، قال : « وبالاندلس غير ضيعة فيهـــا ألوف من الناس لم تمدن وهم على دين النصرانية ، روم ، وربما عصوا في بعض الاوقات ولجأ بعضهـــم الـــى حصن فطـــــال جهـــادهم لانهم في غـــاية العتو والتمرد ... »[3] . ويقول بروفنسال في وصف فئات المسالمة والمولدين :

---

(١) انظر فجر الاندلس : ٣٩٦ ـ ٤١٣ .

(٢) اطلق على هؤلاء لفظ « المستعربين » Mozarab وهو لقب يظهر ابتداء من القرن الحادي عشر الميلادي ، وذلك تمييزا لنصارى الاندلس عن غيرهم من نصارى قشتالة والفرنجة ، اذ كان نصارى الاندلس مستعربين حقا في الثقافة واللغة واساليب الحياة ، وكانت صلواتهم تقام بلغة خاصة هي عجمية الاندلس وهي خليط من الرومانية القديمة واللاتينية الدارجة والقوطية والعربية ، ولكـــن عرب الاندلـــس لم يستعملوا هـــذه اللفظة « المستعربين » (انظر فجر الاندلس ص : ٤٢٥ ـ ٤٢٨) .

(٣) صورة الارض : ١٠٦ .

« هؤلاء المسلمون الجدد زاولوا في القرى تربية المواشي والزراعة وفي السواحل الصيد والصناعات البحرية بينما كانوا في المدن يقومـون هم والموالي بالحرف وبالتجارة ، وهذا كله يبين الدور القوي الذي قام به المولدون في ميدان الاقتصاد العام للبلاد وهم يشكلـون القسم الاكبر من سكان الاندلس . وقد برهن الامويون على أفضل سياسة وأحكمها عندما ساعدوهم على الارتقاء وسمحوا لكثير منهم بالاغتناء وبالتغلغل فـي المجتمع الاسلامـي ... وكـانت سياسة اللين لا سياسة القهر هي المتبعـة في نشر الاسلام ، وما لبثت هـذه السياسة أن أثمرت وأمدت النظام الاموي بجماعة كبيرة من ذوي القيم العليا الذين استطاعـوا باستقامتهم ـ غير مرة ـ أن يفضوا الخلافـات السياسية التي كـانت تنشب بين العناصر المهاجرة من عرب وبرابرة .... وليس ثمة ما يمنع أن نؤكد انه اذا كانت الاندلس منذ القرن الحادي عشر قد تألقت في ميدان الفكر فانها كانت مدينة بذلـك الى هـؤلاء المولدين »[1]. ويعـدد بروفنسال اسماء مولدين ظلوا يحتفظون بأسمائهم القديمة بعد اسلامهم مثل بني شبريق Savarico وبني القبطرنه Kabturno وبنـي مرتين Martin وبني اللونقه Longo وبني قومس Comes وبني قرلمان Karluman وغيرهم[2] .

---

(1) Levi Provencal, Hist. vol. 3 pp. 180-81

(٢) المصدر نفسه : ١٨٤ .

٣ ـ حال اللغة بين هذه الأجناس المختلفة

في التقاء هذه الأجنـاس المختلفة صورة عسيرة علـى التصور لما يمكن أن تكون عليه حال اللغة واسطة التفاهم بينها جميعا ، ولذا لا بد من أن يخطو الدارس في أناة شديدة كي يأمن مواقع الزلل وهو يحاكم الروايات القليلة التي وصلتنا عن تلك الاوضاع اللغوية . ولا بـد أن أقرر بادىء ذي بدء ما يمكن أن يعـد تحصيل حاصل ، ولكنـي انما أقرره للخروج منه بنتائج معتمدة .

١ ـ حين دخل العرب الى الاندلس جاءوا معهم بلغتهم العربيـة ، ولكن هؤلاء العرب كانوا ينتمون الى قبائل مختلفـة ، وتغلب عليهـم الصبغة اليمنية ، ولذا كانت لغة الحديث بينهم على تفاوت يسير ، وان اجتمعوا جميعا حول اللغة القرآنية ، وبخاصة حين تكون الكتابة تعبيرا عن تلك اللغة .

٢ ـ وأدخل البربر لغتهم البربرية ، على أن نذكر أن قدم عهدهم النسبي بالاسلام جعل اللغة العربيـة لديهم لغة الديـن والكتابة ، فاذا كانوا يتحدثون فيما بينهم باللغة البربرية ، فقد كان تفاهمهم مع زملائهم الفاتحين بالعربية أمرا طبيعيا ، ويقول بروفنسال : « ومنذ القرن التاسع لم يعد أحد يتكلم باللغة البربرية بالاندلس »[1] الا فـي نطـاق بعض

(١) Levi Provencal Hist. vol. 3. p. 169 .

بلاطات ملوك الطوائف المنتمين الى أصل بربري كبني زيري الصنهاجيين بغرناطة ، وسوف تعود اللغة البربرية الى الظهور في اسبانيا عند قدوم اللمتونيين (المرابطين) . غير أن البربر كانوا أشد من غيرهم خضوعا لأثر البيئة الأندلسية ، فقد اجتهد معظمهم في التعرب ، وارتبطوا بمن يجاورهم من السكان الاصليين بالصهر والقرابة وأخذوا عن أمهاتهم الاسبانيات لغة الحديث فكانوا أسرع اندماجا في بيئتهم الجديدة[1] .

٣ ــ وليس هناك ما يشير الى أن اليهود قبل الفتح العربي كانوا يستعملون اللغة العبرية في غير الطقوس الدينية ، فلما جاء الفتح كانوا من أسرع الفئات تعربا ، حتى نشأت بينهم في عصر ملوك الطوائف حركة بعث اللغة العبرية .

٤ ــ وأما السكان الاصليون فكانت لهم لغتهم الخاصة بهم تلك اللغة التي كانت دارجة بينهم قبل الفتح وهي اللغة التي يقول فيها الاستاذ منندث بدال : « ان اللغة التي كان يتكلمها أهل ايبيريا قبل القرن الحادي عشر الميلادي لا يمكن تعرفها الا على وجه التقريب ، نظرا لقلة الاصول التي يعتمد عليها ، وكل ما يمكن قوله انها كانت تضم ألفاظا قليلة من لغة القوط ، أما بقيتها فكانت لهجات مختلفة من اللاتينية العامية «Latin Vulgar» [2] . هذه اللغة هي التي سماها

---

(١) فجر الاندلس : ٣٩٥ ــ ٣٩٦ .

(٢) Ramon Menendez pidal: Origines del Espagnol (3a ed. Madrid 1950) مقدمة الكتاب ، وقد ورد هذا في فجر الاندلس ص : ٤١٧ حاشية (١) .

العرب عندما سمعوها « العجمية » أو « عجمية أهل الاندلس » ، وهي اللغة التي كان يحسنها « الذمة » و « المسالمة » كما ظل يحسنها « المولدون » وانضاف اليهم عدد من البربر والعرب ولكنها لم تبق على نقائها الأول بعد الاختلاط بالعناصر المهاجرة ، وخاصة وأن العرب من هؤلاء دخلوا البلاد دون زوجات واتخذوا نساءهم من أهل البلاد .

٥ ــ فالعجمية اذن هي لغة السكان الاصليين ، وتحديد طبيعتها أمر عسير فهل هذه العجمية هي نفس اللغة التي أصبحت لغة الحديث بعد دخول العرب ، يقول الدكتور مؤنس : « وبديهي أن أولئك جميعا (يعني فئات العرب) لم يعودوا يتكلمون العربية في حياتهم العادية بعد الجيل الثاني ، فقد غلبت عليهم في المخاطبة والمعاملات لغة أهل البلاد ، اختلطت بها لغة العرب ونشأت عن ذلك « عجمية أهل الأندلس » أو « اللطينية » كما يسميها ابن حزم »[١] . أما أن لغة العرب اختلطت بها فشيء بديهي ، وأما أن نتيجة هذا الاختلاط هو ما يسمى « عجمية أهل الاندلس » فأمر يدعو الى التوقف ، لانا نعلم أن عجمية الاندلس هي ما كان موجودا قبل الاختلاط ، ولأن مثل هذا القول يجعلنا ننسى حركة « الاستعراب » القوية ، وهذه الحركة تعني أن السكان الاصليين تعلموا اللغة العربية بسرعة ، وأصبحوا قادرين على التفاهم مع السادة الجدد ، واذن فلا بد أن نسبة العناصر العربية في اللغة الناشئة من هذا

(١) فجر الاندلس : ٣٧٧ .

اللقاء كانت اكبر من نسبة العناصر غير العربية ، واذا صح هذا التقدير كان من لقاء اللغتين لغة ثالثة هي « العامية العربية الأندلسية » لا « الاعجمية » . واذن فاذا سلمنا ان البربر في الاندلس لم يتمسكوا طويلا بلغتهم نرى أن هناك ظاهرة فريدة في اللغة بالأندلس اذ هي تقوم على ثلاثة مستويات : لغة عجمية فيها قليل من الالفاظ العربية ، لغة عربية هي أداة الكتابة والانشاء ، ولغة دارجة عامية معظم ألفاظها عربي وقد دخلتها بعض الالفاظ العجمية ، وهذه الثالثة هي التي كانت لغة الحديث اليومي ، وهي التي تتمثل من بعد في الازجال الأندلسية . وهذا لا يعني أن العربي لم يكن يحسن « اللغة العجمية » أو أن المولد ذا اللغة العجمية لم يكن يستطيع الكتابة باللغة العربية . ولكن لا بد من أن نفترض وجود عامية قريبة الشبه بالعربية والا لم نفهم ما يرد في المصادر مصدرا بمثل : يقول العامة كذا ومن أمثال العامة كذا ــ مما هو عربي عامي دارج ، وبه أيضا نفهم كيف يمكن أن تكون الازجال الأندلسية شيئا آخر غير الذي تعنيه العجمية .

٦ ــ ولا بد أن حركة « الاستعراب » كانت قوية وخاصة بين الاجيال الناشئة ، وهذا هو الذي تعبر عنه صرخة ألفارو حين قال : « ان اخواني المسيحيين يستمتعون بقصائد العرب وحكاياتهم فهم يدرسون مؤلفات علماء الكلام والفلاسفة المسلمين لا لينقضوها وانما ليحرزوا أسلوبا عربيا صحيحا ناصعا . أين تجد اليوم بين الناس من يقرأ التعليقات والشروح اللاتينية على الكتاب المقدس ؟ أين من يدرس

الاناجيل والاسفار وأعمال الرسل ؟ وأسفاه ان الشبان المسيحيين المتميزين بمواهبهم لا يعرفون أدبا سوى الأدب العربي أو لغة سوى العربية وهم يدرسون الكتب العربية بنهم وافتتان ، ويجمعون منها مكتبات كاملة مهما تبلغ تكاليفها ، وهم يتغنون بمحاسن الأدب العربي في كل مكان . فاذا ذكرت لهم الكتب المسيحية أشاحوا معرضين وقالوا انها لا تستحق اهتماما ، يا للحسرة ! لقد نسي المسيحيون لغتهم وما تكاد تجد واحدا في كل ألف يستطيع أن يكتب الى صديقه رسالة بلغة لاتينية سليمة . فاذا كان الامر كتابة العربية فما أكثر من يستطيعون التعبير عن نفوسهم بتلك اللغة في براعة عظيمة بل هم ينظمون اشعارا تتفوق في صحتها الشكلية على ما ينظمه العرب أنفسهم »[1] . وقد يقال ان الفارو في هذا كان مغاليا في حماسته ، وأنه كان داعية للعودة الى اللاتينية ولذلك فهو يغرق في الانحاء على محبي الثقافة العربية رجاء أن يلفت الناس بقوة النذير ، وقد يقال ان هذا كله ينصب على اللغة المكتوبة ، وكل هذا حق ، ولكن كيف يمكن أن تكون عملية الاستعراب بهذه القوة ، ثم تظل « عجمية الاندلس » هي اللغة الوحيدة المحكية في البيت والشارع وفي كل ناحية من نواحي الحياة اليومية ؟ ذلك أمر من العسير تقبله ، واذن فلا بد أن تكون لغة الحديث اليومي عربية في معظمها مشوبة بقسط من الالفاظ والتراكيب العجمية .

---

(1) Dozy, Spanish Islam p. 267 .

٧ ـ ولم تكن « عجمية الأندلس » مفهومة لدى جميع العرب حتى مطلع القرن الثالث (أي بعد ما يزيد على مائة عام من الاستيطان). ذكر الخشني أن القاضي سعيد بن سليمان (في زمن عبد الرحمن بن الحكم ٢٠٦ ـ ٢٣٨ / ٨٢١ ـ ٨٥٢) قضى في المسجد الى أن مضى صدر النهار ثم قام منصرفا الى داره فلما هم بدخول الدار فاذا بوالد نصر الفتى مقبلا وأعوانه بين يديه ، وكان أعجمي اللسان فصاح على البعد بالعجمية كلموا القاضي يثبت علي أكلمه ، فقال القاضي قولوا له بالعجمية ان القاضي قد أدركته الملالة والسآمة[1] . فهذا قاض يفصل بين الناس ومن المنتظر أن يكون بين شهوده أناس ممن لا يحسن الا العجمية ، وكذلك بين المترافعين اليه ، ولكنه يقول : قولوا له بالعجمية (أي ترجموا له ما أقول) فهو لا يحسن التكلم بها . أما أن بعض الشهود كانوا أحيانا ممن لا يحسنون الا العجمية فثابت من نص آخر أورده الخشني أيضا اذ قال : « وكان حينئذ بالمدينة شيخ أعجمي اللسان يسمى ينير وكان مقدما عند القضاة مقبول الشهادة مشهورا في العامة بالخير وحسن المذهب ، فأرسل فيه الوزراء وسألوه عن القاضي فقال بالعجمية : ما أعرفه الا أني سمعت الناس يقولون انه انسان سوء ، وصغره باللفظ العجمي »[2] . وتتقدم قليلا في الزمن الى أيام الأمير

(١) قضاة قرطبة : ٩٦ .
(٢) قضاة قرطبة : ٨٤ والحديث عن القاضي يخامر الذي ولي القضاء سنة ٨٣٥/٢٢٠ .

محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ ـــ ٢٧٣ / ٨٥٢ ـــ ٨٨٦) فنجد قاضيا آخر يفهم الكلام بالعجمية ويتحدث بها ، وذلك هو سليمان بن أسود ، فقد كان في وقته رجل من العدول يعرف بابن عمار يتردد الى مجلسه ولا يقوم الا اذا قام القاضي ، « وكانت لابن عمار بغلة هزيلة تلوك لجامها طول النهار على باب المسجد قد اضناها الجهد وغيرها الجوع ، فتقدمت امرأة الى القاضي فقالت له بالعجمية : يا قاضي أنظر لشقيتك هذه . فقال لها بالعجمية لست أنت شقيتي ، انما شقيتي بغلة ابن عمار التي تلوك لجامها على باب المسجد طول النهار»[1] .

وعلى مر الزمن أصبحت هذه العجمية مفهومة لدى الاكثرية من الناس ، لا لانها لغة التخاطب ، بل لان ظروف الحياة الاندلسية اقتضت هذه الملاءمة بين الاجناس المختلفة بحيث يفهم كل فريق لغة الفريق الآخر ، وخاصة وان المرأة التي تسيطر على حياة البيت لم تكن في الغالب عربية . ولهذا ما نكاد نصل الى عصر أمراء الطوائف حتى نجد قبيلة بلي العربية شاذة من بين القبائل اذ يذكر ابن حزم : « أنهم لا يحسنون الكلام باللطينية ، نساؤهم ورجالهم »[2] ، وذكر النساء في هذا النص هام جدا لانه يدل على أن رجال قبيلة بلي لم يتزوجوا من النساء الحرائر والجواري الاجنبيات ، ومن ثم ظلت العربية وحدها لسانا لهم ،

(١) المصدر نفسه : ١١٨ .
(٢) جمهرة الانساب : ٤١٥ (الطبعة الاولى) .

ومثل قبائل بلي سكان شلب وقراها ـــ وأكثرهم من عرب اليمن ـــ فقد ظلوا يحافظون على اللغة العربية الصريحة الى عهود متأخرة[١] .

وعرب بلي الذين ذكرهم ابن حزم كانوا يسكنون شمالي قرطبة أي أنهم من أهل الارياف ، وهذا وجه الغرابة في عدم احسانهم الكلام « باللطينية » وكذلك هو وجه الغرابة في محافظة قرى شلب نفسها على صريح اللغة العربية ، ذلك أنه يجب أن نقيم فرقا بين المدن والريف في شئون اللغة . فاذا كانت العامية العربية شائعة في المدن ، فان الارياف قد غلبت عليها لهجة عجمية مشوبة ببعض العربية ، أولا لاشتراك العناصر العربية فيها في شئون الحياة الزراعية وتأقلمها تدريجا ، وثانيا لقلة الثقافة اللغوية الا لمن يستطيع الرحلة الى المدن ، ولذا لا يستبعد شيوع العجمية الاندلسية في الارياف والبوادي بالاندلس ، وذلك هو ما يذهب اليه الاستاذ لفي بروفنسال حين يقول : « ومن الطبيعي أن يكون ذلك (أي غلبة الرطانة الاسبانية) أظهر في الارياف منه في المدن ».[٢]

٨ ـــ هل هذه « اللطينية » التي يتحدث عنها ابن حزم هي « عجمية الاندلس » ؟ لقد ذكرت من قبل رأي منندث بدال في أن هذه العجمية كانت « لهجات مختلفة من اللاتينية العامية فيها ألفاظ قليلة من لغة القوط » ، وعندما ذكر ابن حزم تلك اللغة التي سماها « اللطينية »

---

(١) الروض المعطار : ١٠٦ .
(٢) Levi Provencal, Hist. vol. I p. 77 .

ذكرها في معرض كلامه عن لغة الحديث ، غير أنه ذكر اللغة اللطينية في كتابه « **التقريب لحد المنطق** » **فقال مرة : « على أن السؤال بما والسؤال** بأي قد يستويان في اللغة العربية وينوب كل واحد من هذين اللفظين عن صاحبه ويقعان بمعنى واحد ، ومن أحكم اللغة اللطينية عرف الفرق بين المعنيين اللذين قصدنا في الاستفهام ، فان فيها للاستفهام عن العام لفظا غير لفظ الاستفهام عن أبعاض ذلك العام ببيان لا يختل على صاحبه أصلا »[1] . وقال في الحديث عن الكمية : « وهذه عبارة لم تعط اللغة العربية غيرها وقد تشاركها فيها الكيفية ، وهذا يستبين في اللغة اللطينية عندنا استبانة ظاهرة لا تختل ، وهي لفظة تختص بها الكمية دون سائر المقولات العشر . وللكيفية أيضا في اللطينية لفظ يختص بها اختصاصا بينا لا اشكال فيه ، دون سائر المقولات لا يوجد لها ترجمة مطابقة في العربية »[2]. فهنا احتكام الى لغة ذات قواعد وأصول ، وأكبر الظن أن ابن حزم لم يعن باللطينية هنا ما عناه حين تحدث عن قبائل بلي ، فاللطينية هنا ــ فيما يخيل الي ــ لغة مكتوبة ، الا اذا افترضنا أن الفرق بين العجمية المحكية والاخرى المكتوبة فرق ضئيل أو معدوم ، وعندئذ نستطيع أن نقول في اطمئنان ان هذه العجمية لم تغلب عليها عناصر دخيلة بحيث تصبح رطانة دارجة .

---

(١) التقريب : ١٥ .
(٢) المصدر نفسه : ٥٢ وانظر ايضا ص ٥٤ .

٩ ــ ويقول الأستاذ نكل ان هذه الاعجمية تمثلت في ثلاث لهجات كبـرى وهي الارغونيـة والبلنسية والقشتالية[1] ، ويبـدو أن هـذه اللهجات لم تكن متباعدة احداها عن الاخرى ، وأن نصارى قرطبة كانوا ــ لاجادتهم العجمية ــ يستطيعون فهمها والترجمة عمن يتحدث بها . وهذا يبدو واضحا في تاريخ الوفود الاجنبية علـى بلاط قرطبة ، ففي سنة ٣٦٠ / ٩٧١ وفد بون فليو سفير بريـل Borrell حاكم امارة برشلونة على الحكم المستنصر ، فجلس الحكم لاستقبـال الوفد يوم السبت لاربع خلون من شهر رمضان من العـام المذكور وتوجه في رسل بريل بن شنير : جمهور بن الشيخ في قطيع مـن الجند ومعه النفر من كبار النصارى بقرطبة المترجمين فقاموا بالترجمة عنه اليهم وعنهـم اليه[2] . وفـي موضع آخر ذكر ابن حيان هؤلاء المترجمين وفيهم أصبغ ابن نبيل قاضي نصارى قرطبة واسقفهم عيسى بـن منصور وقومسهم معاوية بن لب ومطران اشبيلية عبيد الله بن قاسم[3]. كذلك قـام هؤلاء المترجمون بدور الترجمة عندما تلقى الحكم رسل حلويرة عمة الطاغية أمير جليقية وفي هـذه المرة فقد القاضي أصبغ بن عبد الله بن نبيل ما كان له من حظوة لدى الخليفة لانه لم يحجم عن أن ينقـل عن الرسل كلاما فيه بعض الجفاء في مخاطبة الخليفة وأمر بصرف الرسل وتوبيخهم

---

(١) Nykl : Hispano — Arabic Poetry p. 3.

(٢) المقتبس : الورقة ٧ (نسخة مدريد) .

(٣) المصدر نفسه : الورقة ٣٣ .

وأقصى ابن أصبغ عن قضاء النصارى[1] . وهذه المواقف جميعا تدلنا على أن بعض نصارى قرطبة كانوا يحسنون الترجمة عن وفود قشتالة وبرشلونة وجليقية واذا لم يكن هؤلاء التراجمة من المتوسعين في اللغات كان من الحق أن نفترض أن معرفتهم بهذه اللهجات كانت ناشئة عن قربها من العجمية « الأم » . ويجب أن نلاحظ جلال المناصب التي كان يحتلها هؤلاء المترجمون بحيث لا نفترض أنهم كانوا يتخذون من الترجمة مهمة خاصة ، ثم ان اختيارهم من نصارى قرطبة دليل على ان اتقان « العجمية الأم » لم يكن أمرا ميسرا لغيرهم من المسلمين ، ولو لم يكن الأمر مقاما رسميا خليفيا لاستطعنا القول أيضا ان الحكم وبطانته لم يكونوا يعرفون من « العجمية » ما يمكنهم من التفاهم المباشر مع هؤلاء الرسل الاجانب .

١٠ ــ ولنا في التفرقة بين هذه العجمية ولغة الحديث التي سميت « عامية » ما نستنتجه من قول ابن بسام في حديثه عن عمل الوشاح في الخرجة : « يأخذ اللفظ العامي والعجمي ويسميه المركز »[2] . فهنا نوعان من اللفظ احدهما يسمى عجميا والآخر يسمى عاميا ، ونحن نعرف مما تبقى من موشحات أن الخرجات الاعجمية شيء غريب عن

(١) المصدر نفسه : الورقة : ٨٨ .
(٢) الذخيرة ٢/١ : ١ .

العربية ، وان خالطته أحيانا ألفاظ مأخوذة مـن لغة العرب ، كما نعرف خرجات عامية ، ألفاظها عربية كلها وليس فيها لفظة واحدة أعجمية .

وقد حدثتنا المصادر عن بعض خصائص هذه العامية العربية فأنبأنا ابن حزم أن العامة قد بدلت الالفاظ في اللغة العربية تبديلا هو في البعد عن أصل تلك الكلمة كلغة أخرى ولا فرق ، فنجدهم يقولون في العنب: « العينب » ، وفي السوط « أسطوط » وفي ثلاثة دنانير : ثَلْثَدَّا »[1] . وقال غيره انهم يقولون في التين : « تَيْن » وفي النوتي : نَوْتي » وفي القبيط : « قَبيد »[2] . واختلفت هذه اللهجة العامية في منطقة اندلسية دون أخرى فكان أهل شرق الاندلس يفتحـون أول الكلمة مـن نحو « الحوت » و « العود » وينطقون بالتاء طاء ويلحقون آخر المصغر لاما مشددة مفتوحة في المؤنث مضمومة في المذكر وهاء ساكنـة (وهي اداة التصغيـر الـلاتينية) فيقـولون في تصغيـر حوت : « حوطلَّـه » و « حوطلّه »[3] ، بل اختلفت بين المدينتين المتقاربتين أحيانا ، يقـول ابن حزم : « ونحن نجد من سمع لغة أهل فحص البلوط ــ وهي علـى ليلة واحدة من قرطبة ــ كاد أن يقـول انها لغة أخرى غير لغة أهـل قرطبة »[4] . ويورد ابن حزم تعليلا لهذا بقوله : « فانه بمجـاورة أهـل

(١) الاحكام : ١ : ٣٢ .
(٢) تثقيف اللسـان : الورقة: ٤ نقلا عن تاريخ الادب الاندلسي ١ : ٧٠ .
(٣) بغية الوعاة : ٢٨٣ .
(٤) الاحكام ١ : ٣١ .

البلدة بأمة أخرى تتبدل لغتها تبديلا لا يخفى على من تأمله »[1] ، وفي صفحات « لحن العوام » للزبيدي ألفاظ كثيرة لا بد أنها كانت سماعية، وكان العامة يستعملونها في الاندلس كقولهم للامير من الروم « القمّس» بدلا من القومس ويجمعون الكرم على « كرمات » وفي النسبة الى قبيلة كلب « كلبي » بكسر الكاف ، ويقولون للحظيرة تكون في الدار « حيرا » بدل « حائر » (ومنه حير الزجالي) ويقولون لموقف الدابة « صبل » بدل « اَصطبل » ويقولون دفتر بكسر اوله الى غير ذلك من ألفاظ واستعمالات[2] .

٤ ـ مقام اللغة عند الأندلسيين

قد تحملنا الصورة السابقة على التوهم بأن اللغة العربية تضعضعت أمام هذه المنافسة القوية التي كانت تلقاها من العجمية ومن اللهجة العامية الدارجة . ولولا التراث الأندلسي الغزير الذي وصلنا ، لما استطعنا ان نضع الى تلك الصورة صورة أخرى تمثل قوة اللغة وسيطرتها واضطلاعها بالفكر كله في شتى الميادين . والحقيقة التي لم أستطع أن أدرسها في هذا البحث هي تاريخ اللغة في خدمة النواحي الفكرية وتميز الأندلس بطابعها اللغوي على مر الزمن ، فذلك انما يمثل دراسة تحتاج رسالة مستقلة ، أما في هذا البحث فقد قصرت جهدي على درس اللغة نفسها في تطورها

(١) المصدر نفسه .
(٢) لحن العوام : ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ١٢٠ ، ١٣٣ ، ١٥٦ .

ورسمت لحياتها خطا متدرجا مع الزمن من خلال جهود علمائها في التدريس والتأليف . فبجهود المفكرين والشعراء والكتاب من ناحية ، وجهود علماء النحو واللغة من ناحية أخرى لم تنهزم اللغة الفصحى أمام المنافسة القوية التي لقيتها من جارتيها العجمية والعامية ، ولا ريب في أن للناحية الدينية والسياسية أثرهما في احتفاظها بقوتها ، ولكن الناحية الدينية كانت موجودة في المغرب مثلا ، ومع ذلك فان المغرب ، بمعناه الشامل ، لم يحقق في ميدان اللغة بعضا يسيرا مما حققته الأندلس في العصور التي هي موضوع هذه الدراسة . ولقد اجتاز أبو علي القالي المغرب الى الأندلس فكانت شهادته في الحال اللغوية لدى الاقوام التي مر بها على النحو الآتي : « لما ذكرت القيروان وانا أعتبر من أمر به من أهل الامصار فأجدهم درجات في العبارات وقلة الفهم بحسب تفاوتهم في مواضعهم منها بالقرب والبعد كأن منازلهم من الطريق هي منازلهم من العلم محاصة ومقايسة ، قال أبو علي : فقلت ان نقص أهل الاندلس عن مقادير من رأيت في أفهامهم بقدر نقصان هؤلاء عمن قبلهم فسأحتاج الى ترجمان في هذه الاوطان .... فكان يصل كلامه هذا بالتعجب من أهل هذا الافق الاندلسي في ذكائهم ويتغطى عنهم عند المباحثة والمناقشة »[1] .

وليس لنا أن نحمل هذا الكلام محمل المجاملة من القالي فقد وجد في الاندلس بيئة لغوية صالحة ، حقا انها لم تكن لتقارن بما كان قد تم في

(١) نفح الطيب ٤ : ١٥٠ .

المشرق ولكنها كانت ــ على نأي هذا القطر ــ أحسن حالا من اكثر بلدان المغرب . ولذلك أعتقد أن عناية الاندلسيين باللغة كانت بالغة وهذا يظهر في أسلوب التعليم الذي اتبعوه للمبتدئين ، وأنا استمد هذا من شهادة ابن خلدون لاعتقادي أنه يصور ما كان عليه الحال في العصور الأولى من تاريخ التعليم بالأندلس ، فهو يحدثنا أن الاندلسيين يجعلون القرآن أصلا في التعليم ولكنهم لا يقفون عند ذلك كما يفعل سائر أهل المغرب وانما يخلطون في تعليمهم رواية الشعر والترسل والأخذ بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط : « الى أن يخرج الولد من عمر البلوغ الى الشبيبة وقد شدا بعض الشيء في العربية والشعر والبصر بهما »[1] . ويعلق ابن خلدون على هذا المنهج التعليمي لدى الاندلسيين بقوله : « وأما أهل الاندلس فأفادهم التفنن في التعليم وكثرة رواية الشعر والترسل ومدارسة العربية من أول العمر حصول ملكة صاروا بها أعرف في اللسان العربي»[2] . وانما أحكم بأن كلام ابن خلدون ينطبق على العصور التي درستها من استشهاده بعد هذا التعليق توا بمذهب أراد القاضي أبو بكر ابن العربي أن يحدثه في نظام التعليم . اذ ان ابن العربي قدم حسب نظامه الجديد تعليم العربية والشعر على سائر العلوم كما هو مذهب أهل الاندلس ، قال : « لأن الشعر ديوان العرب ويدعو الى تقديمه وتعليم

(١) المقدمة ٤ : ١٢٤٠ .
(٢) المقدمة : ١٢٤٢ .

العربية في التعليم ضرورة فساد اللغة »[1]. ومـن رأي ابن العربي تأخير درس القرآن الى المرحلة الثالثة بعد الحساب وبذا يخالف ابن العربي مذهب أهل بلده في شيء ويقرهم على شيء ، وابن العربي شهد أواخر عصر ملوك الطوائف وتعلم في المشرق وعاد الى الاندلس أيام المرابطين. فما يقوله ابن خلدون عن الطريقة الجارية لدى أهل الاندلس ينطبق على العصور التي أدرسها لان ابن العربي انما ينتقد الوضع الذي كان جاريا عليه الحال قبل عودته من رحلته.

ويتحدث ابن خلدون أيضا في موضع آخر عن هذه الملكة التـي حدثت لأهل الاندلس في اللسان العربي فيقول : « وأهل صناعة العربية في الاندلس ومعلموها أقرب الى تحصيل هذه الملكة وتعليمها من سواهم ، لقيامهم فيها على شواهد العرب وأمثالهم والتفقه في الكثير من التراكيب في مجالس تعليمهم ، فيسبق الى المبتدىء كثير من الملكة أثناء التعليم ، فتنقطع النفس لها وتستعد الى تحصيلها وقبولها »[2]. فابـن خلدون يعلل هذه الملكة باعتماد الاندلسيين على حفظ الأصول حتى ان الاندلس لما كادت تضيع منها العربية ظلت هذه الملكة موجودة في أهلها : « لان أهل اللسان العجمي الذين بهم تفسد ملكتهم انما هم طارئون عليهم وليست عجمتهم أصلا للغة في الاندلس »[3].

---

(١) المصدر نفسه.
(٢) المصدر نفسه : ١٢٧٨.
(٣) المقدمة : ١٢٨٤.

٥ ـ عوامل فعالة في تطور العناية باللغة في الاندلس

ولو قد اقتصر الأمر على هذه الروح في الحفاظ على لغة الدين من باب القيام بما تتطلبه العبادات ، والحفاظ على لغة رسمية للدولة تبلغ في التعبير عن سياستها أسمى الأساليب المقبولة في كل عصر ، لكان هذا النشاط التعليمي وحده عاملا قويا في ترسيخ هذه الملكة اللغوية في الاندلس . ولكن في كل عصر من هذه العصور التي سأتناولها بالدرس كانت هناك عوامل أخرى هامة في تنمية هذه الملكة وتطوير حركة التدريس اللغوي ومجالات التأليف : وفي طليعة هذه العوامل هجرة الاندلسيين للأخذ عن علماء اللغة في المشرق والسعي الى لقائهم ورواية الاصول عنهم وكانت هذه الرحلة أحيانا تقف عند حدود الاندلس نفسها وأحيانا تتجاوزها الى القيروان وأحيانا ثالثة تكون ارتيادا لكثير من المناطق الثقافية في المشرق ، فهناك اذن ثلاث درجات من الرحلة صغرى ووسطى وكبرى . ثم هناك هجرة بعض المشارقة من علماء اللغة يضيفون الى جهود اخوانهم الاندلسيين في هذا الميدان جهودا جديدة ، وهجرة الكتب المشرقية على مر الزمن الى الاندلس حتى اننا لنجد ثقافة كل جيل تال في الامور اللغوية لا تقتصر على الأصول القديمة وعلى ما ألفه الاندلسيون ، بل ينضاف اليها دائما ما يجد من مؤلفات مشرقية . وقد تآزرت هذه العوامل جميعا ووجدت في حرص بعض الحكام الاندلسيين على تطوير الحياة الثقافية عامة ـ ومنها اللغة ـ عاملا قويا حافزا الى

التأليف والافادة .

ولست أعني اذ أذكر هذه العوامل أنها كانت مقصورة الأثر على الميدان اللغوي ، وانما هي عوامل عامة لها أثرها في جميع جوانب الحياة العلمية بالأندلس . غير أن دراستي هذه تنحو نحو تبيان الحركة اللغوية ولذا لم أتحدث عن هذه العوامل هنا الا بمقدار صلتها بهذا المجال وحده ، فذلك حسبي منها ، ولم يكن من اليسير دراسة أثر كل عامل منها على حدة لتشابكها وتضافرها معا . وعلى هذا فقد وقفت عندها في كل عصر من العصور محاولا أن أضع الى جانبها عوامل أخرى جديدة نشأت من تطور الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية العامة ، ليكـون بناء هذا البحث بناء تكامليا متدرجا .

الفصل الأول

بواكير الحركة اللغوية في الأندلس *

١ – نشوء طبقة المؤدبين اللغويين

اجتمعت الحاجة الى تعليم اللغة للناشئة من **الأندلسيين** مع الدوافع المتعددة التي كانت تشجع على الرحلة على خلق طبقة من المعلمين اخذت على عاتقها تدريس اللغة والنحو في مدن الأندلس ، وبخاصة **قرطبة وهي** يومئذ دار القوم وعاصمة الدولة . ويمكن ان نطلق على هذه الجماعة

* كان جل اعتمادي في كتابة هذا الفصل على طبقات الزبيدي وتاريخ ابن الفرضي ، وما ذلك الا لان اكثر المصادر التي تتحدث عن هذه الفترة لم تصلنا ، كما ان كتب المشارقة عالة عليهما فيما يتصل بهذه الحقبة . غير اني لم اكتف بهما حين كنت اجد المصادر الاخرى مسعفة على ذلك .

اسم « المؤدبين » فبذلك الاسم عرفهم الاندلسيون ، وان كانت هذه اللفظة في المشرق تنصرف الى الذين كانوا يعلمون ابناء الخاصة . غير ان المؤدبين في الاندلس قاموا بالمهمتين معا فمنهم من كان يؤدب اولاد الخاصة ، ومنهم من كان يعلم ابناء العامة في المساجد . وتدل الروايات التي اوردها ابو بكر الزبيدي في كتابه « طبقات النحويين واللغويين » على قيامهم بهذين الامرين ، فكان المسمى طاهرا يؤدب بني هشام وبني حدير ، وهما عائلتان من أشراف قرطبة ، وكان صالح بن معافى يؤدب عند بني فطيس واستأدب الحكم المستنصر لبنيه ... عثمان بن سعيد المعروف بورش[١] . وكان جابر بن غيث مؤدبا لولد الوزير هاشم بن عبد العزيز ، استجلبه لذلك من لبلة الى قرطبة[٢] . وكان ابن أرقم مؤدبا لامير المؤمنين عبد الرحمن الناصر ، وكان أبوه محمد بن أرقم يؤدب أبناء الخلفاء[٣] . وكان هشام بن الوليد الغافقي يؤدب الأمير عبد الرحمن[٤] . ومن المؤدبين الذين لم يختصوا بأبناء الخاصة الغازي ابن قيس الذي « كان ملتزما للتأديب بقرطبة أيام دخول الامام عبد الرحمن

---

(١) طبقات الزبيدي : ٣١٧ ، ٢٩٩ ، ٢٩٣ .
(٢) المصدر نفسه : ٢٨٩ ، وتاريخ ابن الفرضي ١ : ١٢١ .
(٣) طبقات الزبيدي : ٣٠٦ .
(٤) المصدر نفسه : ٣٠٨ .

ابن معاوية رضي الله عنه الاندلس »[1] . وابو الغمر عبد الواحد بن سلام المعروف بالاحدب الذي توفي سنة تسع ومائتين (٨٢٥ م) ، وكان من أهل العلم بالنحو والتأديب[2] . ومنهم احمد بن نعيم الذي أدب بجيان وطليطلة[3] ، وجابر بن غيث المتوفى سنة تسع وتسعين ومائتين (٩١١ م) الذي « كان من أحدّ الناس في التأديب ، فقل من تأدب عنده الا وتعلق من العلم بمسكة »[4] .

ومنذ البداية كان هؤلاء المؤدبون قد اتخذوا التعليم حرفة يتعيشون بها ، دون ان يخالجهم شك في ان الاجر الذي يتقاضون حق من حقوقهم، بل لقد جرت العادة ان يقبض المؤدب جُعلا كلما بلغ احد تلامذته مرحلة الاتقان والحذق لما تعلمه . وقد عرف هذا الجعل في الاندلس بالحذقة[5] ، وتمسك بها المؤدبون وأبوا ان يتنازلوا عنها ، وعندما حاول بعضهم ان يسلبهم هذا الحق انكروا ذلك ولجأوا الى تحكيم مؤدب من قدماء المؤدبين قضى لهم باستمرار أخذ الحذقة اذ كان ذلك

(١) المصدر نفسه : ٢٧٦ .
(٢) المصدر نفسه : ٢٧٩ .
(٣) المصدر نفسه : ٢٨٧ .
(٤) المصدر نفسه : ٢٨٩ .
(٥) المصدر نفسه : ٢٧٨ .

« مما جرى عليه الناس »[1] .

واذا استثنينا دور الخاصة ، حيث كان ابناؤهم يتلقــون العلم على ايدي اولئك المؤدبـين ، وجدنا ان المجـــال الذي شهد نشاط هؤلاء المؤدبين هو المسجد . وهذه حقيقة يجب ان نتذكرها حين نتمثل الدور التثقيفي الذي قامت به هذه الطبقة ، ذلك ان الاندلس لم تعرف ما عرفه المشرق من أمر المدارس ، وانما بقي التعليم فيها قاصرا على المساجد ، او على دور المعلمين أنفسهم[2] . حتى في المستوى الابتدائي الخـــالص كـــان المؤدب يجمـــع طلبته في المسجد • ويدل نص اورده الخشني علـــى ان القاضي كان يجلس للحكم في الخصومات في ناحية من المسجد وفي الركن الثاني الذي يقابله جلس مؤمن بن سعيد مع من جلس اليه من الأحداث من رواة الشعر وطلاب الأدب[3]. واكبر الظن ان الامر لم يستمـــر كذلك ، وان الطلبة المبتدئين ــ دون غيرهم ــ قد أفردت لهم دور خاصة يحفظون فيها القرآن ، واصبح القائمون فيها طبقة مـــن المعلمين يسمون المكتبين ، وان ظلت كلمة مؤدب العامة تطلق عليهـــم • وفي زمن الحكم

---

(١) المصدر نفسه .
(٢) انظر طبقات الزبيدي : ٢٩٩ ، ٣٣٦ .
(٣) قضاة قرطبة : ١٠٣ ــ ١٠٤ ، اما مدى النظام في هـــذا الـــدرس فيدل عليه سائر النص ، اذ يقول الخشني : « فتلاحى حدثان من جلاس مؤمن في شيء فرفع احدهما يده بخف فضرب صاحبه .. الخ » .

المستنصر كثر عدد هذه الكتاتيب ، قال ابن عذاري :« ومن مستحسنات افعاله وطيبات اعماله اتخاذه المؤدبين يعلمـــون اولاد الضعفاء والمساكين القرآن حوالي المسجد الجامع ، وبكل ربض من ارباض قرطبة ، وأجرى عليهم المرتبات وعهد اليهم في الاجتهاد والنصح ابتغاء وجه الله العظيم ، وعدد هذه المكاتب سبعة وعشرون مكتبا ، منها حوالـــي المسجد الجامع ثلاثة ، وباقيها في كل ربض من أرباض المدينة »[1] .

وكان نشاط هؤلاء المؤدبين يتنــاول فروعا مــن العلم فيها الفقه والحديث والاخبار والشعر • غير ان ما يهمنا في هذا المقام انما هو مدى اثرهم في النواحي النحوية واللغويــة • ويجب ان لا نغـــالي في تصور ما كانت تحسنه الجمهرة الغالبة من هؤلاء المؤدبين في هذه النواحي ، فقد لخص لنا الزبيدي في عبارة جامعة طبيعة التحصيل اللغوي والنحوي الذي كانت تضطلع به تلك الطبقة من الناس فقـــال : « ولم يكن عنــد مؤدبي العربية ولا عند غيرهم ممن عني بالنحو كبير علم •••• وذلك أن المؤدبين انما كانوا يعانون اقامة الصناعة في تلقين تلاميذهم **العـوامـل**

---

(١) البيان المغرب ٢ : ٣٥٨ ، وقد ذكر ابن حيان في حوادث سنة ٣٦٤/٩٧٥ أن الخليفة الحكم أنفذ تحبيس حوانيت السراجين بسوق قرطبة على المعلمين الذين قد كان اتخذهم لتعليم أولاد الضعفاء والمساكين بقرطبة (انظر المقتبس ، نسخة مدريد ، الورقة : ١١٥) .

وما شاكلها ، وتقريب المعاني لهم في ذلك ، ولم يأخذوا أنفسهم بعلم دقائق العربية وغوامضها ، والاعتلال لمسائلها ، ثم كانوا لا ينظرون في امالة ولا ادغام ولا تصريف ولا ابنية ، ولا يجيبون في شيء منها ... »[1] .

واذا كان هذا الحكم أكثر شيء انطباقا على عامة المؤدبين فانه يصيب من بعض نواحيه أيضا أكابر المشهورين منهم ، اذ كان اهتمامهم كثيرا ما يدور حول امور ابتدائية تتناول جانب الصواب والخطأ ، وقد يعجز بعضهم عن توجيه الحكم في أبسط المسائل اللغوية ، هذا جودي النحوي وهو من أبرز المؤدبين المبكرين ينكر أحدهم في حلقته على الشاعر عباس ابن ناصح عدم تشديده ياء النسب من لفظة « نصراني » في قوله [2] :

يشهد بالاخلاص نوتيها   لله فيها وهو نصراني

فلا يستطيع المؤدب أن يقول شيئا في تجويز هذا التخفيف . ولذا نجد أن كثيرا مما يدور في مجالس هؤلاء المؤدبين انما يتناول بعض شئون يسيرة من مثل : « تقول للمرأة : أنت تؤدين كذا فكيف تقول للنسوة ؟ »[3] أو يدور الخلاف الحاد حول أيهما أصوب عند العرب : سودتك أو سيدتك[4] ، وهكذا .

---

(١) طبقات الزبيدي : ٣٣٦ ــ ٣٣٧ .
(٢) المصدر نفسه : ٢٧٩ .
(٣) المصدر نفسه : ٣١٢ .
(٤) المصدر نفسه : ٢٩٥ .

على أني أحسب أن هذا الحكم يجيء جائرا في حق بعض البارزين من هؤلاء المؤدبين ، فقد كان كثير منهم يحسنون من المستوى اللغوي والنحوي ما يرتفع فوق ما تقدم بكثير ، وكان بعضهم ذا أصالة في تعليمه أو تأليفه ، بل ان الاندلسيين أنفسهم اتخذوا بعضهم مثلا أعلى في الفصاحة ، فكانوا اذا استفصحوا رجلا قالوا : ما هذا الا أبو حرشن[1] وضربوا المثل بفصاحة بكر الكناني فقالوا : « أفصح من بكر الكناني»[2] ومثل ذلك قالوا في الرشاش أحد أهل الحفظ للغة[3] .

وكان كثير من أفراد هذه الطبقة ينزلون في نفوس الناس منزلة الاحترام لا لمدى ما أحرزوه من ثقافة فحسب وانما لان بعضهم كان يجمع في شخصيته بين الاخلاص في أداء الواجب التثقيفي والتقوى ، وقد وصف ناس منهم بالصلاح ، ولعل هذه الناحية الدينية هي التي كانت تكسبهم ثقة الناس فيعهدون اليهم بتثقيف أبنائهم[4] .

وكانت قرطبة ـ بحكم مركزها ـ تجتذب اليها اكثر المشتغلين بالعلوم اللغوية ، فهي مستقر الغازي بن قيس وعبد الله ابنه وعبد الملك ابن حبيب ومحمد بن اسماعيل الحكيم والقلفاط والأقشتين والمذاكرة

---

(١) المصدر نفسه : ٢٨١ .
(٢) المصدر نفسه : ٢٨٣ .
(٣) المصدر نفسه : ٢٨٤ .
(٤) راجع أمثلة من هؤلاء المؤدبين الاتقياء في ترجمة : أبي عبدالله محمد ابن عبدالله ، طبقات الزبيدي : ٢٩٣ ، وترجمة «البغل» ، المصدر نفسه : ٢٩٧ ، وترجمة صالح بن معافى : ٢٩٩ .

وغيرهم كثيرين . وقد اجتذبت اليها كثيرا مـن علماء المدن الاندلسية الأخرى مثـل جودي النحـوي وهـو موروري الأصـل والخشني وهـو جيانـي الأصـل . ولكـن بعـض علمـاء اللغـة آثـروا بـلادا أخرى اندلسية ، فلم تجتذبهم قرطبة اليها ، ومنهـم خصيب الكلبي بمورور ، وأحمد بن نعيم الذي تنقل بين جيان وطليطلة ، وأحمد ابن بتري بقرمونة ، وثابت وابنه القاسم بسرقسطة ، وابو عمرو بن حجاج، ومحمد بن سيد وعمير بن عمـر ، وابن وقاص القرشي ، والمروكـي ، والمقصدر ، وابو عمرو الموروري باشبيلية . ولكن هذا لا ينفي ان اكثر النشاط انما كان في العاصمة ، وأنه لم يكن يقاربها في هـذه الناحية الا اشبيلية ، وهي يومئذ تشبه ان تكون عاصمة ثانية .

٢ ــ الرحلة ولقاء العلماء المشارقة

ولم يكن تحصيل هؤلاء المؤدبين مقصورا على تجوالهم طلبا للعلم في المدن الأندلسية أو ما أسميته « الرحلة القصيرة » ، بل نقلهم الترحال اما الى القيروان وهي يومئذ من مراكز العلم المشهورة واما الى المشرق ، حيث كانوا يسعون للقاء العلماء المشهورين ، قبل أداء فريضة الحج أو بعد أدائها . ولما أصبح الاندلسي العائد الى وطنه يشرف في نظر قومه لأنه غدا يروي عن « الشيوخ » لم تعد الرحلة العلمية أمرا منوطا بالنية

الدافعة للحج بل أصبحت هي نفسها ضرورة لازمة ، وخاصة لدى الطلبة القادرين على تحمل أعباء السفر ، وهي أعباء جسيمة لا يستهان بها سواء أكانت الرحلة برية أم بحرية . وما ان حل القرن الثالث حتى غدت الرحلة العلمية لدى الأندلسيين هدفا يسعون اليه كأنه « فريضة ثقافية » يؤدونها، وهي تطول أو تقصر حسب الفترة التي يراها الطالب كافية لتحصيله ، أو تسعفه عليها ظروفه وأوضاعه المادية . ومن الطبيعي أن تكون الرغبات العلمية لدى هؤلاء الراحلين متنوعة متباينة ، فمنهم من يؤثر رواية الحديث ، ومنهم من يطلب الفقه ، ومنهم من يلقى شعراء المشارقة ، ومنهم من يطلب اللغة والنحو ، وكثير منهم يجمع عددا من هذه الفروع العلمية والأدبية في تحصيله ، وانما يهمنا في هذا المقام اولئك الذين استأثرت اللغة بجهودهم ـ في الاكثر ـ وعادوا ومعهم كتب لغوية من المشرق أو آثروا التأديب باللغة والنحو ، وقدموا هذين العلمين على سائر ما حصلوه . وقد لقي بعضهم مشاهير اللغويين في البصرة والكوفة ، امثال الأصمعي والسجستاني والكسائي ، بل توغل بعضهم في الطلب ، فلقي الاعراب وشافههم وأخذ اللغة عنهم مباشرة . ولا تسعفنا المصادر دائما على تبين الأساتذة المشارقة الذين تثقف عليهم اولئك الراحلون ، من مؤدبين وغير مؤدبين ـ وهم كثر ـ ولكني أقف عند نماذج ممن لقي اولئك الاعلام :

١ ــ جودي النحوي (ــ ١٩٨/٨١٤) لقي الكسائي والفراء وغيرهما[١] .

٢ ــ الغازي بن قيس (ــ ١٩٩ / ٨١٥) ، أدرك الاصمعي ونظراءه[٢] .

٣ ــ محمد بن عبد الله بن سوار ، لقي ابا حاتم والرياشي[٣] .

٤ ــ قاسم بن أصبغ ، لقي ابن قتيبة والمبرد وثعلبا[٤] .

٥ ــ محمد بن عبد الله الغازي ، لقي الرياشي وابا حاتم[٥] .

٦ ــ محمد بن عبد السلام الخشني ، لقي المازني وابا حاتم والرياشي[٦] .

٧ ــ الاقشتين (ــ ٣٠٧ / ٩٢٠) ، لقي ابا جعفر الدينوري والمازني ، وانتسخ عن نسخة الأول كتاب سيبويه وأخذه عن الثاني[٧] .

٨ ــ منذر بن سعيد البلوطي ، لقي ابن ولاد بمصر[٨] .

وينقسم هؤلاء العلماء الذين لقيهم الاندلسيون المهاجرون في مدرستين (اذا استثنينا ابن ولاد الذي ينتمي لمصر ، وابا جعفر الدينوري

---

(١) طبقات الزبيدي : ٢٧٨ .
(٢) المصدر نفسه : ٢٧٧ .
(٣) المصدر نفسه : ٢٨٢ .
(٤) تاريخ ابن الفرضي ١ : ٤٠٥ .
(٥) طبقات الزبيدي : ٢٨٩ .
(٦) المصدر نفسه : ٢٩٠ .
(٧) المصدر نفسه : ٣٠٥ .
(٨) المصدر نفسه : ٣١٩ .

الذي قضى اكثر حياته بمصر أيضا) هما مدرستا البصرة والكوفة :
واليك ترتيبهم في هاتين الفئتين :

طبقة اللغويين والنحويين البصريين	طبقة اللغويين والنحويين الكوفيين
عبد الملك بن قريب الاصمعي	علي بن حمزة الكسائي
عمرو بن عثمان بن قنبر ، سيبويه	أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء
ابو عثمان بكر بن محمد المازني	محمد بن زياد بن الاعرابي
ابو حاتم سهل بن محمد السجستاني	ابو عبيد القاسم بن سلاّم
العباس بن الفرج الرياشي	يعقوب بن السكّيت
ابو العباس محمد بن يزيد المبرد	
ابو اسحاق ابراهيم بن السري الزجّاج	
ابو محمد عبد الله بن مسلم ، ابن قتيبة	
محمد بن الحسن بن دريد	

ومن هذا الثبت يمكننا أن نرى كيف أن حملة اللغة والنحو في الاندلس كانوا ــ في اغلب الاحيان ــ تلامذة الطبقة الاولى من اللغويين والنحويين المشارقة ، وأنهم منذ البداية نشروا في بلدهم أصول المدرستين النحويتين اللغويتين ، مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة ، الا ان تلامذة مدرسة البصرة كانوا ظاهرين في الاندلس على نظرائهم ، كما أصبح كتاب سيبويه لديهم هو غاية المتعلقين بالدراسات النحوية • وهذا أمر سينال مزيدا من الوضوح في القرون التالية . ومن امثلة الاهتمام بهاتين

المدرستين ما لقيه زعيما المدرستين : سيبويه والكسائي . فلقد رحل الاقشتين الى المشرق ولقي ابا جعفر الدينوري وانتسخ كتاب سيبويه من نسخته ، وأخذه عنه رواية ، وأخذه عن المازني[1] . وأما أبو وهب بن عبد الرءوف فقد طالع كتاب سيبويه ونظر فيه[2] . وقد قرىء الكتاب على محمد بن يحيى الرباحي وأخذ عنه رواية[3] . وكان جودي النحوي اول من ادخل كتاب الكسائي[4] . واما « البغل » فقد وضع مؤلفا في شرح كتاب الكسائي[5] .

٣ ـ رحلة لغويين مشارقة الى الاندلس

وتقابل هذه الرحلة الاندلسية الى المشرق هجرة بعض المشارقة الى الاندلس ممن لهم اهتمام باللغة والنحو ، ولدينا بعض اسماء هؤلاء الراحلين في هذه الفترة وهم ــ حتما ــ أقل عددا بكثير من نظرائهم الاندلسيين الراحلين الى المشرق ، ولم تكن غايتهم من الرحلة طلب العلم لأن المشارقة كانوا يرون أنهم أوفر نصيبا من الاندلسيين في الشئون العلمية ، ولذلك كانت لهم من الرحلة غايات أخرى منها التجارة ، أو التكسب عامة ، أو أسباب أخرى خاصة . ومن هؤلاء الراحلين ابو جعفر

---

(١) طبقات الزبيدي : ٣٠٥ .
(٢) المصدر نفسه : ٣٢١ .
(٣) المصدر نفسه : ٣٣٦ .
(٤) المصدر نفسه : ٢٧٨ .
(٥) المصدر نفسه : ٢٩٧ .

أحمد بن محمد بن هارون البغدادي[1] ، وهو من ذلك الفريق المشرقي الذي كان يظن الاندلس قطرا متأخرا في الامور العلميــة ، فلما شاهد ما فيها من نهضة علمية خرج معجبا بما رأى ، قال لمن سأله بعــد عودته منها الــى المغرب : كيف تركت الاندلس : « والله لقد رأيت بهــا ما لم أتوهم أن أراه مع نأي دارهــا ، لقد رأيت فقهــا وشعرا ونحويين وأدباء ... »[2] ويبدو أن هــذا البغدادي دخل الانــدلس متجسســا ، وتجول فيها أعواما ، ولكن من الناحية العلمية نجد أن بعض الاندلسيين أخذوا عنه ، كما أنه جلب معــه بعض كتب ابن قتيبة وبعض كتب عمرو ابن بحر الجاحظ[3] .

ومن المهاجرين رجل يعرف بالعجلي ، وقد هاجر الى الاندلس من العراق ولا نعرف كثيرا عنه سوى أنــه ضن بكتبه ومنعها مــن الطلبة وأستدعى الناس للاملاء عليهم بقرطبة فهرع اليه الناس بما في ذلك تلامذة الخشني ، وكانت اللغة من املاءاته[4] .

وقــد أحدثت هجرة المشارقة بعض المنافسة بينهــم وبــين علماء الاندلس ، فقد انفض تلامذة الخشني عنه ولحقوا بالعجلي ، فما كان من

---

(١) ورد في طبقات الزبيدي : ٢٩٦ أن اسمه محمد بن هارون ، ولعل هنا سهوا فقد ذكره ابن الفرضي في تاريخه (١ : ٧٤) في من اسمه « أحمد » من الغرباء .
(٢) طبقات الزبيدي : ٢٩٦ .
(٣) تاريخ ابن الفرضي ١ : ٧٤ .
(٤) طبقات الزبيدي : ٢٩٨ .

أحد المخلصين للخشني الا أن جلس في مجلس العجلي وخطأه في بعض ما يورده من اللغة ، فكان ذلك سببا في انفضاض الناس من حوله ، ولما عرف الخشني ما قام به صديقه من أجله استدناه وقبل بين عينيه شاكرا وقال له « نعم مستودع العلم أنت »[1] .

وتبدو هذه المنافسة على وجهها الواضح في حال أبي محمد الاعرابي وهو المهاجر المشرقي الثالث الذي تحدثنا عنه المصادر بوضوح . قدم هذا الاعرابي من الحجاز ونزل باشبيلية على رئيسها ابراهيم بن حجاج [2] ويسميه ابن حيان الاعرابي العذري ، أما الزبيدي فيدعوه الاعرابي العامري . وقد كان « فصيح اللهجة ذا قطع من الشعر مستحسنة »[3] . وربما أثار ما حصله من منزلة عند صاحبه ابن حجاج نفوس المشتغلين باللغة عليه ، فناصبوه العداوة وتتبعوا سقطاته . فكان قاسم بن محمد احد اقرباء ابن حجاج كثير المنازعة له[4] . وكان العامري يتعمد التقليل من شأن اللغويين امثال قاسم هذا ، أو حسب ما روى الزبيدي كان « قليل الالتفات الى أهل العلم بالعربية مظهرا للغنى

---

(١) المصدر نفسه .
(٢) ابراهيم بن حجاج : كان واليا على اشبيلية من قبل عبدالله بن محمد . قال حيان بن خلف : لما ملك ابراهيم بن حجاج اشبيلية وقرمونة وما والاهما ، ارتفع ذكره ، وبعد صيته ، واتخذ لنفسه جندا ، ورتب لهم الارزاق كفعل السلطان . وكان فظا على أهل الريب ، قامعا لاهل الشر . ومدحه الشعراء ومنهم ابن عبد ربه . ومات عام ٢٨٨/٩٠١ . (انظر البيان المغرب ٢ : ١٨٨ ــ ١٩٥) .
(٣) المقتبس : ١٣ .
(٤) طبقات الزبيدي : ٣١٢ .

عنهم »[1] . ويبدو انه كان يلقي عليهم المسألة في شئون اللغة والنحو استخفافا بهم وامتحانا لهم في آن واحد . من ذلك قوله لقاسم المذكور « يا ابا عمرو أتقول للمرأة انت تؤدين كذا ، فكيف تقول للنسوة ؟ فقد اختلط علي ذلك بسبب دخول امصاركم ومخالطتي لكم »[2] . وفي قوله هذا نلمس تهكمه بمن يحصلون اللغة من أهل المدن عن طريق التعلم ، واعتداده باعرابيته . ومن سقطاته التي تتبعوها بالنقد ، قوله ذات يوم حين شكر ابراهيم بن حجاج : ايها الامير ما سيدتك العرب الا بحقك ، فانكر ابو الكوثر الخولاني عليه قوله سيدتك بالياء وقال له : يا ابا محمد العلماء بالعربية عندنا لا يقولون الا سودتك . فقال : يخطئون ويصحفون ، فانتهر ابراهيم ابا الكوثر ، وقال : يتسورون على الاعراب في لغاتهم ويعارضون من ينطلق بالسليقية !... فخجل ابو الكوثر وكتب بالخبر الى يزيد بن طلحة العبسي المعروف بالفصيح ، وكان من أشهر من بغربي الاندلس من العلماء بالعربية ، فأجابه أن المعروف سودتك بالواو ، وقال فلعل ما ذكره الاعرابي لغة لقومه . فعرض ابو الكوثر جوابه على الامير ابراهيم فلم يزدد الاعرابي بذلك الا محكا ولجاجة ، وشد شكيمته ابراهيم نصرة وعصبية ، واحضر يزيد ابن طلحة فوبخه ، وذهب الى تثبيت قول الاعرابي فقال له يزيد اصلح

(١) المصدر نفسه .
(٢) المصدر نفسه .

الله الامير ان بيان العلم ليس يجي من جهة المغالبة وانما يصح بالانصاف[1] ...

على أن الفائدة العلمية التي كان ينقلها أمثال هؤلاء المهاجرين المشارقة لا توازي ما كان ينقله الراحلون الاندلسيون ، أولا : لقلة المهاجرين ، ثانيا : أن هؤلاء المهاجرين لم يكونوا من طراز عال في علمهم واطلاعهم ، ثالثا : ان هدفهم لم يكن علميا في الغالب ، ولذلك فان الأثر الذي أحدثه المشارقة المهاجرون قبل ورود القالي يعد ظاهرة ضئيلة الأثر في الحياة العلمية بالاندلس .

٤ ـ هجرة الكتب المشرقية الى الاندلس

وأيا كان الامر فان هؤلاء الراحلين ، من اندلسيين ومشارقة ، هم الذين غذوا الدراسات اللغوية والنحوية في الاندلس ، لا بما جلبوه من علم مروي فحسب ، وانما بالكتب التي هاجرت معهم . وستظل هجرة الكتاب المشرقي في هذا العصر وفي ما تلاه من عصور ظاهرة هامة في تحديد التيار العام الذي تسير فيه الحياة اللغوية في الاندلس . فهي التي تقرر نوع الكتب المتداولة لدى المدرسين والطلاب ، وهي التي توجه أيضا حركة التأليف الاندلسي .

ومن الطبيعي أن تكون أشد الكتب ذيوعا في هذه الفترة هي كتب

---

(١) طبقات الزبيدي : ٢٩٥ ، والمقتبس : ١٤ .

الأعلام التي ظهرت قبل نهاية القرن الثالث . وقد مر بنا كيف ان ابا جعفر البغدادي أدخل كتب ابن قتيبة والجاحظ الى الاندلس ، وكيف ان الأقشتين اتسخ كتاب سيبويه . وهب ان المصادر لم تحدثنا تفصيلا عن سائر الكتب التي دخلت في هذه الفترة فلسنا نبعد عن الصواب حين نتصور أن كثيرا من كتب الاصمعي والكسائي والفراء والمازني وابن ولاد قد عرفها الاندلسيون وتداولوها . « وذكر بعض الرواة ان وهب بن نافع أخذ كتب أبي عبيد عن علي بن ثابت وابي جعفر محمد بن وهب المسعري وهو أول من أدخلها الاندلس ، وأول من أخذت عنه ، ثم أدخلها الخشني بعده »[1] . واهتم الاندلسيون الراحلون أيضا بكتاب العين للخليل ، فيقال ان قاسم بن ثابت واباه اول من أدخله الى الاندلس[2] . كذلك رواه في المشرق موهب بن عبد القادر الباجي وكتبه ، وجمع هذا الرجل وقر جمل من الكتب المشرقية في عودته الى وطنه ، ولكنه توفي قبل ان يبلغه . وكان من نصيب كثير من كتبه ان تصل مع المرافقين له من أهل بلده[3] . كذلك اهتم منذر بن سعيد بهذا الكتاب فرواه بمصر عن ابي العباس بن ولاد ، وأدخل معه نسخة منه عند عودته الى قرطبة . وهي نسخة وقعت من بعد للحكم المستنصر ، وطلب الى علماء اللغة يومئذ

---

(١) تاريخ ابن الفرضي ٢ : ١٦٠ . وقد توفي وهب المذكور سنة ٨٨٧/٢٧٣ .
(٢) المصدر نفسه ١ : ٤٠٣ .
(٣) المصدر نفسه ٢ : ١٥٢ .

مقارنتها على غيرها من النسخ ، وظهرت كثيرة التصحيف والخطأ والتبديل[1] .

غير أن بعض هذه الكتب لقي من القبول اكثر مما لقيه سواه • ونخص بالذكر كتاب سيبويه وكتاب العين للخليل وكتاب الغريب المصنف لأبي عبيد وكتاب معاني القرآن لابن قتيبة • واذا كان الاول والثاني من هذه الكتب لم يتضح اثرهما تماما الا في القرن التالي ، فان الكتابين الثالث والرابع ، اعني الغريب المصنف ومعاني القرآن ، يفسران لنا طبيعة التأليف في هذا العصر الذي نتحدث عنه ، الأمر الذي سأوضحه بعد قليل.

وأود أيضا ان اميز الغريب المصنف من هذين الكتابين نظرا لما لقيته كتب ابي عبيد[2] على اختلاف موضوعاتها من اهتمام علماء الاندلس في هذه الفترة • وقد انتقلت رواية هذه الكتب الى المثقفين الاندلسيين من خمس طرق : أ ــ طريق طاهر بن عبد العزيز (ــ ٣٠٥ / ٩١٨) وكان هو اول من ادخل هذه الكتب الى الاندلس[3] . ب ــ طريق محمد بن عبد السلام الخشني وهو ثاني راوية نقل هذه الكتب الى الاندلس[4] .

---

(١) جذوة المقتبس : ٤٧ ، ٣٢٦ وتاريخ ابن الفرضي ٢ : ١٤٢ .
(٢) لأبي عبيد القاسم بن سلام عدد كبير من المؤلفات منها : الغريب المصنف ، الامثال ، غريب الحديث ، معاني القرآن ، كتاب في القراءات ، كتاب في الاموال (انباه الرواة ٣ : ١٤ ــ ١٥) .
(٣) طبقات الزبيدي : ٢٩٧ ، تاريخ ابن الفرضي ١ : ٢٤٣ .
(٤) تاريخ ابن الفرضي ٢ : ١٦ .

جـ ـ طريق عيسى بن شذانق[1] . د ـ طريق عيسى بن أيوب[2] . وهؤلاء الاربعة تتصل روايتهم مباشرة عن علي بن عبد العزيز تلميذ ابي عبيد . هـ ـ طريق وهب بن نافع الذي أخذ كتب ابي عبيد عن علي بن ثابت[3] . وهذه الطرق جميعا ـ وربما وجد غيرها ـ تدل على مبلغ ما لقيته مؤلفات ابي عبيد من اهتمام الراحلين . غير ان ابرز الرواة الاندلسيين جميعا ممن كانت تؤخذ عنه هذه الكتب هو محمد بن عبد السلام الخشني .

٥ ـ النشاط الشفوي في ميدان اللغة

ويبدو ان النشاط التأليفي في هذا العصر ظل ضعيفا محدود المجال، وان حياة اللغة غلب عليها الجانب الشفوي . فنحن نقرأ تراجم عشرات من المهتمين باللغة والنحو ممن ترجم لهم الزبيدي وابن الفرضي فلا نجد في ترجماتهم ذكرا لكتب ألفوها . وحسب المترجم في هذه الناحية ان يقول : « كان من أهل العلم بالعربية واللغة »[4] ، او يقول : « كان له حظ من اعراب ولغة »[5] ، أو يقول « كان له بصر تام بالنحو واللغة »[6] ، أو يقول : « كان متقدما في معرفة لسان العرب والبصر

---

(١) المصدر نفسه ١ : ٣٧٥ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) المصدر نفسه ٢ : ١٦٠ .
(٤) طبقات الزبيدي : ٢٨٧ .
(٥) المصدر نفسه : ٣١٤ .
(٦) المصدر نفسه : ٣٢٧ .

بلغاتها »[1] ، ومــا أشبه ذلك من تعميمات ليس فيهــا دقائق تفصيلية . وقد يشير كل ذلــك الى ان اكثر جهــود الاندلسيين يومئذ صرفت في تدريس الكتب المهاجرة او في المناقشة الشفوية لأمور جزئية . وفي هاتين الناحيتين لا تضن علينا المصادر ببعض الاخبار المفيدة . فقد ذكر الزبيدي ان يوسف البلوطي الذي كان يؤدب عند بني حدير « كان يقرأ عليه كتاب الادب وكتاب يعقوب في اصلاح المنطق ، ونحو ذلك من كتب اللغة »[2] . ولا ريب في ان كتاب الادب في هذا النص يعني كتاب « ادب الكاتب » لابن قتيبة (أو أدب الكتاب كما يدعى احيانا) . وكان موسى بن أزهر الاستجي العــالم اللغوي : « يقرأ عليــه شرح الحديث والغريب المصنف »[3] . وامــا المناقشة الشفوية فهي المجال الأكبر لطلاب اللغــة والنحو والمتطلعين الى معرفة ما خفي عليهم من شئون هذين العلمين . ولنا في « المذاكرة » مثل نموذجي من هذا القبيل . و « المذاكرة » هذا هو المنذر بن عبد الرحمن ، لقب بهذا اللقب ، « لانه كان اذا لقي رجلا من اخوانه قال له هل لك في مذاكرة باب من النحو ، فلهج بهذه الكلمــة واكثر منها حتى نبز بها »[4] . وكان اطلاعه في العربية موفورا ، ولذلــك كان علمه ضربا من الرواية التي ينحو بهــا منحى الاحجية . شاهد يوما

---

(١) تاريخ ابن الفرضي ١ : ٤٤ .
(٢) طبقات الزبيدي : ٣٢٣ .
(٣) المصدر نفسه : ٢٩٩ .
(٤) المصدر نفسه : ٣١٠ .

سيفا مع القائد ابن ابي عبدة فأخذه وسمى أجزاءه بما سمتها به العرب ، فعجب جميع من شهد المجلس من سعة علمه وصحة حفظه[1] . كذلك كان هذا النشاط الشفوي مصدرا كبيرا للمعرفة اللغوية ، وخاصة في أوائل هذه الفترة ، اذ لو كان التأليف اللغوي متوفرا يومئذ في قرطبة لما كان الامير نفسه يرسل البريد الى عالم لغوي يعيش في منطقة نائية ليسأله عن مسألة لغوية جرى الاختلاف فيها بين علماء اللغة في العاصمة . يقول الزبيدي في ترجمة خصيب الكلبي : « كان خصيب ساكنا بمورور ... وكانت المشيخة من أهل مورور يذكرون ان الفرانق كان يأتي من قرطبة من الخليفة محمد رضي الله عنه الى خصيب يستفتى في الكلمة من اللغة والمسألة من العربية تحدث عندهم »[2] . ولا يخلو هذا الاتجاه الشفوي من مماحكات يستدعيها اللجاج في الجدل أحيانا كما لا يخلو من التنافس والتحاسد بين ذوي الحرفة الواحدة المتنافسين على اكتساب قلوب الطلبة ، حسبما هي الحال في كل زمان ومكان . ومن صور هذا التحاسد ما نشأ بين أحمد بن بشر بن الاغبس وعبد الملك ابن شهيد من ناحية ، وبين عفير بن مسعود الغساني من ناحية أخرى ، فقد استخرج الاثنان الاولان من كتاب العين حروفا مهملة ونسخا من ذلك دفترا ضخما ولقيا عفيرا بالكتاب ، وقصدهما من ذلك أن يثبتا

---

(١) طبقات الزبيدي : ٣١١ .
(٢) المصدر نفسه : ٢٨١ .

عليه عدم الاطلاع وأن يوقعا عليه تهمة الغفلة ، ولكن عفيرا أبطل جميع ما جاءا به وأسقطه ونفى ان يكون من كلام العرب ، واضطر خصماه ان ينزلا على حكمه ويعترفا بعلمه ويفيئا الى الحق[١] .

كذلك فان ذلك الجدل الشفوي لم يكن يخلو من تعالم للدلالة على سعة الرواية ، مثلما كانت حال ابي عمرو بن حجاج الذي كان ينحو نحو الغريب والتقعر في اللفظ[٢] . وحال سعيد بن الفرج المعروف بالرشاش فانه كان أيضا شديد التقعر في كلامه[٣] . غير أن هذه الظاهرة الاخيرة من اقل الظواهر لدى لغويي الاندلس شيوعا ، وما ذلك الا لانهم سيشغلون بعد قليل بالمحافظة على سلامة اللغة دون الاسراف في انتجاء غرائبها . فمن الظواهر التي تلفت النظر في تاريخ اللغة في الاندلس تسرب الخطأ الى الكتابة . وقصة ابن فطيس الوزير الذي كتب الجخطب بالطاء في رسالة وأنكر عليه الزبيدي ذلك ، فلم يصغ اليه ، ليست الا نموذجا واحدا من هذا الخطأ[٤] . وقد اشار الزبيدي الى ان هذا اللون من الخطأ ضمنته الشعراء اشعارهم واستعمله جلة الكتاب[٥] . ولا نظن ان كلام الزبيدي ينصرف الى عصره فحسب وانما ينصرف بنفس القدر

---

(١) المصدر نفسه : ٢٩٩ .
(٢) المصدر نفسه : ٣١٢ .
(٣) المغرب ١ : ١١٤ .
(٤) لحن العوام : ٨ ، لم يذكر الزبيدي اسم الوزير ، وانما ذكره صاحب الذيل والتكملة ، انظر ٥ : ٧٣ .
(٥) المصدر نفسه : ٧ .

الى مقدمات عصره .

٦ ـ حركة التأليف اللغوي حتى أواخر القرن الثالث

ذلك هو حال النشاط الشفوي في ميدان اللغة . فاذا ذهبنا تتلمس النشاط في التأليف وجدنا ثمرة حفزت اليها مجالس التدريس من ناحية ، والاحتذاء للكتب المشرقية المهاجرة من ناحيــة أخرى . وأكبر ما يميز التأليف اللغوي في هذه الفترة عــدم انفصاله عن الحديث . وذلك هــو الاثر المباشر الذي تركه كتاب « الغريب المصنف » لابي عبيد القاسم بن سلام في نفوس اللغويين الاندلسيين . فأبرز المؤلفات اللغوية التي ظهرت يومئذ انما تتعلق باللغة من حيــث صلتهــا بغريب الحديث . وهــؤلاء المؤلفون فريقان ، فريق ألف كتابا او كتبا ولكن المصادر لــم تذكر شيئا عنها ، وفريق نعرف كتبهم باسمائها . فمن الفريق الاول :

١ ـ جودي النحوي (ـ ١٩٨/٨١٤) ، وله تأليف في النحو[١] .

٢ ـ ابن ابي غزالــة . له كتاب ألفه في العربية[٢] .

٣ ـ خصيب الكلبي • له كتــاب مصنف في اللغــة نحو مصنف ابي عبيد[٣] .

٤ ـ ابو بكر بن خاطب المكفوف (بكر بن خاطب حسب رواية ابن

---

(١) طبقات الزبيدي : ٢٧٨ .
(٢) المصدر نفسه : ٢٨١ .
(٣) المصدر نفسه .

الفرضي) . له تأليف في النحو[1] .

٥ ــ ابو الاصبغ عثمان بن ابراهيم البرشقيري . لـه تأليف في النحو[2] .

٦ ــ يحيى بن عبد الرحمن الملقب بالابيض (ــ ٢٦٣ / ٨٧٧) . « الف في النحو كتابا أخذه الناس عنه »[3] .

٧ ــ ابو الحسن مفرج بن مالك النحوي ، الملقب بالبغل . له كتاب في شرح كتاب الكسائي[4] .

ومن الفريق الثاني :

١ ــ عبد الملك بن حبيب (ــ ٢٣٩/٨٤٥)[5] . غلبت عليه شهرته في الفقه والحديث ، ولكنه كان جامعا لضروب الثقافة الاسلامية وقد ذكره ابن الفرضي في كتابه طبقات الادباء فجعله صدرا فيهم وقال : انه كان فقيها مفتيا نحويا لغويا نسابة اخباريا عروضيا فائقا شاعرا محسنا مترسلا حاذقا[6] . وله مؤلفات جمة يهمنا منها في الجانب اللغوي كتابه

---

(١) المصدر نفسه : ٢٩٧ ، تاريخ ابن الفرضي ١ : ١١٢ .
(٢) المصدر نفسه : ٣٣٤ .
(٣) تاريخ ابن الفرضي ٢ : ١٧٩ .
(٤) طبقات الزبيدي : ٢٩٧ .
(٥) ترجمته في : طبقات الزبيدي : ٢٨٢ ، تاريخ ابن الفرضي ١ : ٣١٢ ، جذوة المقتبس : ٢٦٣ ، بغية الملتمس رقم ١٠٦٣ ، الديباج المذهب : ١٥٤ ، تذكرة الحفاظ : ٥٣٧ .
(٦) الديباج المذهب : ١٥٤ .

في غريب الحديث . كذلك سماه ابن الفرضي في ثبت كتب عبد الملك . واعاد ابن فرحون ذكره بهذا الاسم . ثـم ذكر ابن الفرضي في ترجمة مجاهد بن أصبغ البجاني قوله « وقرأت انا عليه كتاب شرح غريب الموطأ لابن حبيب »[1] ، ويبدو أنهما قسمان من كتاب واحد[2] .

٢ ــ محمد بن عبد السلام الخشني (ــ ٢٨٦/٨٩٩)[3] . رحل الى العراق وغيره من البلاد ، وكان من شيوخه محمد بن المغيرة ، ومحمد ابن وهب المسعري صاحبا ابي عبيد القاسم بن سلام وعنهما اخذ كتب ابي عبيد وأدخلها الاندلس . وقد أقـام في هذه الرحلة متجولا خمسا وعشرين سنة . وغلب عليه طلب الحديث وحفظ اللغة لانه لقي في أثناء رحلته أيضا كثيرا من أئمة اللغة كالسجستاني والرياشي والزيادي فأخذ عنهم كثيرا من كتب اللغة رواية الاصمعي ، وغيره . وكان تدريس اللغة في قرطبة يمثل جانبا من نشاطه . وقد ألف في شرح الحديث كتابا فيه من الغريب علم كثيـر .

٣ ــ قـاسم بن ثابت (ــ ٣٠٢/٩١٥)[4] . رحل مع ابيه ثـابـت

(١) تاريخ ابن الفرضي ٢ : ١٤٨ .
(٢) راجع الديباج المذهب : ١٥٥ .
(٣) ترجمته في : طبقات الزبيدي : ٢٩٠ ، تاريخ ابن الفرضي ٢ :١٦، جذوة المقتبس : ٦٣ ، بغية الملتمس رقم : ٢٠٢ ، تذكرة الحفاظ : ٦٤٩ .
(٤) ترجمته في طبقات الزبيدي : ٣٠٩ ، تاريخ ابن الفرضي ١ : ٤٠٢ ، جذوة المقتبس : ٣١٢ ، بغية الملتمس رقم : ١٣٠٠ ، وانباه الرواة ٣ : ١٢ ، ١ : ٢٦١ ، بغية الوعاة : ٣٧٦ ، الديباج المذهب : ٢٢٣ ، فهرسة ابن خير : ١٩١ ، ونفح الطيب ٢ : ٢٥٥ .

الى المشرق سنة ٩٠١/٢٨٨ ، وعني هو وأبوه بجمع الحديث واللغة . وكان قاسم مقدما بالمعرفة في الغريب والنحو . وقد ألف كتابا في شرح غريب الحديث ومعانيه ، وهو المسمى بكتاب « الدلائل » ، وبلغ من جودته أن نال عليه ثناء العلماء . روى الزبيدي عن القالي انه قال : « لم يؤلف بالاندلس كتاب أكمل من كتاب ثابت في شرح الحديث ، وقد طالعت كتبا الفت فيما لديكم ورأيت كتاب الخشني في شرح الحديث وطالعته فما رأيته صنع شيئا ، وكذلك كتاب عبد الملك بن حبيب »[١] . وقد بلغ من اعجاب القالي به أن أخذه على ولد القاسم وما كان ولده أهلا لان يؤخذ عنه . وقال فيه ابن حزم : « ما شآه ابو عبيد الا بتقدم العصر »[٢] . وقال الحميدي ان ابنه ثابتا زاد في هذا الكتاب زيادات ، وأظنه وهم في ذلك ، اذ ان المصادر الاخرى ذكرت ان ثابتا الاب هو الذي أكمل الكتاب بعد أن ثكل ابنه في حياته ، أما ثابت الابن فقد روى الكتاب عن جده اذ كان صغيرا حين توفي أبوه[٣] . وعن ثابت الابن انتقلت روايته في سائر الاندلس على مر الزمن . ومن نظر الى طرق الرواية التي اثبتها ابن خير لهذا الكتاب عرف مبلغ ما أحرزه من شيوع لدى علماء الاندلس من بعد .

هذه ثلاثة كتب في اللغة ، او ان شئنا الدقة قلنا في غريب الحديث ،

---

(١) طبقات الزبيدي : ٣٠٩ .
(٢) جذوة المقتبس : ٣١٢ .
(٣) فهرسة ابن خير : ١٩١ .

لم تصلنا . ولكنا اذا استأنسنا بحكم القالي عليها عرفنا أن ثالثها ، وهو كتاب قاسم ، كان اكثرها اتقانا ، حتى عند مقارنته بأمثاله من كتب أهل المشرق . ولهذا قال الزبيدي : « لو قال اسماعيل (القالي) انه لم ير بالمشرق كتابا أكمل من كتاب قاسم في معناه لما رددت مقالته »[1] .

وفيما عدا ما تقدم ذكره من مؤلفات لغوية ونحوية ، عرفت اسماؤها او لم تعرف ، لا نعرف جهدا آخر يستحق التنويه سوى ما صنعه زيد بن سليمان الحجري المعروف بالبارد (ـ ٣٠٠ / ٩١٣) ، فانه جمع بين الابواب في كتاب الاخفش ، واقتدى الناس به ، وكانت الابواب مفرقة[2] .

٧ ـ أشهر المدرسين وتلامذتهم

على أنا اذا اقتصرنا في النظر الى النشاط اللغوي على التأليف حرمنا ذلك رؤية الجانب الاكبر من هذا النشاط المعتمد على حلقات التدريس . ففي هذه الحلقات تخرج اكثر تلامذة اللغة والنحو في

---

(١) طبقات الزبيدي : ٣٠٩ ، أقول : وقد بلغ من اكبار الاندلسيين لهذا الكتاب أن حملوا قول القالي « لم يؤلف بالاندلس » ـ ولم يقل « لم يؤلف بالمشرق » محملا نسبوه فيه الى التعصب (انظر تاريخ ابن الفرضي ١ : ٤٠٣) .

(٢) طبقات الزبيدي : ٣٠٨ ، والتكملة : ٣٣١ . وذكر القفطي هذا عنه في انباه الرواة ٢ : ١٥ ، وبغية الوعاة : ٢٥٠ . واغلب الظن ان الأخفش المشار اليه هو سعيد بن مسعدة الاوسط ، المتوفى سنة ٢١١/٨٢٦ أو ٢١٥/٨٣٠ . أما كتابه المشار اليه فليس من اليسير تعيينه لان له عدة كتب (انظر الانباه ٢ : ٤٢) .

الاندلس ولم يكن المرتحلون الى المشرق العائدون بالكتب المشرقية الا أساتذة لاولئك العشرات من الطلبة الذين اتجهوا وجهة الدراسات اللغوية والنحوية . وليس من اليسير ان نحصر اساتذة اللغة في هذا المقام وتلامذتهم الذين غلبت عليهم الثقافة اللغوية . ولهذا اكتفي بأن أعرض ثلاثة نماذج متفاوتة للتعرف الى الجهود الدراسية في ميدان اللغة ، وعدد من تخرج في هذه الدراسات ممن أصبحوا حملة اللغة في القرن التالي .

وابرز المدرسين اللغويين ممن تخرج على يديه اكبر عدد من الطلبة هو قاسم بن أصبغ البياني[١] . وقد سمع في رحلته من علي بن عبد العزيز تلميذ ابي عبيد كما سمع من ابن قتيبة والمبرد وثعلب . ولكن الطلبة كانوا اكثر اليه اقبالا ليدرسوا عليه كتب ابن قتيبة . وهذا جدول بدارسي اللغة الذين أخذوا عنه[٢] :

---

(١) ترجمة قاسم بن أصبغ في تاريخ ابن الفرضي ١ : ٤٠٦ .

(٢) اعتمدت في حصر أسماء الطلبة على كتابي ابن الفرضي والزبيدي، والاول منهما أكثر عناية بذكر الشيوخ والطلاب في الترجمات التي أوردها .

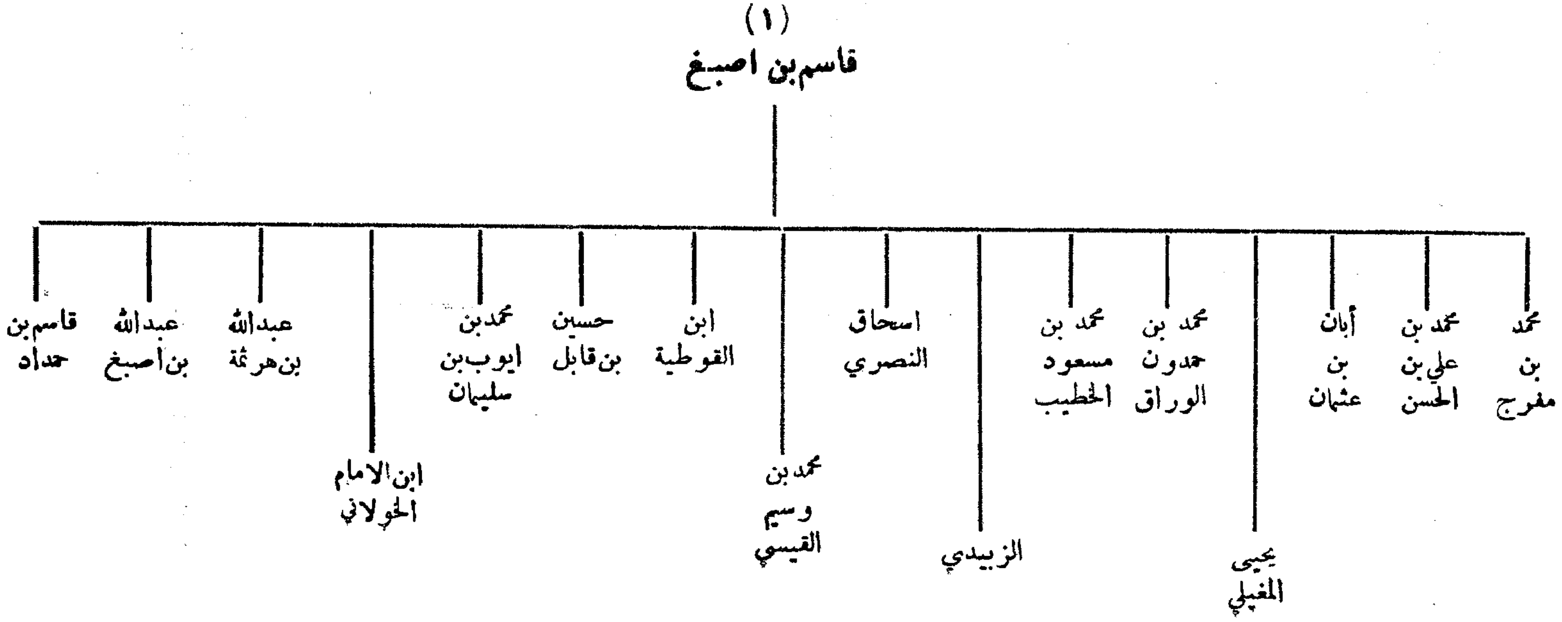
(١)
قاسم بن اصبغ
محمد بن مفرج
محمد بن علي بن الحسن
أبان بن عثمان
يحيى المغيلي
محمد بن حمدون الوراق
محمد بن مسعود الخطيب
الزبيدي
اسحاق النصري
محمد بن وسيم القيسي
ابن القوطية
حسين بن قابل
محمد بن ايوب بن سليمان
ابن الامام الخولاني
عبدالله بن هرثمة
عبدالله بن اصبغ
قاسم بن حداد

فهؤلاء ستة عشر تلميذا ممن درسوا على قاسم ثم كانت اللغة أهم بضاعة لهم . وثاني هؤلاء المدرسين هو الخشني ، وليست قلة العدد في تلامذته دليلا على أنه كان أقل حظا من قاسم بن أصبغ ولكن اكثر الطلبة الذين درسوا على الخشني انما اتجهوا وجهات علمية أخرى غير الوجهة اللغوية . وهذا جدول بأهم تلامذة الخشني اللغويين

(٢)
الخشني

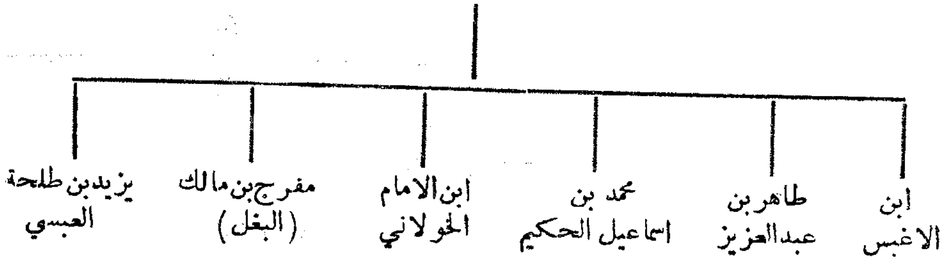

والنموذج الثالث يمثله محمد بن عبد الله بن الغازي ، وهذا جدول بتلامذته :

(٣)
محمد بن عبد الله بن الغازي

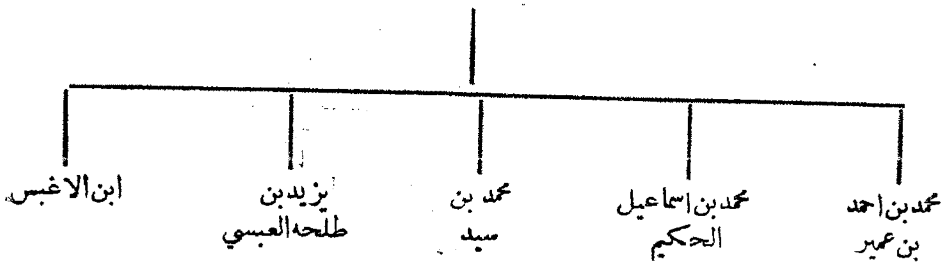

وتطلعنا هذه الجداول الثلاثة على الحقيقتين التاليتين :

(١) أن الطالب لم يكن يكتفي بالتردد الى مدرس واحد ومن أمثلة ذلك الحكيم (٣،٢) ويزيد بن طلحة (٣،٢) وابن الامام الخولاني (٢،١) وابن الاغبس (٣،٢) .

(٢) أنه لم ينل من هؤلاء الطلبة شهرة العالم في القرن التالي سوى اثنين هما الزبيدي وابن القوطية ، وهما من تلامذة قاسم بن أصبغ .

وهؤلاء جميعا سيكونون أساتذة اللغة في القرن الرابع هم والمبكرون في الاخذ عنهم من تلامذتهم . وباستثناء الزبيدي وابن القوطية كان من الممكن أن تظل صورة القرن الرابع من حيث النشاط اللغوي المحلي تدريسا ومناقشة وما الى ذلك من نشاط شفوي . وليس من استباق القول في هذا الموطن أن أشير الى أن صورة القرن الرابع اللغوية قد تغيرت كثيرا عن هذا ، اذ كانت حافلة بألوان من التأليف اللغوي المتنوع . ومعنى ذلك أن هناك عوامل تدخلت في توجيه الحياة اللغوية في ذلك القرن ، وهي ما سنقف عنده في الفصل التالي .

٨ ــ هل كان هذا النشاط اللغوي النحوي وقفا على العناصر العربية في الاندلس

ذلك سؤال قد يضطر الدارس الى طرحه في كل حقبة من حقب هذه الدراسة ، ولكن اهميته في هذا المقام اشد ، لان الاجابة عليه يمكن ان تصور لنا الى اي حد تعربت العناصر غير العربية في الاندلس ، وأقبلت تشارك بجهودها في دراسة اللغة العربية .

ان التراجم التي وصلتنا لهؤلاء العلماء لا تشير دائما الى انسابهم ،

كما ان النسب العربية التي تطلق عليهم لا تدل على انهم عرب أصالة ، اذ كان من حق الموالي ان يتخذوا تلك النسب . ولكن الاخبار اليسيرة التي لدينا تدل على ان الموالي والبربر وبعض المولدين الأندلسيين شاركوا في هذا النشاط . فكان الاقشتين مولى الامير منذر بن محمد [1] . وكان عافي ابن سعيد مولى بني سيد[2] . وكان والد عباس بن ناصح عبدا لمزاحمة بنت مزاحم الثقفي [3] . وكان محمد بن زيد مولى الامير عبد الرحمن بن الحكم [4] . وكان قاسم بن أصبغ مولى امير المؤمنين الوليد بن عبد الملك. وكان ثابت وابنه قاسم من أصل بربري ينتسبان الى عوف بالولاء ، قال زكريا بن خطاب : « هم من البربر يتولون زهرة بن كلاب » [5] . وقال ايضا في حديثه عن ثابت : « هو مولى بني زهرة مولى علاقة ، وهم من البربر ، وانتماء البربر الى ولاء زهرة في ذلك الثغر وذلك المشرق (سرقسطة) كثير جدا لا ترى أحدا من البربر يذكر غير ولاء زهرة ، الا الشاذ منهم » [6] . ومن اشهر من عرف باللغة من مسلمة الذمة عبد الله بن عمر بن الخطاب من أهل اشبيلية [7] . ويقال ان عبد الملك ابن حبيب السلمي انما كانت نسبته الى سليم بالولاء وقيل انه من أنفسهم [8] .

---

(١) طبقات الزبيدي : ٣٠٥ .
(٢) المصدر نفسه : ٣٣٤ .
(٣) المغرب ١ : ٣٢٤ .
(٤) طبقات الزبيدي : ٣٣٥ .
(٥) فهرسة ابن خير : ١٩٣ .
(٦) المصدر نفسه .
(٧) تاريخ ابن الفرضي ١ : ٢٥٥ .
(٨) الديباج المذهب : ١٥٤ .

الكتاب الثاني

الحركة اللغوية في الأندلس
في القرن الرابع الهجري

الفصل الثاني

عوامل النهضة اللغوية ومظاهرها في هذا القرن

---

١ ـ العوامل الجديدة

آ ـ تمهيد :

هـذا هو عصر عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ـ٣٥٠ / ٩١٣ـ٩٦١) وابنه الحكم المستنصر (٣٥٠ـ٣٦٦ / ٩٦١ـ٩٧٧) والحاجب المنصور ابن ابي عامر (ـ ٣٩٢ / ١٠٠٢) علـى التوالي . وفيه بلغت الاندلس ذروة المجد السياسي والوحـدة السياسية في ظل الأمويين والعامريين ،

كما بلغت فيه قرطبة من العمران أقصى ما وصلت اليه ، فأصبحت الدولة خلافة (بعد ان كانت امارة) تشمل اكثر أجزاء الاندلس ، فهي قبلة الانظار في الناحيتين السياسية والحضارية . اما في الناحية السياسية ، فآية هذا الذي بلغته أصداء شهرتها في العالم الخارجي تلك الوفود التي وفدت في أيام الناصر وابنه الحكم لتعقد أواصر التحالف والصداقة مع الدولة الأموية في الأندلس . ذكر صاحب النفح نقلا عن ابن حيان وغيره انه « لم تبق امة سمعت به (أي الناصر) من ملوك الروم والافرنجة والمجوس وسائر الامم الا وفدت عليه خاضعة راغبة وانصرفت عنه راضية ومن جملتهم صاحب القسطنطينية العظمى ، فانه هاداه ورغب في موادعته ، وكان وصول أرساله في صفر سنة ٣٣٨ / ٩٤٩ » [١] ، او ٣٣٦ / ٩٤٧ ، حسب قول ابن خلدون [٢] . كذلك ترددت مثل هذه الوفود الى قرطبة أيام ابنه الحكم المستنصر [٣] . ولم تكن هيبة الحكم في أيام المنصور بأقل مما كانت عليه في أيام الناصر والحكم المستنصر . وأما في الناحية الحضارية فان قرطبة والزاهرة والزهراء على مقربة منها أصبحت مثلثا نموذجيا لأرقى ما بلغته المدنية يومئذ في شكلها المادي .

---

(١) نفح الطيب ١ : ٣٤٣ ، وأزهار الرياض ٢ : ٢٧٢ .
(٢) تاريخ ابن خلدون ٤ : ١٤٢ .
(٣) راجع نفح الطيب ١ : ٣٦٠ وأزهار الرياض ٢ : ٢٨٨ ، وفي المقتبس (مخطوطة مدريد) أخبار ضافية عن كثير من هذه الوفود بين ٣٦٠ – ٣٦٣ هـ / ٩٧١ – ٩٧٣ .

وكان كل هذا يتطلب اهتماما خاصا بالنواحي الثقافية حتى تكتمل الصورة الحضارية . فاذا قلت ان هذا العصر يتميز بنهضة عامة في نواحي العلم بالنسبة للعصر السابق فما ذلك الا لأن عوامل ايجابية جديدة قد دخلت في توجيه الحياة الثقافية في هذه الفترة . وليس من قبيل الرمز أن أقول ان هذا العصر افتتح بانشاء اكبر مكتبة عرفتها الاندلس واختتم بخراب هذه المكتبة . فقد اتفق أن كانت البداية بداية ارتفاع الخط الحضاري والثقافي في تاريخ الاندلس ، وكانت النهاية تبدد الوحدة السياسية والمجد السياسي ، وخراب العمران الذي شهدته قرطبة في عصرها الذهبي . يقينا ان العوامل السابقة من : رحلة الى المشرق ، وهجرة للكتب المشرقية ، ونشاط في حلقات التدريس ، وحيوية مفرقة في التأليف ، ظلت تفعل فعلها في هذا العصر كما فعلت في العصر السابق ، ولكن انضافت اليها عوامل جديدة جعلت جانبا من هجرة الكتب ومن حركة التأليف والتدريس نفسها امرا قائما على التنظيم والتشجيع الرسمي . وفي هذه العوامل الجديدة يعزى اكثر الفضل للحكم المستنصر الذي أشرف على تنفيذ المخططات الثقافية يوم كان وليا للعهد في حياة أبيه ، ويوم أصبح خليفة بعده[1] . فقد كان الحكم نفسه مثقفا ، ويمكننا

---

(1) راجع تشجيع الحكم لضروب الثقافة العامة في كتاب : تاريخ الادب الاندلسي ــ عصر سيادة قرطبة : ٤٣ ــ ٥٢ وقد وردت فيه اكثر الروايات التي استشهدت بها هنا .

دون عناء ان نعده واحدا من علماء الاندلس في هذا العصر ، وتلميذا لاكبر استاذين شهدناهما في العصر الماضي ، وهما : القاسم بن أصبغ والخشني ، « وكان في المعرفة بالرجال والاخبار والانساب أحوذيا نسيج وحده ، وكان ثقة فيما ينقل » [1] . وذكر ابن الابار انه « قلما وجد كتاب من خزائنه الا وله فيه قراءة او نظر في اي فن كان ، ويكتب فيه نسب المؤلف ومولده ووفاته ، ويأتي من بعد ذلك بغرائب لا تكاد توجد الا عنده ، لعنايته بهذا الشأن »[2] .

ب ــ جهود الحكم في النهضة اللغوية :

ونستطيع ان نتبين ما أداه الحكم من جهود ثقافية وخاصة ما كان منها يمس موضوع هذه الدراسة في الأمور الاتية :

١ ــ انشاء مكتبة عامة تابعة للقصر : « كان الحكم يستجلب المصنفات من الاقاليم والنواحي ، باذلا فيها ما أمكن من الأموال حتى ضاقت عنها خزائنه ، وكان ذا غرام بها قد آثر ذلك على لذات الملوك» [3] . وقال ابو محمد بن حزم « كان محبا في العلم ملأ الاندلس بجميع كتب العلوم واخبرني تليد الفتى وكان على خزانة العلوم بقصر بني مروان

(١) نفح الطيب ١ : ٣٧١ .
(٢) الحلة السيراء ١ : ٢٠٢ ونفح الطيب ١ : ٣٧١ .
(٣) نفح الطيب ١ : ٣٧١ .

بالاندلس ان عدد الفهارس التي كانت فيها تسمية الكتب اربع واربعون فهرسة ، في كل فهرسة خمسون ورقة ، وليس فيها الا ذكر أسماء الدواوين فقط »[1] . وكان جمعه لهذه الكتب يعتمد على تجار يرسلهم الى الاقطار او يبعث الى المؤلف نفسه فيطلب نسخة من كتاب ألفه ، كما فعل مع ابي الفرج الاصبهاني حين أرسل اليه بألف دينار ليحصل منه على نسخة من كتاب الاغاني[2] ، ووظف له نساخا في بغداد وغيرها لاستنساخ الكتب وارسالها الى الاندلس وكان من وراقيه ببغداد محمد بن طرخان[3] . كما رتب في جناح بقصره في قرطبة « الحذاق في صناعة النسخ والمهرة في الضبط والاجادة في التجليد »[4] ، « وتسامع الناس بشغفه بالكتب ونفاقها عليه فحملت من كل جهة اليه والملك سوق ما نفق فيها جلب اليها »[5] . ومن الطبيعي ان تحتل الكتب اللغوية مكانها اللائق بها في هذه المكتبة لان شغف الحكم بالكتب لم يكن فيه ايثار لعلم على آخر. قال صاعد : « واستجلب من بغداد ومصر وغيرهما من ديار المشرق عيون التواليف الجليلة والمصنفات الغريبة في العلوم القديمة والحديثة »[6] .

---

(١) جمهرة انساب العرب : ١٠٠ (الطبعة الثانية) : وانظر النفح ١ : ٣٦٢ ، والحلة السيراء ١ : ٢٠٣ ، وذكر صاحب النفح ان في كل فهرسة عشرين ورقة .
(٢) نفح الطيب ١ : ٣٦٢ .
(٣) انظر الحلة السيراء ١ : ٢٠٢ .
(٤) نفح الطيب ١ : ٣٦٢ .
(٥) الحلة السيراء ١ : ٢٠١ .
(٦) طبقات صاعد : ٦٦ .

وبعد أسطر من هذا النص نستدل علـى ان المكتبة كانت تحوي كتبا في علوم المنطق وعلم النجـوم والطب والحساب واللغة والنحو والاشعـار والاخبار والفقه والحديث وغيرها . فاللغة اذن من الموضوعات التي عني الحكم بكتبها في ما عني .

وكان جمع الحكم لهذه الكتب حافزا علـى الاقتداء ، وسرعان ما أخذ السراة في قرطبة يقلدون الخليفة بانشاء مكتبات خاصة[1] . ومـن أشهر هـذه المكتبات مكتبة ابن فطيس التي كـان يعمل فيها ستة مـن النساخين ولها أمين خاص ، ويقول الاستاذ خوليان ريبيرا في مقاله القيم عن المكتبات وهواة الكتب في اسبانيا الاسلامية : « ان تأسيس المكتبات لم يكن قاصرا على الاثرياء وحدهم ، بـل اننا نجد هذه الرغبة أيضا بين الطبقات الفقيرة التي تعيش على كسب ايديها . ونذكر هنا علـى سبيل المثال مكتبة معلم مدرسة فقير هو محمد بن حزم وكان يعيش علـى مـا يكسبه من التدريس للاطفال ، يساعده في ذلك ابن لـه يتعهد الصبيان وابنة تتعهـد البنات . وقد خصص المبـالغ الضئيلة التي كان يستطيـع ادخارها لشراء الكتب ، كما استغل اوقات الفراغ بـين الدروس لنسخ ما كان يستعيره اصدقاؤه »[2] . كذلك شاركت المرأة الاندلسية في جمـع الكتب وفي نسخها ، فكان في الربض الشرقي مـن قرطبة مائة وسبعون

---

(١) راجع حضارة العرب لبروفنسال : ٦١ .

(٢) مجلة معهد المخطوطات ، مجلد ٤ : ٩٢ ، نقلا عن التكملة ٣٥٨ .

امرأة لنسخ المصاحف بالخط الكوفي [1] . وهذه العنـاية بالنسخ وجمع الكتب ـ وهي عناية ستستمر وتتزايد طوال هذا العصر والعصر التالي ـ جعلت مجال الاطلاع ميسرا لفئات كثـيرة ، فأصبح تداول الكتب سهلا على الطلاب والمثقفين .

٢ ـ حفز الهمم الى التأليف واغداق العطاء على المؤلفين ، واكرام العلماء بصنوف التقدير : وهذه ناحية تضم اتجاهات علمية كثيرة ، فيها التأليف في الانساب والحديث والفقـه وجغرافيـة الاندلس وتاريخهـا وتراجم قضاتها وأدبائها وغير ذلـك . ولكـن ما يهمنا منها هو الناحية اللغوية . وانا على مثل اليقـين بأن الحكم اولاها أيضا من عنايته مثـل ما أولى سائر العلوم ، فنحن مدينون للحكم بحفز الزبيدي الى كتابـة مؤلفه القيم في طبقات النحويين واللغويين في المشرق والاندلس وفيه من تراجم اللغويين والنحويين الاندلسيين ما أصبح معتمدا لكـل مؤلف في هذا الموضوع من بعد ، وذلك هو القسم الذي اعانني على تصوير بواكير الحياة اللغوية في الاندلس حتى مطلع القرن الرابع . وتدل مقدمة الزبيدي على هذا الكتاب أن الحكم لم يقف عنـد حد الاقتراح بل حد للزبيدي الشكل الذي سيتخذه تأليفه ، وأمده بعنايته وعلمه وأوسعه من روايته وحفظه [2] . ولعل كتاب لحن العوام انما الف أيضا طلبا لرضى الحكم

(١) مقالة ريبيرا ، نقلا عن المعجب : ٢٤٨ .
(٢) انظر طبقات الزبيدي : ٩ ـ ١٠ .

واستمدادا لفضله ، ان لم يكن قد الف بطلب منـه [1] . وكذلك مختصر العين كما أبين ذلك في موضعه . وما كـان حرص الحكم علـى الزبيدي واكرامه لابي علي القالي ، كما سأوضح بعد قليل ، الا ترسيخا لاصول النهضة اللغوية حينئذ . ولم يكن القالي والزبيدي هما الوحيدين بـين علماء اللغة اللذين نالا تقدير المستنصر واكرامه ، بـل كان هذا التقدير يشمل عددا كبيرا من العلماء بينهم بعض علماء اللغـة وان لـم ينفردوا بالاتجاه اللغوي . من هؤلاء عبد الله بن محمد المعروف بالسري ، وكان عالما بالعـدد والهندسة ، وهو في الوقت نفسه امـام في النحو واللغة ، « وكان الحكم المستنصر بالله يعظمه ويؤثره » . الا ان الرجل كان زاهدا في شئون الدنيا[2] .

٣ ـــ التدقيق العلمي في الأصول اللغوية : كان الخليفة الحكم ذا اهتمام خاص بأن تكون الأمهات في كل علم صحيحة الأصول لا مسرب فيها للخطأ والتصحيف . وقصته في اعتماد نص صحيح دقيق مـن كتاب « العين » تدل على ذلك . فقد كـان في أثناء جمعه لمختلف الكتب قـد حصل على نسخ كثيرة التصحيف مـن كتاب « العين » ، ومنها النسخة التي كان قد رواها بمصر القاضي منذر بن سعيد البلوطي ، فجمع الحكم

(١) انظر لحن العوام : ٩ .
(٢) طبقات الامم : ٦٧ ـــ ٦٨ .

اربعة من أكابر علماء اللغة في قرطبة ، وهم : ابو علي القالي ، ومحمد بن ابي الحسين ، وابنا سيد ، وطلب اليهم المقارنة بين النسخ لاستخراج نسخة دقيقة الضبط يقرها هؤلاء الاعلام[1] . ولو وصلتنا اخبار تفصيلية عن هذه النواحي لوجدنا ان كتاب العين لم يكن فريدا بهذه العناية ، فنحن نعلم ان المستنصر قد أسند وظيفة المقارنة بين الكتب الى علم من أعلام اللغة هو الرباحي ووسع له في النزل والجراية[2] .

٤ ـ الترجمة : لعل هذه الناحية أضعف من سواها في الاندلس ، اذا نحن قارناها بما كان يتم في بغداد في عصر الرشيد والمأمون . فقد كان بامكان الحكم ان يستورد الكتب المترجمة من المشرق دون أن ينفق جهدا مستأنفا في ترجمتها . وعلى هذا وصلته كتب كثيرة في علوم الاوائل مما كانت ترجمته قد تمت في المشرق . ولكن الذي يلفتني الى هذه الناحية وصول كتابين هدية من امبراطور القسطنطينية ، هما كتاب هروشيوش *Paulus Orusius* في التاريخ ، وكتاب ديوسقوريدوس في النبات . اما الكتاب الأول فقد قال فيه ملك القسطنطينية في رسالته الى عبد الرحمن الناصر : « أما كتاب هروشيوش فعندك في بلدك من اللاطينيين من يقرؤه باللسان اللاطيني وان كاشفتهم عنه نقلوه لك من

---

(١) جذوة المقتبس : ٤٧ ـ ٤٨ .
(٢) طبقات الزبيدي : ٣٤٠ .

اللاطيني الى اللسان العربي »[1] . وقد ترجمه للحكم المستنصر قاضي النصارى وترجمانهم بقرطبة وقاسم بن أصبغ[2] . وأما كتاب ديوسقوريدوس فانه كان مكتوبا باللغة الاغريقية مصورا ، ولم يكن بقرطبة من نصارى الاندلس من يقرأ اللسان الاغريقي فبقي في خزانة عبد الرحمن الناصر دون ان يترجم . فلما رد الناصر على رسالة امبراطور القسطنطينية سأله ان يبعث اليه برجل يتكلم الاغريقية ليعلم له عبيدا يكونون مترجمين ، فبعث اليه الامبراطور براهب يسمى نيقولا ، وصل الى قرطبة سنة ٣٤٠/٩٥١ ، فاجتمع بقوم من المهتمين بشئون العقاقير فتعاون معهم على تصحيح اسماء العقاقير في ذلك الكتاب بالوقوف على أعيانها في مدينة قرطبة[3] . وترجمة هذا الكتاب وتعيين اسماء الحشائش فيه بدقة من الامور التي اضافت الى الثقافة اللغوية . فقد ظل علم النبات قرينا لعلم اللغة من حيث المعجم الجديد الذي كان يضيفه الى المعجم العربي عامة . وأما فيما يتصل بغير هذين الكتابين فلا نعرف اهتماما آخر بالترجمة يغني اللغة العربية كما حدث في حقل الترجمة بالمشرق .

٥ ــ استقدام العلماء للعمل في قرطبة : وفد على الأندلس بتشجيع

---

(١) عيون الانباء ٣ : ٧٦ ، طبعة بيروت ، وتاريخ هروشيوش اثر اسباني (راجع تراس : ١٣) .
(٢) تاريخ ابن خلدون ٢ : ٨٨ ، ومقدمة كتاب طبقات الاطباء والحكماء لابن جلجل : (كط) .
(٣) عيون الانباء ٣ : ٧٦ ــ ٧٧ .

من الحكم عدد من علماء الأمصار ليعاونوا في النهضة الثقافية ، وليجدوا حظوظ انفسهم أيضا . ومن ذوي الاتجاه اللغوي فيهم « ابو الحسين بن الفارس وهو من أهل حلب روى بالمشرق عن جماعة من الشاميين والبصريين ، ووفد على المستنصر بالله فأجرى عليه وتوسع له وقرأ عليه الناس كثيرا شيوخا وشبانا ، وقرأ عليه ابو بكر الزبيدي ــ رحمه الله ــ ومن قرأ على الزبيدي . ومات سنة ٣٧٦ / ٩٨٦ » [١] . وأبرز شخصية بين المهاجرين ابو علي القالي الذي وفد من بغداد باستدعاء من الحكم نفسه في الأرجح . وتلقاه الحكم والناصر بالحفاوة والاكرام . ولم تكن هجرة القالي الى قرطبة أمرا عاديا نقف منه كما نقف من هجرة أي رجل آخر ، بل كانت هجرة ذات أثر بعيد في الحياة اللغوية بالاندلس ، فقد تمثل أثرها في النشاط الذي أثاره القالي من حوله في قرطبة والزهراء . فقد كان يملي أماليه على طلبته بالزهراء كل يوم خميس ، ثم زاد فيه فبلغه ستة عشر جزءا للعامة ، ثم زاد فيه فبلغه عشرين جزءا للحكم [٢] . وتمثل هذا النشاط في كبار التلامذة الذين التفوا من حوله وتخرجوا به ، وفي حلوله من نفوس هؤلاء الطلبة رمزا لما يمكن أن يمثله العالم الحق ، وفي الكتب التي جلبها معه مقروءة على العلماء محققة الأصول . فقد جلب معه

(١) فهرسة ابن خير : ٤٠٨ .
(٢) المصدر نفسه : ٣٢٥ .

دواوين الشعر الجاهلية والاسلامية مثل شعر ذي الرمة والحطيئة وعمرو ابن قميئة والنابغة والشماخ والاعشى وأوس بن حجر والاخطل وامرىء القيس ونقائض جرير والفرزدق الى غير ذلك مما عده ابن خير في فهرسته [1] . وهي دواوين قرأها على العلماء أمثال نفطويه وابن دريد ، وتعد أصول الشواهد اللغوية . كذلك حدث الاندلسيين بكثير من أمهات كتب اللغة ، ككتاب نوادر اللحياني ونوادر ابي زياد الكلابي والاضداد لثعلب وكتب يعقوب بن السكيت ، ومنها القلب والابدال وكتاب الاصوات وكتاب الفرق وكتاب خلق الانسان وكتاب النبات وكتاب الاضداد . وحدث أيضا بكتاب الفرق لثابت بن ابي ثابت وكتاب الخيل لابي عبيدة وكتاب الاضداد للتوزي وغيرها [2] . وكل هذا يشير الى أن ابا علي قد زاد من رسوخ الاندلس في الموروث العربي وأتاح لطلاب اللغة والأدب دراسة منظمة قريبة المتناول لكتب كانوا يرحلون لقراءتها على العلماء . أما جهوده في التأليف فسوف أوليها عناية خاصة في موضعها من هذا الكتاب .

جـ ـ المنصور بن أبي عامر وأثره في النهضة اللغوية :

ولم يكن المنصور بن أبي عامر مقصرا عن سابقيه في التشجيع الثقافي والتأتي له من نواحيه المختلفة . ولكن الذي ألحظه في سياق هذه

---

(١) فهرسة ابن خير : ٣٩٥ ـ ٣٩٧ .
(٢) المصدر نفسه : انظر صفحات متفرقة منه .

النهضة الثقافية أمران هامان :

الاول : تلك الثورة التي أعلنها المنصور على علوم الاوائل ، فاستخرج كتب الفلسفة والمنطق من مكتبة الحكم المستنصر وأحرقها على الملأ ، قال صاعد : « وعمد اول تغلبه عليه (على هشام المؤيد ، ابن الحكم) الى خزائن ابيه الحكم الجامعة للكتب المذكورة وغيرها واراد (اقرأ وأبرز) ما فيها من ضروب التآليف بمحضر خواص من اهل العلم بالدين وامرهم باخراج ما في جملتها من كتب العلوم القديمة المؤلفة في علوم المنطق وعلم النجوم وغير ذلك من علوم الاوائل ، حاشا كتب الطب والحساب . فلما تميزت من بيان الكتب المؤلفة في اللغة والنحو والاشعار والاخبار والطب والفقه والحديث وغير ذلك من العلوم والمباحثات عند أهل الاندلس ، الا ما خلت منها في اثناء الكتب ، وذلك أقلها ، أمر باحراقها وافسادها فأحرق بعضها ، وطرح بعضها في آبار القصر وهيل عليها التراب والحجارة وغيرت بضروب من التغايير . وفعل ذلك تحببا الى عوام الاندلس وتقبيحا لمذهب الخليفة الحكم عندهم ، اذ كانت تلك العلوم مهجورة عند أسلافهم مذمومة بألسنة رؤسائهم وكان كل من قرأها متهما عندهم بالخروج من الملة ومظنون به الالحاد في الشريعة » [1] .

---

(١) طبقات الامم : صاعد : ٦٦ . ويرى بروفنسال أن هذه الحركة التي قام بها المنصور انما كانت تهدئة لحركة المقاومة الناشبة بين المحافظين في قرطبة وأنه كان في قرارة نفسه أول من يقدر مدى ما في تلك الحركة من عدوان على حرمات الفن والعلم (حضارة العرب : ٦٢ — ٦٣) .

الثاني : أن المنصور لم يكن متنوع الثقافة كالحكم المستنصر بل كان يميل حتى من بين العلوم الاسلامية الى ما كانت له صبغة أدبية ، ويؤثر من بين هذا اللون أيضا ما كان أميل الى كتب الأسمار ، ولذلك نفق هذا اللون عنده ، فألفت له فيه كتب متعددة منها كتاب لحسان بن ابي عبدة اسمه « ربيعة وعقيل » قال فيه ابن حزم « انه من املح ما الف في هذا المعنى » [1] . ومنها تلك الكتب ذات الطابع القصصي التي كتبها صاعد البغدادي مثل كتاب الهجفجف بن غدقان بن يثربي مع الخنوت بن مخرمة بن أنيف ، وكتاب الجواس بن قعطل المذحجي مع ابنة عمه عفراء .

وصاعد مؤلف هذين الكتابين هاجر الى الاندلس في حدود ٣٨٠/٩٩٠ . ويظن الحميدي ان أصله من ديار الموصل وانه دخل بغداد فعرف بالاندلس بنسبة البغدادي . « وكان عالما باللغة والآداب والاخبار سريع الجواب ، حسن الشعر ، طيب المعاشرة ، فكه المجالسة ممتعا »[2] ويمثل في أيام المنصور بن ابي عامر ما كان يمثله القالي في ايام الناصر وابنه الحكم . فهو مشرقي مثله وهو عالم في اللغة وقد لقي من اكرام المنصور مثلما لقيه القالي من اكرام صاحبه وألف للمنصور كتاب « الفصوص » على نحو كتاب النوادر للقالي . وقد كان المتوقع من صاعد ان يكمل

---

(١) جذوة المقتبس : ١٨٤ .
(٢) جذوة المقتبس : ٢٢٣ ، وراجع ترجمة صاعد في : الذخيرة ٤/١ : ٢ ـ ١٣ ، المعجب : ١٩ ، نفح الطيب ٤ : ٧٥ ، وفيات الاعيان ٢ : ١٨١ ،انباه الرواة ٢ : ٨٥ ، بغية الوعاة : ٢٦٧ .

النهضة اللغوية التي وضع قواعدها ابو علي القالي ، ويمضي قدما بالأثر المشرقي الذي يقدره الاندلسيون كل التقدير . فهو لاجل هذا الغرض هاجر ، اعني ليعرض ما لديه من بضاعة لغوية ، قال القفطي : « وبلغه ان اللغة بالاندلس مطلوبة والآداب هناك مرغوب فيها من ملوكها ورعيتها ، فارتحل الى الاندلس »[1] . ولكن حالت دون ذلك حوائل ، منها :

١ ــ ميل المنصور نفسه الى جانب المتعة في كتب الاسمار ، مما حدا بصاعد الى ان يتوجه بهمه لارضاء الرجل الذي كـانت الاندلس تدين لسلطانه يومئذ ، وقد شغف المنصور حقا بما كتبه صاعد في هذا الموضوع حتى قيل انه كان لشدة شغفه بالكتاب « الجواس » قد رتب من يقرأه بحضرته كل ليلة[2] .

٢ ــ كان صاعد نفسه متكسبا على غير ما كانت عليه حال ابي علي ، ولذلك قيل فيه انه كان حسن الطريقة في استخراج ما في ايدي الناس من الاموال[3] . ومثل هذا الميل جعله يؤثر ما يدر عليه كسبا فاتجه الى الشعر يستخدمه في الارتزاق حتى كادت شهرته في الشعر تغلب لدى الاندلسيين ايمانهم بشهرته في اللغة .

---

(١) انباه الرواة ٢ : ٨٥ .
(٢) معجم الادباء : ١١ : ٢٨٤ ــ ٢٨٥ ، انباه الرواة ٢ : ٨٦ .
(٣) جذوة المقتبس : ٢٢٣ ، الصلة : ٢٣٣ ، انباه الرواة ٢ : ٨٦ .

٣ ــ أراد المنصور ان ينافس به ما صنعه القالي في عهد الحكم . ويبدو ان هذا القصد لم يكن خافيا على تلامذة القالي ، فوقفوا موقف العصبية لاستاذهم وحاولوا بكل الطرق الممكنة ان يبرزوا عيوب صاعد ، وان ينسبوا اليه التزيد والكذب [١] . وربما ساعدهم صاعد نفسه على ذلك ببعض التخلصات التي كان يزورها لئلا تنقطع به الحجة . واستثارت هذه الاكاذيب مثيلات لها على طريقة التفكه والدعابة ، وامتلأ الجو في قرطبة بين طلاب اللغة بأن صاعدا مطرح مجرح العدالة لا يحسن الأخذ عنه . ومن ذلك ما يروونه من ان المنصور سأله يوما « هل رأيت فيما وقع لك من الكتب كتاب القوالب والزوالب لمبرمان ابن يزيد ، فقال : نعم رأيته ببغداد في نسخة لابي بكر بن دريد بخط كأكرع النمل ، في جوانبها علامات للوضاع هكذا وهكذا . فقال له : أما تستحي أبا العلاء من هذا الكذب ! هذا كتاب عاملنا ببلد كذا يذكر فيه ان الارض قد قلبت وزبلت ، فجعل يحلف انه ما كذب » [٢] . ومن هذه الروايات ان سأله يوما وقدامه تمر يأكل منه « ما التمركل في كلام العرب ؟ فقال تمركل الرجل تمركلا اذا التف في كسائه » [٣] . وشاعت عنه حكايات كثيرة من هذا القبيل [٤] ،

---

(١) انظر تاريخ الادب الاندلسي ــ عصر سيادة قرطبة : ٦٠ ــ ٦١ .
(٢) جذوة المقتبس : ٢٢٤ ــ ٢٢٥ ، انباه الرواة ٢ : ٨٧ .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) نفح الطيب ٤ : ٨١ .

وأعتقد كما قدمت ان كثيرا منها قد اصبح يتردد طلبا للنادرة . ولكن مثل هذه السمعة كانت كافية لان تدين صاعدا ادى علماء اللغة في قرطبة ، وأكثرهم يومئذ من طلبة القالي . وقد تتساءل : ألم يغضب المنصور لهذا الذي رآه من فعل صاعد ؟ اكبر الظن ان المنصور قد أعجب بروح الفكاهة وحسن الحديث لديه وبطيب معاشرته ، فظل يلاحظه بعنايته تقديرا لهذه النواحي فيه ، ولكنه يئس من أن يجعل منه ندا للقالي صاحب الحكم في الناحية اللغوية .

وفي القصة التالية ما يدل على أن صاعدا لم يكن يستطيع الفلج حتى في مناظرة تلامذة القالي . جلس المنصور يوما « وعنده اعيان مملكته ودولته من أهل العلم كالزبيدي والعاصمي وابن العريف ومن سواهم ، فقال لهم المنصور : هذا الرجل الوافد علينا صاعد يزعم انه متقدم في هذه الآداب ... واحب ان يمتحن ما عنده ، فوجه اليه ودخل والمجلس قد احتفل فخجل ، فرفع المنصور مجلسه وآنسه ، وسأله عن ابي سعيد السيرافي ، فزعم أنه لقيه وقرأ عليه كتـاب سيبويه ، فبادره العـاصمي بالسؤال عن مسألة من الكتاب ، فلم يحضره فيها من جواب ، واعتذر أن النحو ليس جل بضاعته ولا رأس صناعته ، فقال له الزبيدي : فما تحسن ايها الشيخ ؟ فقال : حفظ الغريب ، قال : فما وزن أولق ، فضحك صاعد ، وقال : أمثلي يسأل عن هذا انما يسأل عنه صبيان المكتب ، قال الزبيدي :

فقد سألناك ولا نشك انك تجهله ، فتغير لونـه ، وقال : أفعل . قال الزبيدي : صاحبكم ممخرق ، قـال له صاعد : اخـال الشيخ صناعته الأبنية ، قال له : أجل ، قال صاعد : وبضاعتي انا حفظ الاشعار ، ورواية الاخبار وفك المعمى ، وعلم الموسيقى ، قال : فناظره ابن العريف ، فظهر عليه صاعد، وجعل لا يجري في المجلس كلمة الا انشد عليها شعرا شاهدا، أو أتى بحكاية تجانسها ، فازداد المنصور عجبا ، ثم اراه كتاب النوادر لابي علي ، فقال : ان اراد المنصور أمليت علـى مقيدي خدمته وكتاب دولته كتابا أرفع منه قدرا وأجل خطرا ادخل فيه خيرا مما ادخله ابو علي ، فأذن له المنصور في ذلك . وجلس بجامع مدينة الزاهرة يملي كتابه المترجم بالفصوص ، فلما اكمله وتتبعه أدباء الوقت لم تمر فيه كلمة زعموا صحتها عندهم ، ولا خبر ثبت لديهم » [1] . وهذه الحكاية على علاتها تدل على أن صاعدا كان واثقا من نفسه فيما يتصل بالشعر والرواية للاخبار ، ولكنه لم يكن يثبت لامثال الزبيدي في علم الابنية والتصريف . وأيا كان الأمر ، فان روح التحدي للقالي قد أساءت كثيرا الى صاعد وجعلته غرضا لسهام المناوئين . أما أن أدباء الوقت لم يجدوا كلمة صحيحة في كتابه ولا خبرا صحيحا فالأمر يستدعي شيئا من التوقف والمناقشة .

فمن كل ما تقدم يتبين لنا ان جهود صاعد في ميدان اللغة كانت

---

(١) الذخيرة ٤/١ : ٦ ـ ٧ ، وانظر نفح الطيب ٤ : ٧٦ ـ ٧٧ .

محدودة ، فلا نعرف له كتابا ذا مسحة لغوية سوى كتاب الفصوص الذي أراد ان يبذ به كتاب النوادر ، بحيث يأتي أرفع منه وأجل دون أن يورد فيه خبرا مما أورده أبو علي . ومعنى هذا ان صاعدا اعتمد روايات وأخبارا لم يسمع بها الاندلسيون ولهذا قال علماؤهم حين تتبعوه « فلم تمر فيه كلمة صحيحة عندهم ولا خبر ثبت لديهم » . وقد تنبه ابن بسام الى ان تفرد صاعد هو الذي ساق الى كتابه هذه التهمة فقال : « وما أظن أحدا يجترىء على مثل هذا (أي الوضع والكذب) وانما صاعد اشترط الا يأتي الا بالغريب وغير المشهور »[1] . اما المادة التي يدور عليها هذا الكتاب فهي تجمع بين اللغة والاخبار لقول ابن خير في تسمية الكتاب « كتاب الفصوص في اللغات والاخبار »[2] . وهذا الجانب اللغوي فيه يؤكده رد القزاز عليه في « مناكير كتابه في النوادر والغريب »[3] . غير ان عنوان الكتاب لم يرد كذلك في جميع المصادر ، فقد جاء في الصلة نقلا عن ابن حيان : « وجمع ابو العلاء للمنصور محمد بن ابي عامر كتابا سماه الفصوص في الآداب والاشعار والاخبار »[4] . فقد حذف ابن حيان هنا كلمة اللغات من اسم الكتاب . ومهما يكن من شيء فلا بد ان يكون

---

(١) نفح الطيب ٤ : ٧٨ وهو بايجاز وبعض تلخيص لما جاء في الذخيرة ١/٤ : ٨ .
(٢) فهرسة ابن خير : ٣٢٦ .
(٣) الصلة : ٢٠٤ .
(٤) الصلة : ٢٣٣ .

فيه مشابه من نوادر القالي لأنه معارضة له ، وان يكون للغة فيه مقام وان لم يكن مقاما بارزا . وقد بدأ صاعد تأليفه هذا في شهر ربيع الأول سنة ٣٨٥ / ٩٩٥ وقضى فيه قرابة ستة أشهر اذ أكمله في شهر رمضان من العام نفسه[١] . ولعل اضطراب الروايات التي شاعت عن تقبل هـذا الكتاب أن تدلنا الى أي حد واجهت صاعدا مشاعر الحسد من معاصريه . فهناك رواية تقول ان علماء قرطبة أغرقوا كتابه المترجم بالفصوص ونبذوه ورموه في النهر[٢] . ورواية ثانية تقول : ان المنصور أغاظته مرة أكاذيب صاعد فأمر باخراجه مـن مجلسه وأن يقذف كتاب الفصوص في النهر . وتجيء هذه الرواية مؤيدة بقول بعض الشعراء :

قد غاص في النهر كتاب الفصوص   وهكذا كـل ثقيـل يغوص

ورد صاعد بقوله :

عـاد الـى معدنـه انمـا   توجد في قعر البحار الفصوص[٣]

وهاتان الروايتان لم يذكرهما الحميدي وابن بشكوال ، وانما ذكر الثاني منهما رواية ثالثة نقلا عن ابن حيان جاء فيها « ان المنصور أثابه عليه بخمسة آلاف دينار دراهم في دفعة واحدة وأمره ان يسمعه الناس بالمسجد الجامـع بالزاهرة في عقب خمس وثمانين وثلاثمائة (٩٩٥ م) ،

---

(١) المصدر نفسه .
(٢) الذخيرة ٤/١ : ٣ ، نفح الطيب ٤ : ٧٦ .
(٣) نفح الطيب ٤ : ٧٨ .

واحتشد له من جماعة اهل الادب ووجوه الناس امة »[1] .

والارجح ان الرواية الثالثة هي اوثق الروايات لان راويها ، وهو ابن حيان ، قد درس هذا الكتاب على مؤلفه سنة ٣٩٩ / ١٠٠٩ ، ومن طريق ابن حيان وصلت رواية هذا الكتاب الى ابن خير[2] . فاذا كان الكتاب قد القي في النهر حقا بأمر من المنصور فذلك يدل على غضبة مؤقتة لم تلبث ان زالت اسبابها ، واذا كان علماء قرطبة هم الذين طرحوه في النهر فذلك خبر رمزي يشير الى نفورهم من رواية ما كان يدرسه صاعد في مسجد الزاهرة[3] .

ومع ذلك فهناك عدد من التلامذة الذين درسوا على صاعد ، عرفنا منهم المؤرخ ابن حيان ، الذي قرأ عليه كتاب الفصوص . ومنهم أيضا عبد العزيز بن احمد بن مغلس القيسي الذي قرأ عليه اللغة[4] . وهشام بن محمد المعروف بابن المصحفي ، وهو احد علماء اللغة في العصر التالي[5] ، قرأ على

---

(١) الصلة : ٢٣٣ .
(٢) الصلة : ٢٣٣ ، فهرسة ابن خير : ٣٢٦ .
(٣) لا يزال الجانب الادبي لدى صاعد وما اثاره في الاندلس من معارضات شعرية ، وكذلك فترة اقامته في صقلية بحاجة الى دراسة . ولكن هذه الدراسة للجانب اللغوي عنده لا تتسع لكل ذلك . كما ان الحكم الدقيق على كتاب الفصوص وقيمته من الناحية اللغوية غير ميسر لي . فهناك نسخة خطية صحيحة محفوظة بخزانة جامع القرويين لم يتيسر لي الاطلاع عليها .
(٤) جذوة المقتبس : ٢٦٩ .
(٥) الصلة : ٦١٣ .

صاعد كتاب اصلاح المنطق ليعقوب ابن السكيت[1] ، وكان صاعد يرويه عن شيخيه : السيرافي والفارسي. كذلك كان صاعد قد قرأ كتاب المداخل في اللغة من تأليف المطرز على الوزير ابن خنزابة بمصر ، فلما عهد المصحفي الى ابن خشخاش بأن يدرس هذا الكتاب لحفيده ابي بكر طلب الى صاعد ان يحضر تلك الدروس[2] .

ولم يكن تشجيع المنصور للعلوم عامة وللغة خاصة قاصرا على حفاوته بصاعد وتمكينه من التدريس في الزاهرة بل كان يقرب اليه العلماء والادباء وكان له مجلس معروف في الاسبوع يجمع فيه أهل العلوم كلما كان مقيما بقرطبة ، اذ كانت غزواته المتكررة كثيرا ما تبعده عنها[3] . ولعل المجلس الذي ضم الزبيدي والعاصمي وابن العريف وصاعدا وغيرهم ممن لم ترد اسماؤهم انما كان نموذجا لهذه المجالس العلمية . كذلك حاول ان يتفوق على الحكم في اقتناء الكتب وفي تصحيح نصوصها واقتناء الأصول الدقيقة منها . فاهتم ابنه عبدالله اهتماما خاصا اثناء رحلة المشرق بتصحيح ومقابلة نصوص الكتب التي يدرسها او يحصل عليها[4] . واتخذ لمكتبته قيما للتدقيق والضبط فكان محمد بن عبد الرحمن بن معمر اللغوي من

(١) فهرسة ابن خير : ٣٣١ .
(٢) المصدر نفسه : ٣٥٨ ـ ٣٥٩ .
(٣) انظر الصلة : ٧٣ .
(٤) مقالة ريبيرا مجلد ٥ : ٧٣ ، نقلا عن نفح الطيب .

أهل قرطبة هو المسئول عن تصحيح ومقابلة كتب المنصور وكتب ابنه ، وهو الذي اسس لهما مكتبتيهما واستعان بما فيهما من كتب في تأليف كتابه الذي وضعه عن تاريخ بني عامر[1] . وكان هذا الرجل كما وصفه ابن الابار « من أعلم الناس بالكتب وعللها وألهجهم بجمعها وافرزهم لخطوطها وأنسبهم لها الى وراقها »[2] .

٢ ـ العوامل التقليدية

تلك هي العوامل البارزة التي ساعدت على النهضة اللغوية من تنظيم للمكتبات ، وتوجيه في التأليف ، وتدقيق فيما يقتنى من أصول ، واكرام للعلماء وحفز لهممهم على العمل واغرائهم بالقدوم الى الاندلس ، حتى كان هذا كله كأنما يخضع لسياسة ثقافية مرسومة مخططة . ولكن العوامل التي شاهدناها في العصر الماضي ظلت أيضا تعمل عملها الى جانب العوامل الجديدة : ظلت الرحلة الى المشرق والرواية عن الشيوخ والعودة بالكتب المروية ، وظلت حلقات المؤدبين والمدرسين في المساجد ، من القوى الدافعة في تطوير النشاط اللغوي .

(أ) فمن أشهر الراحلين الى المشرق في هذه الفترة ابو عبدالله محمد ابن يحيى ابن عبد السلام الرباحي (ــ ٣٥٨/٩٦٩) الجياني الاصل[3] .

---

(١) مقالة ريبيرا ٥ : ٧٤ ، نقلا عن التكملة : ٣٨٤ .
(٢) التكملة : ٣٨٤ .
(٣) راجع ترجمة الرباحي في : طبقات الزبيدي : ٣٣٥ ــ ٣٤٠ .

وقد « لقي في رحلته أبا جعفر بن النحاس فحمل عنه كتاب سيبويه رواية »[1] . ولما عاد الى قرطبة عمل فيها مؤدبا جاعلا من داره ملتقى للطلبة . ويعد الرباحي حلقة الوصل بين النوع القديم من المؤدبين والاساتذة الاعلام أمثال القالي والزبيدي وابن القوطية. فقد رفع مستوى التأديب واهتم بالنحو ودقائق العربية اهتماما خاصا مقتبسا طرق أهل المشرق في هذه الناحية ، وجمع في شخصه بين المؤدب العام والخاص فكان في الحالة الاولى يلتقي بالطلبة من كل صنف في داره ، ثم اتخذ من بني حدير رعاة له ، وأخذ يعمل عندهم فيؤخذ عنه كتاب سيبويه ويعقد كل جمعة مجلسا للمناظرة في هذا الكتاب . وقد وصفه تلميذه الزبيدي فقال : « وكان حاذقا بعلم العربية دقيق النظر فيها لطيف المسلك في معانيها غاية في الابداع والاستنباط »[2] . وانما تميز الرباحي فيما نصب نفسه له لانه اطلع على طرائف أهل الكلام ، وحذق أصول المناظرة ، وتمرس باعمال القياس ، وكان يتخير الأمور الدقيقة ويغوص في طلبها . ولعل تدريسه لكتاب سيبويه عن طريق المناظرة قد فتح مجالا لنوع جديد من التأديب لم يعهده الاندلسيون قبله ، ذلك لان الاندلسيين ظلوا بعيدين عن أصول المناظرة الا في اليسير حتى ظهر ابن حزم. لكل هذا نعد الرباحي

---

(١) طبقات الزبيدي : ٣٣٦ .
(٢) المصدر نفسه : ٣٣٥ — ٣٣٦ .

معلما هاما في تاريخ اللغة والنحو بالاندلس ، ونرى فيه صورة الحوار السقراطي الذي حفز أمثال الزبيدي وغيره الى مـا بلغوه من اتساع في الافق ودقة في التأليف .

ومن هؤلاء الراحلـين أيضا عبـد السلام بن السمـح الهواري (ــ ٣٨٧/٩٩٧)[١] . وقد سمع بمصر من ابي جعفر بن النحاس وابي علي الآمد اللغوي ، وعـاد الى الزهراء يدرس كتاب الابيات لسيبويه تأليف ابن النحاس وكتاب الكافي في النحو وغيرهما . ومنهم محمد بن مفرج [٢] (ــ ٣٧١/٩٨٢) الذي لقي أيضا ابا جعفر بن النحاس وروى عنه تأليفه في اعراب القرآن وفي المعاني والناسخ والمنسوخ وغير ذلك وكان أول من ادخل هذه الكتب الى الاندلس . ومنهم أحمد بن عبدالله بن الباجي [٣] (ــ ٣٩٦ / ١٠٠٦) ، لقي كثيرا من الشيوخ في المشرق ولما عاد استوطن اشبيلية . وكان يحفظ غريبي الحديث لابي عبيد وابن قتيبة . ومنهم محمد ابن ابي علاقة البواب القرطبي[٤] (ــ ٣٢٥/٩٣٧) ، اخذ عن الزجاج وابن الانباري وابي الحسن الاخفش ونفطويه ، وسمع مـن الاخفش كتاب الكامل للمبرد .

---

(١) ترجمته في تاريخ ابن الفرضي ١ : ٣٣٢ .
(٢) تاريخ ابن الفرضي ٢ : ٨٤ .
(٣) الصلة : ١٦ ــ ١٧ .
(٤) التكملة : ٣٦٢ .

وتدل اسماء الكتب التي قرأها هؤلاء الراحلون والعلماء الذين التقوا بهم ان الثقافة اللغوية النحوية بالاندلس كانت دائما تتغذى بما يجد في المشرق من اتجاهات ومؤلفات . ولو شئت ان استرسل في عد هؤلاء الراحلين لذكرت كثيرا من اسماء هؤلاء العلماء ، ولكني أنحو منحى التمثيل . وهذا لن يفوت علي ملحظا أدركته حين حاولت أن احصر تراجم اللغويين الذين وردت اسماؤهم لدى ابن الفرضي وابن بشكوال وابن الابار ، وذلك انني وجدت ان اللغويين الاندلسيين الذين رحلوا في هذه الفترة كانوا أقل بكثير من الذين عملوا في الحقل اللغوي دون ان يبارحوا الاندلس . وقد عددت من غير الراحلين سبعة واربعين عالما يقابلهم من الراحلين اثنا عشر . واذا دلت هذه النسبة على شيء (مع الاذن فيها لبعض السهو والخطأ) فانما تدل على أن الاندلس قد اصبحت قادرة على ان تخرج اعلاما في اللغة والنحو دونما حاجة كبيرة الى الأخذ عن الشيوخ في المشرق ، بل ان اكبر عالمين اندلسيين من علماء اللغة ، وهما الزبيدي وابن القوطية ، لم يكونا من الراحلين في طلب العلم . ولعل ورود القالي الى الاندلس قد ساعد في استغناء الطلاب عن الرحلة لأن الاندلسيين رأوا في القالي خلاصة العلم اللغوي المشرقي ، هذا اذا لم نحسب حساب الظروف السياسية كنشأة الدولة الفاطمية في المغرب ومصر ، وامتداد سلطانها على البر الافريقي والبحر واعتبار ذلك من العوامل التي تحول ، بعض الشيء ، دون المغامرة بالارتحال .

(ب) وظل مؤدب العامة يمثل دوره الذي كان له في العصر السابق ، ولكن ربما كانت هناك عوامل خاصة ، لعلها كامنة في طبيعة الاوضاع الاقتصادية ، جعلت الحرص على تأديب أولاد الخاصة أظهر في هذا العصر. ويستوي في القيام بهذه المهمة عـالم بارع مشهور مثـل الزبيدي الذي انتدبه المستنصر لتأديب ابنه ، مـع سائر المتكسبين عن هذه الطريـق ، أمثال : محمد بن خطاب النحوي الأزدي الذي كـان يختلف اليه في علم العربية أولاد الاكابر وذوي الجلالـة[1] ، وبشار الأعمى الذي اشترك في منـاظرة صاعد ، وأدب أبا جعفر بن عباس الوزير بالمرية[2] ، وحسين بن نصر ابن العريف الذي استأدبه المنصور لبنيه وقربه من صحبته[3] ، وابن ابي الحباب النحوي معلم المظفر عبد الملك بـن المنصور العامري[4] ، وغيرهم . اذ ان هؤلاء الى جانب الحظوة الخاصة التي كانوا ينالونها في تأديب أولاد الاعيان ، كانوا يجدون رزقا مكفـولا ميسرا ، وهو رزق يتضمن ــ أحيانا ــ ثلاثة أمور : الراتب والحملان (أي ما يحمـل الى المؤدب من هدايا) والعلوفة[5] .

---

(١) جذوة المقتبس : ٥٠ .
(٢) التكملة : ٢٣٠ .
(٣) تاريخ ابن الفرضي ١ : ١٣٥ .
(٤) الصلة : ٢٥ .
(٥) انظر المقتبس الورقة : ٤٣ عند الحديث عن تعيين احمد بن محمد ابن يوسف مؤدبا للامير هشام ابن الحكم المستنصر .

٣ ـ المظاهر الكبرى

أ – ظهور الدارس اللغوي المتخصص

وفي سبيل أن تتصور المدى الذي بلغته ثقافة الطالب اللغوي من الاتساع تتخذ احمد بن أبان بن سيد مثالا علـى المثقف اللغوي حينئذ الذي مكنته ثقافته من ان يصبح عالما مؤلفا[1] ، فنجد انه قد قرأ الكتب الآتية على استاذه القالي : قرأ كتب القالي نفسه ، مثل : كتاب النوادر وذيله ، وكتاب البارع ، وقرأ الغريب المصنف لأبـي عبيد ، والالفاظ ليعقوب بن السكيت ، واصلاح المنطـق له ، وأدب الكتاب لابن قتيبة ، واختيار فصيح الكلام لثعلب، ولحن العامة للسجستاني، والتذكير والتأنيث لابن الانباري ، والجمهرة في اللغة لابن دريد ، والمقصور والممدود لابن الانباري ، وكتاب فعلت وأفعلت وكتاب الفرق وكتاب الحشرات وكتاب الوحوش وكتاب الطير لابي حاتم ، وكتاب المثلث لقطرب ، وكتاب الملاحن لابن دريد وكتاب معاني الشعر وكتاب الانواء له أيضا ، وكتاب نوادر ابي زيد الانصاري وكتبه الاخرى مثل الهمز والمصادر واللغات والمقتضب والامثال والشجر والنبات الخ ... ، وكتاب اطرغش في اللغة لنفطويه ،وكتب الاصمعي مثل كتاب الابل وكتاب الشاء وكتاب خلق الفرس وكتاب لحن العامة وكتاب خلق الانسان وغيرها ، وكتاب الاجناس لغلام الأصمعي ،

---

(١) ترجمة ابن سيد في : بغية الملتمس : ١٥٩ : الصلة: ١٤ ،بغية الوعاة: ١٢٦ ، معجم الادباء ٢ : ٢٠٣ ، كشف الظنون : ١١٢١ ، روضات الجنات : ٦٥ .

وكتاب الفرق لثابت بن ابي ثابت وكتب ابن السكيت المختلفة وكتب ابي عبيدة وكتاب الاضداد للتوزي[1] ، وغير ذلك من الكتب . ولولا ان ابن خير روى هذه الكتب عن طريق ابن سيد لما استطعنا ان نتصور مبلغ ما كان يحصله دارس اللغة يومئذ . ولعل هنـاك كتبا اخرى لم يروها ابن خير ، ولذلك فان اسماءها لم ترد في هذا الثبت .

وهذه حقيقة تومىء الى ظهور الدارس المتخصص في اللغة الذي قد يطلب علوما أخرى ولكن اللغة تصبح هي ميدانه المفضل ، وقد أصبحت الكتب التي يدرسها ، بعد اتساع نطاق التأليف في المشرق وكثرة الكتب التي جاء بها القالي ، لا تحدد بكتاب أو كتابين أو بضعة كتب كما كان الحال في العصر السابق . وبالمقارنة بـين العصرين نـرى أن المشتغلين بالحديث ــ في الاكثر ــ ابان القرن الثالث هم الذين تولوا تدريس اللغة أو التأليف فيها ، مثل : قاسم بن أصبغ والخشني ، فكانت اللغة فرعا من الثقافة الدينية لديهم ، أما في القرن الرابع فقد وضحت خطوط الاتجاه اللغوي وضوحا ساطعا وأصبحنا نستطيع أن نشير مـن بـين المؤدبين والمدرسين الى طبقة من العلماء المختصين [2] . وهذا كله نجم عن الظروف

---

(١) انظر صفحات متفرقة من فهرسة ابن خير .

(٢) ليس من قبيل التفكهة أن نلحظ أن ثلاثة من هؤلاء المختصين شغل كل منهم منصب « صاحب الشرطة » في قرطبة وهم الزبيدي وابنا سيد ، ونحن اليوم لا نستطيع أن نربط بين طبيعة التخصص اللغوي وهذا المنصب ، ولكن احتلالهم له قد يشير الى خصائص فارقة في الشخصية لا في الاتجاه الثقافي .

التي خلقتها تلك العوامل المذكورة في صدر هذا الفصل ، مضافا اليها تلك الرغبة الخاصة التي حفزها رجل فذ مثل الرباحي في مطلع هذا القرن ، ثم زادتها اتقادا وتوهجا تلك الهالة من المجد اللغوي المحفوف برعاية الدولة ، المتمثلة في شخص القالي . ومن حسن المصادفات أن كان القالي بكل ما يتميز به من علم وخلق هو الذي وقعت عليه مسئولية هذه اليقظة اللغوية في الاندلس ، فقد أثبتت الأيام من بعد أن ليس كل مهاجر يحظى برعاية الدولة يستطيع أن يبلغ شأو القالي في هذا الميدان . نعم كانت البذرة الطيبة التي ألقاها الرباحي في حقل اللغة قد أعطت ثمرتها قبيل قدوم القالي في شخص الزبيدي وابن القوطية ولكن القالي قد كفل التطور والاستمرار والتوسع لهذا الذي وضع الرباحي أصوله .

والى جانب هذا التيار الثقافي التخصصي ظلت اللغة تدرس باعتبارها فرعا مكملا مساندا لغيرها من العلوم الاسلامية كالفقه والحديث والقراءات وما أشبه ، بل لعله ليس من المستغرب يومئذ أن نجد عددا كبيرا من ذوي الاتجاه الطبي والهندسي والعددي ممن أحسنوا الاضطلاع بالثقافة اللغوية ووصفتهم المصادر بالامامة فيها . وقد يكون من المفيد أن نقارن بين نوع الثقافة اللغوية التي حصلها دارس متخصص مثل ابن سيد وبين ثقافة عالم آخر مثل ابن الفرضي ، خصص فترة من حياته لدراسة اللغة دون أن يبارح اتجاهه الكبير وهو علم الحديث . فمن بين الكتب ذات الطابع اللغوي التي يعدها ابن الفرضي بين ما درسه : نـوادر علي بن عبد العـزيز وكتاب

الأبيات لسيبويه تأليف ابن النحاس وكتاب الكافي في النحو ، قرأ هذه على عبد السلام بن السمح الهواري[1] وقرأ على ابن القوطية كتاب الكامل للمبرد[2] وقرأ على مجاهد بن أصبغ كتاب شرح غريب الموطأ لابن حبيب في جملة كتب أخرى في غير موضوع اللغة[3] ، وقد يكون ابن الفرضي قرأ في اللغة كتبا أخرى لم يجد مناسبة لذكرها ، ولكن علم اللغة بقي لديه علما فرعيا .

ب ــ المناظرات اللغوية :

ومن كل هذا يمكن ان نخلص الى انه رغم قلة الرحلة في طلب اللغة بالنسبة للعصر السابق ، فقد تميز هذا العصر في الميدان اللغوي بسمات فارقة ، منها : اتساع نطاق الدراسات اللغويـة واتساع ثقافة الدارس اللغوي وتحصيله ، وبروز دور المؤدب لأولاد الخاصة ، وظهور العالم اللغوي الاندلسي الذي يقف على مستوى أكابر علماء المشرق . وقد ظهر مجال جديد للنشاط اللغوي الى جانب حركة التدريس والتأديب عامة . وتلك هي مجالس المناظرات اللغوية ، وهي مجال جديد لم يتيسر ظهوره في القرن الثالث ، كمناظرة لغوية تمت بين الزبيدي والحاجب المصحفي في مجلس الحكم المستنصر (٣٦٢/٩٧٣)[4] وهي بالمناقشة العلمية أشبه .

(١) تاريخ ابن الفرضي ١ : ٣٣٢ ــ ٣٣٣ .
(٢) المصدر نفسه ٢ : ٧٩ .
(٣) تاريخ ابن الفرضي ٢ : ١٤٨ .
(٤) المقتبس : الورقة : ٨٠ ، وانظر ترجمة الزبيدي في ما يلي من هذا الكتاب .

ولعل اكثر المناظرات انما تم في الدور العامري بتشجيع المنصور نفسه. والاخبار التي وصلتنا تتصل بصاعد نفسه في مجلس المنصور ، وقد مر بنا مثال لها ، وأذكر أيضا من أمثلتها مناظـرة قامت بين فاتن الحكمـي الخادم المعروف بالصغير وبالخازن وبين صاعد ، كانت الغلبة فيها لفاتن . وهو رجل صقلبي أقر له ابو بكر الزبيدي نفسه بالبصر في علم اللسان واللغة وكان ضابطا لكتب اللغة قائما عليها ، راجح العقل واسع المعرفة فصيح اللهجة ، ولما مات (٣٩٩ / ١٠٠٩) بيعت في تركته كتب مضبوطة جليلة مصححة[١] . وليس لنا أن ننسى أن الرباحي هو فاتح باب المناظرة في كتاب سيبويه ــ كل أسبوع ــ وفي غيره من شئون العلم ، لا يقتصر في مناظرته على اللغة وحدها بل يناظر أهل الفقه وغيرهم .

ولا يفوتني هنا أن أشير الى انه قل ان حظي كتاب علمي بمثل ما حظي به كتاب سيبويه من اهتمام ودراسة ، فقد مر بنا كيف ان ابن السمح عمل على ابياته كتابا خاصا وكيف ان الرباحي حمله رواية عن ابي جعفر النحاس ، وكان يناظر فيه . وكان ابن وليد النحوي يختمه في كل خمسة عشر يوما[٢] . وألف فيه ابو نصر هارون بن موسى النحوي كتابا سماه

---

(١) انظر ترجمته في الذيل والتكملة : ٥٢٦ ، وراجع الذخيرة ٤/١:٢٢، ونفح الطيب ٤ : ٨١ وقد جعل وفاته عام ١٠١٢/٤٠٢ . واشتراك فاتن وهو صقلبي في مجال هذا النشاط اللغوي يجعلنا نستغني عن طرح السؤال الذي طرحناه في الفصل السابق أعني : مدى مشاركة غير العرب في النشاط اللغوي ، فقد كانت موجة التعريب في هذا العصر قد أصبحت عامة شاملة .

(٢) الصلة : ٢٥٣ .

« عيون كتاب سيبويه »[1] . فلم يكن كتاب سيبويه في الاندلس معتمد الدارسين والمتناظرين فحسب ، بل كان محورا لمؤلفات كثيرة في هذا العصر ، وفي ما يليه من عصور .

ج ـ تنوع حركة التأليف واتساعها :

تنوعت حركة التأليف واتسع مداها واشتملت على منجزات كبيرة ظلت دائما صورة من صور الاسهام القيم الذي يحتل مكانته في تاريخ اللغة العربية عامة ، لا في الاندلس وحدها .

وها هو ثبت بهذه المؤلفات ، يبين نواحي النشاط التي اشتمل عليها هذا الجانب الثقافي الكبير[2] :

١ ـ الزبيدي :

١ ـ الابنية .

٢ ـ استدراك الغلط الواقع في كتاب العين .

٣ ـ الانتصار على من أخذ عليه في مختصر العين .

٤ ـ رسالة الانتصار للخليل فيما رد عليه من العين .

٥ ـ لحن العوام .

٦ ـ مختصر لحن العوام .

---

(١) فهرسة ابن خير : ٣١١ .
(٢) سأعود الى دراسة بعض هذه المؤلفات في جزء تال من هذا الكتاب ، وانما احاول هنا أن أعدها لاستنتج منها طوابعها العامة .

٧ ــ طبقات النحويين واللغويين .

٨ ــ مختصر كتاب العين .

٩ ــ المستدرك من الزيادة في كتاب البارع لابي علي البغدادي .

١٠ ــ الواضح في النحو .

٢ ــ القالي :

١١ ــ البارع في اللغة .

١٢ ــ المقصور والممدود .

١٣ ــ النوادر والامالي .

١٤ ــ ذيل النوادر .

١٥ ــ فعلت وأفعلت .

١٦ ــ افعل من كذا .

١٧ ــ الابل وتناجها وجميع احوالها .

١٨ ــ حلي الانسان والخيل وشياتها .

١٩ ــ تفسير القصائد والمعلقات وتفسير اعرابها ومعانيها .

٢٠ ــ مقاتل الفرسان .

٢١ ــ فهرسة ابي علي البغدادي .

٣ ــ ابن القوطية :

٢٢ ــ الافعال .

٢٣ ــ شرح صدر أدب الكتاب .

٢٤ ـ المقصور والممدود .

٤ ـ سعيد المعافري[١] : (٤٠٠/١٠١٠)

٢٥ ـ بسط لكتاب الافعال الذي ألفه ابن القوطية . (ومنه نسخة مصورة بالقاهرة ثاني ٢ : ٢٥٢ عن مخطوطة كوبريلي ١٥١٨ ـ ١٥١٩) .

٥ ـ عبد الملك بن طريف[٢] :

٢٦ ـ له كتاب حسن في الافعال [٣] (تلميذ ابن القوطية) .

٦ ـ صاعد :

٢٧ ـ الفصوص .

٧ ـ سعيد بن القزاز[٤] :

٢٨ ـ كتاب في الرد على صاعد البغدادي في مناكير كتابه في النوادر والغريب المسمى بالفصوص .

٨ ـ ابو القاسم بن العريف[٥] (٣٩٠/١٠٠٠) .

٢٩ ـ كتاب يشتمل على مسائل في النحو اعترض فيها على ابي جعفر بن النحاس .

---

(١) الصلة : ٢٠٩ ، بروكلمان ٢ : ٢٨١ ـ ٢٨٢ .
(٢) المصدر نفسه : ٣٤٠ .
(٣) فهرسة ابن خير : ٣٥٦ .
(٤) الصلة : ٢٠٤ .
(٥) جذوة المقتبس : ٣٨٣ ، بروكلمان ٢ : ٢٨١ ، ١٧٣ (الترجمة العربية) .

٣٠ ــ رسالة[١] في اعراب قولهم : « ان الضارب الشاتم والده كان زيدا » ، يستقصي فيها ثمانماية ونيفا وعشرين وجها . وتدل هذه الرسالة القصيرة على تحول الاعراب من مجموعة من القواعد التي تضبط اللغة الى رياضة ذهنية يبحث فيها عن الاحتمالات المختلفة .

٣١ ــ شرح الجمل للزجاجي . (ومنه نسخة خطية بالقاهرة اول ٤ : ٧٤ وثاني ٢ : ١٢٦) .

٩ ــ احمد ابن اليسع[٢] :

٣٢ ــ له تأليف في اللغة رآه ابن الابار ولكنه لم يذكر اسمه .

١٠ ــ عبدالله بن حسين ابن الغربالي[٣] :

٣٣ ــ ألف في الانواء كتابا مفيدا .

١١ ــ دريود[٤] (عبدالله بن سليمان المشهور بدريود) :

٣٤ ــ له كتاب في العربية .

---

(١) الرسالة مخطوطة في دار الكتب المصرية رقم ١٠٠٧ نحو . واليك بعض عباراتها : « يجوز ان تنصب الضارب بأن والشاتم بالضارب، ووالده بالشاتم . وزيدا خبر كان . وفي كان ضمير يعود الى الضارب ، وهو اسم كان . وكان وما عملت فيه خبر ان .

« ويجوز ان ترفع الوالد بالشاتم .. ويجوز ان ترفع الوالد بالابتداء .. ويجوز أن ترفعه بانه خبر ابتداء مضمر .. ويجوز ان تنصبه باضمار .. » .

(٢) التكملة : ١٧ .

(٣) المصدر نفسه : ٧٩١ .

(٤) المصدر نفسه : ٧٧٨ .

١٢ ـ محمد بن ابان بن سيد[١] :

٣٥ ـ كتاب العالم نحو مائة مجلد مرتب على الاجناس بدأ بالفلك وختم بالذرة .

٣٦ ـ كتاب العالم والمتعلم مبني على المسألة والجواب .

٣٧ ـ شرح كتاب الاخفش .

١٣ ـ عبيد الله بن فرج الطوطالقي : (٣٢٤ ـ ٩٣٦/٣٨٦ ـ ٩٩٦)

٣٨ ـ كتاب اختلاف لغات العرب .

فهذه ثمانية وثلاثون مؤلفا تمثل اتجاهات مختلفة في النحو واللغة معا . منها : أ ـ الاتجاه المعجمي ، الذي يمثله ما دار حول العين من مؤلفات وردود واستدراكات ، ثم البارع وما دار حوله ، وكتاب العالم الذي يشبه ان يكون معجما حسب الموضوعات . ب ـ كتاب واحد في لحن العوام ، وهو لاحق من بعض نواحيه بالتأليف المعجمي . ج ـ كتاب واحد في الانواء وهو أيضا لاحق بالتأليف المعجمي . د ـ كتب النوادر والامالي ، وما اثارت من ردود عليها . هـ ـ كتب الافعال ، وهي تمثل الاتجاه الرئيسي لدى ابن القوطية وتلامذته . و ـ البحث في المقصور والممدود ، وهي تتمة لما بدأه ابن ولاد بمصر . ز ـ دراسات نحوية وشروح على بعض كتب النحو . ح ـ كتاب واحد في تراجم علماء النحو واللغة ، وهو ذو صلة جانبية بالدراسات اللغوية . واذا تأملنا هذه الاتجاهات

(١) تاريخ ابن الفرضي ٢ : ٦٩ ، جذوة المقتبس : ٣٨١ ، الصلة ، ١٤ .

وجدنا الاتجاه المعجمي أغلب عليها كما وجدنا هذا الاهتمام بالاستدراك والشرح والاختصار لبعض الكتب المشرقية .

وكل هذه الاتجاهات تبين الى اي حد كان التأليف في الاندلس في هذا العصر اما متأثرا بالتأليف اللغوي في المشرق ناسجا على منواله ، او مستثارا به على نحو من استكمال النقص فيه او التلخيص له أو الرد على بعض ما جاء فيه . ولكن هذا لن يجعلنا نقلل من قيمة هذا الاسهام الاندلسي بأي حال ، فان التأليف في هذه الناحية سواء أكان في المشرق او المغرب كان بناء على أسس سابقة . فكتاب العين وجمهرة ابن دريد يستثيران الى تأليف « البارع » وكتاب لحن العامة لابي حاتم السجستاني يحفز الزبيدي الى تأليف كتابه بهذا الاسم ، وكتاب فعلت وأفعلت انما أساسه كتاب بهذا الاسم نفسه للزجاج .

واذا بحثنا عن العوامل الكامنة وراء هذا الاتجاه التأليفي وجدناها تمثل :

(١) الميل الى الاستقصاء : وبدافع من هذا الميل جاءت اكثر كتب القالي ، مثل البارع والمقصور والممدود ، وكتاب السماء والعالم لابن سيده، وكتاب الاستدراك على العين للزبيدي ، فكلها انما تمثل توسعا واستقصاء لما ألفه المشارقة في هذه الموضوعات اللغوية .

(٢) الميل الى الاستطراف : وعن هذه الطريق تعلم اللغة أيضا ،

وكتب النوادر مثل أمالي القالي والفصوص لصاعد ، انما هي مستطرفات من الاشعار والاخبار لا يهم مدى الصحة في نسبتها بمقدار ما هي مجال لتقريب الفوائد اللغوية عن طريق الخبر الطريف أو النادرة الطريفة .

(٣) الميل الى المحاكاة : فكثير من كتب الاندلسيين انما كانت محاكاة لكتب مشرقية . فاذا ألف أبو حاتم السجستاني كتابا في لحن العامة ، أخذ الزبيدي نفسه بتأليف في مثل هذا الموضوع يأتي فيه على لحن العامة بالاندلس . وهذه المحاكاة لا تبطل الأصالة ولا تنفيها .

(٤) الميل الى تنقية اللغة بدافع من روح المحافظة عليها : وهذا ما يمثله أيضا كتاب مثل لحن العوام للزبيدي .

(٥) الميل الى الشرح والتبسيط خدمة للدارسين . فمن أجل الغاية التدريسية وضع الزبيدي الواضح في النحو ، وشرح ابن القوطية صدر أدب الكتاب ، وبسط المعافري كتاب أستاذه ابن القوطية في الأفعال[١] ، وشرح ابن سيد كتاب الأخفش ، ووضع كتابه العالم والمتعلم على طريقة تعليمية خالصة هي المسألة والجواب .

(٦) تصحيح الخطأ أو ما يظن أنه خطأ ، وهذا يشمل كتب الردود ، وهي توحي بالتحدي مثلما تتضمن الميل الى المحافظة على سلامة اللغة وصحتها وصحة الاستنتاجات النحوية . ومن ذلك اعتراضات ابن العريف

---

(١) الصلة : ٢٠٩ .

على ابن النحاس في مسائل من النحو ، ورد القزاز على صاعد ، وانتصار الزبيدي على من انتقد كتابه « مختصر العين » .

وغني عن القول ان الكتاب الواحد يقف وراءه غير عامل واحد من هذه العوامل في بعض الأحيان ، وفي كل هذه العوامل غاية علمية تزيد أو تنقص بمقدار حظها من الطاقة الموضوعية ، وتتباين هذه الكتاب من حيث الاصالة حسب المجال نفسه وقدرة المؤلف واخلاصه للغاية العلمية .

٤ ــ انصاف الاندلس في الميدان اللغوي

بعد كل هذه الصورة الغنية في حقل التأليف يستغرب الدارس كيف تصدرفيأواخر هذا القرن أوفيمطلع القرن التالي رسالةعنابن الربيبالقروي (أي القيرواني) تعد حكما جائرا على التأليف عامة في الاندلس وعلى هذا النشاط اللغوي خاصة . فقد كتب ابن الربيب هذا رسالة الى أبي المغيرة ابن حزم (ابن عم الفقيه أبي محمد) يقول فيها : « وعلماؤكم ــ مع استظهارهم للعلوم ــ كل امرىء منهم قائم في ظله لا يبرح وراتب على كعبه لا يتزحزح ، يخاف ان صنف ان يعنف ، وان ألف أن يخالف ولا يوالف ... فاذا اخترمته منيته دفن معه أدبه وعلمه فمات ذكره وانقطع خبره »[١] . وهذا اتهام بأن الاندلسيين لا يؤلفون فكيف يمكن أن يصدر هذا الاتهام عن رجل قريب نسبيا من الاندلس ؟ أكانت الكتب الاندلسية لا تهاجر ؟ أكان هذا جهلا من ابن الربيب نفسه . انه ليقول قاطعا على

---

(١) نفح الطيب ٤ : ١٥٢ ــ ١٥٣ .

صاحبه طريق الجواب : « فان قلت انه كان مثل ذلك من علمائنا وألفوا كتبا لكنها لم تصل الينا فهذه دعوى لم يصحبها تحقيق لانه ليس بيننا وبينكم غير روحة راكب أو رحلة قارب، لو نفث من بلدكم مصدور لأسمع من ببلدنا في القبور فضلا عمن في الدور والقصور »[1] . ألم تخرج مؤلفات الزبيدي والقالي وابن القوطية وابن سيد وغيرهم ــ دع عنك تلك الكتب الكثيرة التي ألفت في موضوعات أخرى ــ خارج حدود الاندلس؟ هذا أمر مستغرب حقا ورسالة ابن الربيب تبعث على الحيرة لانها تصور الاندلس في عزلة عما حولها رغم الهجرة الكثيرة المستمرة منها واليها .

ولما رد ابن حزم الفقيه على هذه الرسالة وجد تراثا كثيرا يستشهد به على رسوخ قدم الاندلس في ميدان التأليف ، ومن المفيد أن ننقل هنا ما قاله في باب اللغة فانه يصور الجنبات البارزة في الصورة اللغوية لهذا العصر ، ويعطينا حكم عالم على ما بلغته الاندلس في تراثها اللغوي :

« ومنها في اللغة كتاب البارع الذي ألفه اسماعيل بن القاسم يحتوي على لغة العرب ، وكتابه في المقصور والممدود والمهموز لم يؤلف مثله في بابه ، وكتاب الافعال لمحمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية بزيادات ابن طريف مولى العبيديين فلم يوضع في فنه مثله ، وكتاب[2]

---

(١) المصدر نفسه : ١٥٣ .

(٢) لاحظ ان ابن حزم لم يذكر اسم الكتاب فالظاهر انه لم يطلع عليه ، ومن المستبعد أن يكون نسي اسمه لو فعل ، وقد سماه ابن خير « تلقيح العين في اللغة » .

جمعه أبو غالب تمام بن غالب المعروف بابن التياني في اللغة لم يؤلف مثله اختصارا واكثارا وثقة نقل ـ وهو أظن في قيد الحياة ـ ... ومنها كتاب أحمد بن أبان بن سيد في اللغة المعروف بكتاب « العالم »[1] نحو مائة سفر على الاجناس في غاية الايعاب ، بدأ بالفلك وختم بالذرة ، وكتاب النوادر لابي علي اسماعيل بن القاسم وهو كتاب مبار لكتاب الكامل لأبي العباس المبرد ولعمري لئن كان كتاب أبي العباس اكثر نحوا وخبرا فان كتاب أبي علي لاكثر لغة وشعرا ، وكتاب « الفصوص » لصاعد بن الحسن الربعي وهو جار في مضمار الكتابين المذكورين . ومن الأنحاء تفسير الحوفي لكتاب الكسائي حسن معناه ، وكتاب ابن سيد في ذلك المنبوز « بالعالم والمتعلم » وشرح له لكتاب الأخفش »[2] .

---

(١) اكثر المصادر على أن هذا المؤلف لمحمد بن أبان . انظر هذا الكتاب ص ١١٧ .

(٢) نفح الطيب ٤ : ١٦٥ ـ ١٦٦ .

الفصل الثالث

أئمة اللغة ومؤلفاتهم في هذا القرن

أبو بكر الزُّبَيْدي
محمد بن القوطية
ابو علي القالي

اولا ــ ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي * النحوي اللغوي (ــ ٣٧٩ / ٩٨٩)ومؤلفاته :

ابو بكر هذا عربي الأصل يرجع الى يمن ، ونسبته الى زبيد ، وهي قبيلة كبيرة من يمن . هاجر أهله الى الاندلس من حمص الشام ،

* ترجمته في : جذوة المقتبس : ٤٣ ، بغية الملتمس : ٥٦ ، تاريخ ابن الفرضي ٢ : ٩٢ ، المغرب ١ : ٢٥٠ ، يتيمة الدهر ٢ : ٧١ ، وفيات الاعيان ٤ : ٧ ، انباه الرواة ٣ : ١٠٩ ، معجم الادباء ١٨ : ١٨٠ ، الوافي بالوفيات ٢ : ٣٥١ ، بغية الوعاة : ٣٤ ، روضات الجنات : ٦٨٦ ، بروكلمان ٢ : ٢٨٠ (الترجمة العربية)

واستوطنوا حمص الاندلس[1] ، اي اشبيلية ، وفيها على الارجح كانت ولادته . اذ تتفق المصادر انه اشبيلي انتقل عن اشبيلية الى قرطبة[2] . وقد ذكرت هذه المصادر انه عاش ثلاثا وستين سنة اي انه ولد حوالي ٣١٦ / ٩٢٨ ، وهذا غير معقول لأن هناك رواية أخرى تقول : « وكان الزبيدي اماما في الأدب ولكنه عرف فضل القالي فمال اليه وأقر له »[3] ، ومن ولد سنة ٣١٦ / ٩٢٨ يكون عمره يوم وفادة القالي أقل من خمسة عشر عاما ، ولا يكون اماما في الادب . ولذا كان لزاما علينا ان نشك في أحد أمرين ، اولهما : تقدير عمره (أما سنة وفاته فانها صحيحة) ، وثانيهما ، تلك الرواية التي تقول بامامته في الأدب يوم ورود القالي ، وأراني أميل الى الشك في الأول ، وعلى هذا الاساس ابني نتائج دراستي لحياة الزبيدي .

ولا ريب في انه طلب العلم أولا في بلده ثم ارتحل الى قرطبة فدرس فيها على قاسم بن أصبغ وعلى احمد بن سعيد بن حزم الصدفي ومحمد ابن يحيى الرباحي . اما استاذه الرابع سعيد بن فحلون فهو بجاني ، ولا ندري ألقيه بقرطبة أم ببجانة ؟ وبعد ان درس على هؤلاء الائمة كر راجعا الى بلده فأقام فيه حتى اخذ الحكم يتجه نحو استقدام العلماء من بلاد الاندلس الى قرطبة فكان الزبيدي فيمن استدعاهم الحكم « لفضله

(١) وفيات الاعيان ٤ : ٨ ، الوافي بالوفيات ٢ : ٣٥١ .
(٢) وفيات الاعيان ٤ : ٩ ، انباه الرواة ٣ : ١٠٩ .
(٣) جذوة المقتبس : ١٥٥ ــ ١٥٦ ، معجم الادباء ٧ : ٣٠ .

والاستفادة منه »[1] . ومن المرجح ان يكون هذا الاستدعاء قد تم قبيل وصول القالي الى قرطبة عام ٩٤٢/٣٣٠[2] ، وأنه كان بين العلماء الذين استقبلوا ابا علي . وكان من الكتب التي رواها عن القالي كتاب النوادر والذيل وفعلت وأفعلت وكتاب الابل ونتاجها وجميع أحوالها وكتاب حلي الانسان والخيل وشياتها ، وكتاب مقاتل الفرسان وكتاب تفسير القصائد والمعلقات وتفسير اعرابها وكل ذلك من تأليف القالي . كما روى نوادر ابي زياد الكلابي وجزءا فيه الاضداد لثعلب والمفضليات وشعر اعشى بكر ومقصورة ابن دريد ، وهذه المرويات هي ما انحدر الى ابن خير عن طريق الزبيدي ، ولكني اعتقد ان ما حصله الزبيدي اكثر بكثير منها ، وأنه لم يكن يقل في سعة اطلاعه اللغوي عن المدى الذي رسمته حين تحدثت عن احمد بن أبان بن سيد[3] . وقد تشبث الحكم باستبقاء الزبيدي في قرطبة حتى انه ذات مرة منعه من العودة الى اهله باشبيلية[4] حينما استأذنه في ذلك . ويبدو انه عول على الاقامة في قرطبة من بعد .

ولما كبر المؤيد هشام اضطلع الزبيدي بتأديبه . وقد أرخ ابن حيان

---

(١) انباه الرواة ٣ : ١٠٩ .
(٢) هذا التقدير راجع الى الفرض الأول ، اما اذا قدرنا أن الزبيدي كان صغير السن يوم قدوم القالي فمعنى ذلك أن صلته بقرطبة تمت في تاريخ متأخر كثيرا وان ذلك لم يتم قبل عام ٩٦١/٣٥٠ على وجه التقريب .
(٣) راجع صفحات متفرقة من ابن خير .
(٤) جذوة المقتبس : ٤٥ .

هذه الحادثة في المقتبس تحت عنوان « ذكر ادناء الزبيدي » فقال : « وفي يوم الاحد للنصف من ذي القعدة منها (اي ٣٦٢ / ٩٧٣) نفذ العهد الى محمد بن حسن الزبيدي ثم الاشبيلي النحوي بالتزام مدينة الزهراء لمجالسة الامير أبي الوليد هشام ابن أمير المؤمنين ومفاتحته للنظر في العربية وقد اعتدت لنزوله فيها الدار التي كان يسكنها صاحب الشرطة أحمد بن سعيد الجعفري في حياة والده ، وأجريت الارزاق الواسعة عليه واستقبل في هذا اليوم بصلة سنية وخلعة فاخرة ، جزاء على الذي تولاه من اختصاره لكتاب العين للخليل بن أحمد ، واقامته على الترتيب والتضعيف * اللذين حدهما له امير المؤمنين فيه ، فارتضى عمله فيه عند تصفحه له وأجزل صلته وأدنى مكانه وأوصله الى نفسه يومه هذا ، ففاوضه في عمله الذي برع فيه ، واستثار له من غوامض فنونه ، وناظره بين يديه يومئذ الوزير الكاتب الأديب جعفر بن عثمان في غرائب من فنه في النحو واللغة والشعر ، فتباريا في الشأو وتسابقا في ميدان الاصابة ، فسر بهما فيوم (؟) المعرفة . وانتظم اتصال الزبيدي من يومئذ بالخليفة الحكم وابنه هشام الامير ونال حظوة »[1] .

وقد تولى الزبيدي القضاء في قرطبة ، يقول ابن الفرضي : وولاه

---

* ربما كانت التصنيف .
(١) المقتبس : الورقة ٨٠ .

القضاء بموضعه ، يعني الخليفة الحكم ، ومعنى هذا أنه كان قاضيا في المحلة التي يقطن فيها ، ولذلك لا يرد اسمه بين القضاة المشهورين في عصر الحكم ، فلما توفي الحكم ولاه هشام الشرطة[1] . وقد جعلته صلته بالدولة من أهل الثراء حتى انه « نال دنيا عريضة ، وحصل له نعمة ضخمة لبسها بنوه من بعده زمانا »[2] . ويبدو انه عاد في اواخر ايامه الى اشبيلية حيث توفي فيها سنة ٣٧٩/٩٨٩[3] . وتختلف المصادر بين سنة ٣٧٩ و ٣٨٠ / ٩٩٠ في تاريخ وفاته .

وليس في المصادر أخبار نستمد منها احكاما على شخصية الزبيدي ولكن اضطلاعه بالقضاء اولا ثم بولاية الشرطة ثانيا يدل على قدرته الادارية مثلما يدل على تضلعه في الشريعة . ولعل كتابه الذي الفه في الرد على ابن مسرة يدل على تمسكه بالسنة والمحافظة الدينية التي كانت تؤهله لذلك المنصب القضائي . اما غيرته على اللغة فشيء تشهد به مؤلفاته نفسها ، ودقته الصارمة في تعقب الاخطاء . وأما علمه فقد كان العلم الغزير الذي اطنبت المصادر في الثناء عليه حتى قيل فيه : « كان اوحد عصره في علم النحو وحفظ اللغة ، وكان أخبر اهل زمانه بالاعراب والمعاني

---

(١) تاريخ ابن الفرضي ٢ : ٩٢ ، وفيات الاعيان ٤ : ٧ .
(٢) وفيات الاعيان ٤ : ٧ ، وانظر أيضا تاريخ ابن الفرضي ٢ : ٩٢ .
(٣) وفيات الاعيان ٤ : ٨ .

والنوادر ، الى علم السير والاخبار ، ولم يكن بالاندلس في فنه مثله في زمانه » وقد ترددت هذه الرواية بلفظ او بآخر في الكتب التي ترجمت له[1] . ويدل تتلمذه للقالي وانتسابه اليه على تواضع علمي أصيل فيه والا فقد كان غنيا بنفسه عن ان يطلب العلم مستأنفا يوم وصل القالي الى قرطبة .

وقد كان الزبيدي شاعرا يذهب في شعره نـاحية حكمية تعليمية أحيانا . وتغلب على بعض شعره معرفته اللغوية كقصيدته التي رثى فيها القالي ، فهي قصيدة « جزلة الالفاظ كثيرة الغريب صاغها صوغ فحول العرب ، وضمنها قطعة من غريب كلامهم »[2] . وله مقطعات ضمنها بعض مشاعره الذاتية كتلك التي كتبها الى جاريته سلمى حين لم يأذن له المستنصر بالعودة الى اشبيلية ومطلعها[3] :

ويحك يا سلم لا تراعي　　　لا بد للبين من زماع

مؤلفاته في النحو واللغة :

للزبيدي مؤلفات جمة في النحو واللغة ، أجمل القول فيما لم يصلنا منها وما لم يتح لي ان اطلع عليه ، ثم اعود الى دراسة ثلاثة مـن كتبه

---

(١) راجع ثبت هذه الكتب في أول ترجمة الزبيدي .
(٢) يتيمة الدهر ٢ : ٧١ ، ومطلع هذه القصيدة :
تالله لا يبقى لصرف النوى　　　ذو جسد في رأس نيق منيف
(٣) انظر جذوة المقتبس : ٤٥ ، والمصادر الاخرى .

الهامة .

١ – كتاب مختصر العين[1] ، رواه عنه اسماعيل والد اللغوي المشهور ابن سيده ، وابو بكر عبادة بن ماء السماء الشاعر ، وعن طريقهما انحدرت روايته الى ابن خير[2] . وقال فيه الفتح : « وله اختصار العين للخليل وهو معدوم النظير والمثيل »[3] . وكان هذا الكتاب من الكتب التي يتنافس فيها أهل المغرب لانه « اتمه باختصاره وزاد فيه ما عساه كان مفتقرا اليه »[4] . وهو كتاب ألفه للحكم المستنصر ونال اعجابه .

وجاء في المزهر : « قال أبو الحسن الشاري في فهرسته : كان شيخنا ابو ذر يقول : المختصرات التي فضلت على الأمهات أربعة : مختصر العين للزبيدي ومختصر الزاهر للزجاجي ومختصر سيرة ابن اسحاق لابن هشام ومختصر الواضحة للمفضل ابن سلمة . قال الشاري : وقد لهج الناس كثيرا بمختصر العين للزبيدي فاستعملوه وفضلوه على كتاب العين

---

(١) من هذا الكتاب نسخة في مجلد واحد في الرق بخزانة القرويين بفاس ١٢٤٦ – ١٢٤٧ (مجلة معهد المخطوطات ٥ : ١٥) ونسخ في القاهرة (٣٨٦ ، ٤٠٦ ، ٥٩٧ لغة) ونسخة بمكتبة فيض الله رقم : ٢٠٩٨ ، ونسخة في برلين ٦٩٥٠ – ٥٢ ، ونسخة في باريز ٥٣٤٧ ، ومدريد ثالث : ٤٩ ، وكوبريلي : ١٥٧٤ ، (انظر بروكلمان ٢ : ١٣٣) .

(٢) فهرسة ابن خير : ٣٥٠ .

(٣) مطمح الانفس : ٥٤ ، ونفح الطيب ٩ : ٢٥٠ .

(٤) معجم الادباء : ١٨ : ١٨١ .

لكونه حذف ما أورده مؤلف كتاب العين من الشواهد المختلفة والحروف المصحفة والابنية المختلة وفضلوه أيضا على سائر ما ألف على حروف المعجم من كتب اللغة ، مثل جمهرة ابن دريد .... ومذهبي ومذهب شيخي أبي ذر الخشني وأبي الحسن بن خروف أن الزبيدي أخل بكتاب العين كثيرا لحذفه شواهد القرآن والحديث وصحيح أشعار العرب »[1] .

ويمكن أن أجمل ما صنعه الزبيدي في هذا الكتاب بأنه حذف المواد المصحفة او المشكوك فيها ، ووضع المادة في موضعها الصحيح ، وأثبت الاختلاف في اقوال اللغويين الاخرين الى جانب ما ورد في العين ، وحذف المصادر والأفعال المضارعة والابنية القياسية واختصر ما في العبارات التفسيرية من طول . وبالرغم من أنه يضع مختصرا فقد زاد بعض الالفاظ والمواد التي لم يتضمنها الكتاب الاصلي[2] .

٢ ــ الانتصار على من أخذ عليه في مختصر العين[3] .

٣ ــ المستدرك من الزيادة في كتاب البارع لأبي علي البغدادي على كتاب العين للخليل بن أحمد رواه عنه عبادة بن ماء السماء[4] .

---

(١) المزهر ١ : ٤٤ .
(٢) عن المعجم العربي : ٢٨٤ ــ ٢٨٦ بايجاز .
(٣) لحن العوام : ٢٨ .
(٤) فهرسة ابن خير : ٣١١ .

٤ ــ استدراك الخطأ الواقع في كتاب العين[١] نقل منه السيوطي في المزهر ، ومن أمثلة ما استدركه الزبيدي من الألفاظ المصحفة : باب همع ، الهميع : الموت فصحفه والصواب الهميغ بالغين المعجمة . باب قفع ، القفاعي من الرجال : الاحمر ، وهو غلط ، والصواب ، فقاعي ، يقال : هو احمر فقاعي ، للذي يخالط حمرته بياض . باب عنك ، عرق عانك : اصفر : والصواب : عاتك[٢] .

٥ ــ الانتصار للخليل فيما رد عليه في العين . وقد نقل السيوطي في المزهر ما سماه مقدمة الاستدراك ، ولكن الزبيدي يشير في تلك المقدمة الى مهاجمة الناس له فيما أخذه على الخليل فما أحرى أن تكون هذه المقدمة مقدمة للانتصار . وقد جاء فيها : « وصل الينا ــ أيدك الله ــ كتابك تذكر فيه ما أولع به قوم من ضعفة أهل النظر من التحامل علينا والتسرع بالقول فينا بما نسبوه الينا من الاعتراض على الخليل بن أحمد في كتابه والتخطئة له في كثير من فصوله ، وقلت انهم قد استمالوا جماعة من الحشوية الى مذهبهم وعدلوا بهم الى مقالتهم بما لبسوا به وشنعوا القول فيه ، وسألت ان احسم ما نجم من افكهم وارد ما ندر من غريب السنتهم ببيان من القول مفصح واحتجاج من النظر موضح . وقد كنت ، ايدك الله ، في صحة تمييزك وعظيم النعمة عليك في نظرك ، جديرا ان لا

(١) فوات الوفيات ٤ : ٧ .
(٢) انظر المزهر ٢ : ١٩٣ ــ ١٩٦ .

تعرج على قوم هم بالحال التي ذكرت ، وأن يقع لهم العذر لديك بوجوه جمة منها : تخلفهم في النظر وقلة مطالعتهم للكتب وجهلهم بحدود الأدب ، مع ان العلة الموجبة لمقالتهم والباعثة لتسرعهم علة الحسد الذي لا يداوى سقمه ولا يوسى جرحه ، فقد قال الحكيم :

كل العداوات قد ترجى افاقتها   الا عداوة من عاداك عن حسد

أوليس من العجب العجيب والنادر الغريب ان يتوهم علينا من به مسكة من نظر او رمق من فهم تخطئة الخليل في شيء من نظره والاعتراض عليه فيما دق او جل من مذهبه .. الخ . »[1] ويمضي الزبيدي فيبين أن ما وقع في العين من خطأ لا يمكن أن يقع فيه الخليل ودل على مبلغ حذقه فيما رسم أو ألف قال : « ولو أن الطاعن علينا يتصفح صدر كتابنا المختصر من كتاب العين لعلم أنا نزهنا الخليل عن نسبة المحال اليه ونفينا عنه من القول ما لا يليق به ... وذلك أنا قلنا في صدر الكتاب : ونحن نربأ بالخليل عن نسبة الخلل اليه أو التعرض للمقاومة له بل نقول ان الكتاب لا يصح له ولا يثبت عنه » . ويوضح ذلك بأقوال لعلماء مشارقة في استبعاد نسبة الكتاب في شكله الذي وصلنا الى الخليل وبالاختلاف في نسخه والاضطراب في روايته والاستشهاد بالمرذول من أشعار المحدثين وأن فيه رواية عن ناس لا يمكن أن يكون الخليل قد روى عنهم وأن جميع ما وقع فيه من معاني النحو انما هو مذهب الكوفيين والخليل

---

(١) المزهر : ٤٠ .

بصري ، ثم ان في الكتاب تداخلا لا يعجز الخليل تثقيفه[1] .

٦ ــ الواضح في النحو[2] : هكذا اسمته اكثر المصادر وذكره صاحب المغرب باسم « الايضاح » وفي الوافي بالوفيات وبغية الوعاة وروضات الجنات أنه « الموضح » ، ورواه عنه ابو بكر عبادة بن ماء السماء[3] وقيل فيه « انه مفيد جدا »[4] ، شرع في شرحه ابن وليد النحوي فبلغ منه نحو النصف وتوفي قبل اكماله[5] .

٧ ــ كتاب رسالة التقريظ ، رواها عنه عبادة بن ماء السماء[6] . ولعلها هي رسالة الانتصار للخليل .

٨ ــ كتاب طبقات النحويين واللغويين[7] .

ترجم فيه للنحويين واللغويين من عهد أبي الاسود حتى محمد بن يحيى الرباحي (ــ ٣٥٨ / ٩٦٩) وقد كان مصدرا لكثير من المؤلفين الاندلسيين والمشارقة مثل ابن الفرضي ويـاقوت والقفطي والسيوطي

---

(١) المزهر : ٥٠ ــ ٥٣ .
(٢) من هذا الكتاب نسخة بالاسكوريال (انظر بروكلمان ٢ : ٢٨٠) ونسخة مصورة بدار الكتب عن نسخة المكتبة المتوكلية بجامع صنعاء الكبير .
(٣) فهرسة ابن خير : ٣١١ .
(٤) وفيات الاعيان ٤ : ٧ .
(٥) الصلة : ٢٥٣ .
(٦) فهرسة ابن خير : ٣٥١ .
(٧) طبع بمصر سنة ١٩٥٤ ، بتحقيق الاستاذ محمد ابو الفضل ابراهيم .

والمقريزي . وقد بين الزبيدي في مقدمة الكتاب انه ألفه بأمر من الحكم المستنصر . قال : « فألفت هذا الكتاب على الوجه الذي امرني به امير المؤمنين ، رحمه الله ، وأقمته على الشكل الذي حده ، وأمدني ، رضي الله عنه ، في ذلك بعنايته وعلمه ، واوسعني من روايته وحفظه ، اذ هو البحر الذي لا تعبر اواذيه ولا تدرك سواحله ، لا ينزح غمره ولا تنضب مادته »[1] . وقوله في هذه العبارة ، رحمه الله ، يدل على ان الكتاب نجز تأليفه بعد سنة ٣٦٦ / ٩٧٧ .

وكان المنهج الذي اتبعه الزبيدي في هذا الكتاب هو الترجمة لعلماء اللغة والنحو على حسب التسلسل الزمني ذاكرا مولد المترجم له وتاريخ وفاته ، وتنفا من اخباره والحكايات المتضمنة لفضائله والمشتملة على محاسنه . وقسم كتابه على طبقات ، فجعل النحويين البصريين في عشر طبقات ثم اورد بعدهم النحويين الكوفيين في ست طبقات ، حتى اذا انتهى منهم عاد فأفرد فصلا للغويين البصريين وجعلهم في سبع طبقات ، وشفعهم بالكوفيين وجعلهم في خمس طبقات . ومزج بين النحويين واللغويين المصريين في فصل واحد وجعلهم في ثلاث طبقات . وجاء بعدهم بالنحويين واللغويين القرويين في أربع طبقات . وختم الكتاب بتراجم النحويين واللغويين الأندلسيين في ست طبقات . أما الأساس الطبقي في هذا التقسيم

(١) طبقات الزبيدي : ١٠ .

فهو الأساس الزمني ، وهي قسمة تقريبية . ولم يذكر الزبيدي مصادره التي اعتمدها في كتابه ، ولكن كثيرا من الاخبار تسند الى القالي رواية ، والى ابن الغازي ، احد الاندلسيين الراحلين الى المشرق . كما ان فيه روايات عن استاذه قاسم بن أصبغ ، وعن الرباحي . ولست أظن ان الزبيدي اكتفى بالروايات الشفوية وانما اعتمد على كتب في اخبار النحويين واللغويين ككتاب السيرافي . على ان الكتاب يعد أصلا هاما في كتب التراجم ، ولا تظهر قيمته الا عند مقارنته بما ألف في مثل موضوعه . اما في تراجم اللغويين والنحويين الاندلسيين فيكاد يكون المصدر الوحيد حتى منتصف القرن الرابع .

٩ ـ الاستدراك على سيبويه :

أ ـ دواعي التأليف

نظر الزبيدي في المؤلفات النحوية الكثيرة ، فرأى أن الغثاثة غالبة عليها : في طريقة التأليف وفي شدة الاطالة وعدم التجديد والتكرار لموضوعات سابقة ، فعبر عن سخطه هذا بقوله : « فاني رأيت علماء النحو في زماننا هذا وما قاربه قد اكثروا التأليف فيه وأطالوا القول على معانيه فأملوا الناظرين واتعبوا الطالبين بتكرار معان قد بينت وركوب اساليب قد نهجت فلم يخل اكثرهم بغير اعادة ما تقدم اليه والتكثير فيما سبق

الى القول عليه.وقد كان ينبغي لمن هم بذلك منهم ان يتصفح كتاب عمرو ابن عثمان المعروف بسيبويه فينظر الى مبادي كتابه وعنوانات ابوابه ويرى لطائف معانيه ودقائق حجاجه الى الايجاز في قوله والايعاب لمراده فيزجره ذلك ان كان ذا حجى عن تكلف ما لا حاجة اليه ويمنعه الاعتناء بما لا معول عليه »[1] . فالزبيدي اذن معجب اشد الاعجاب بكتاب سيبويه ينعي على الاخرين تأليفهم كتبا هي في حقيقتها تكرار ومسخ لما قاله صاحب الكتاب من قبل .

غير ان هذا الاعجاب من قبل الـزبيدي لم يمنعه من وزن كتاب سيبويه بميزان الحقيقة . فهو يعرف ما له وما عليه . ويبدو انه كان لفترة طويلة يصاحب الكتاب ويدرسه ويتدارسه فعرف من اموره ما لم يعرفه غيره ، او هكذا هو يزعم[2] . ولعل اكثر ما جذب انتباه الزبيدي في الكتاب ما كان متعلقا بأبنية الاسماء والافعال : « وقد كنت ايام مطالعتي هذا الكتاب كلفا بما تضمنه من ابنية الاسماء والافعال التي هي زمام الكلام والسور المضروب دونه والحد المنتهي اليه فاستخرجتها يومئذ مختصرة منه ليقرب حفظها لمن آثر ان يقف على معرفة البناء العربي من الدخيل

---

(١) الاستدراك على سيبويه : ١ .
(٢) المصدر نفسه .

اما من مصنوع غولط به او أعجمي اقحم فيه »[1] . ولكثرة مطالعة الزبيدي لهذه الابواب استطاع ان يكتشف،وهذا ما لم يستطعه غيره ، كما يقول ، نقصا كثيرا : « وكان جلة المشايخ من اهل النحو فيما روينا عنهم يزعمون ان ما ألفه سيبويه منها يستوفي جميع ابنية الكلام ما خلا ثلاثة ابنية شذت عن جميعه ، فاستقصيت البحث عن ذلك وانعمت النظر فيه فألفيت نحو الثمانين بناء لم يذكرها سيبويه في ابنيته ولا دل عليها احد من النحويين من بعده »[2] . فكان هذا المنطلق الذي بدأ الزبيدي منه بالتفكير في سد الثغرة التي خلفها سيبويه .

على كل حال ، لم يكن الدافع هذه المـرة رغبة امير المؤمنين في المؤلفات وتشجيعه لها ، كما كان الامر في كتابي الزبيدي الاخرين : لحن العوام ، وطبقات النحويين واللغويين[3] ، وهو يرجع الفضل كله في هذا المؤلف لنفسه . وربما كان زمن تأليف الكتاب سابقا لاتصال الزبيدي بالحكم او بعد وفاة الحكم ، فقد عرفنا من سيرة حياة الزبيـدي انه اتصل بالخليفة بعد ان توطدت قدمه في دنيا العلم .

واعتقد ان الدافع الأول لاستدراك الابنية التي لم يذكرها سيبويه

---

(١) الاستدراك على سيبويه : ١ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) مقدمتا الكتابين .

انما كان اظهار العلم والادلال بالمعرفة . والحقيقة ان لهجة التعالم ــ وهي لهجة مستغربة من الزبيدي المتواضع ــ بادية تماما في الكتاب اجمع . وسوف نرى بعد قليل كيف ان الزبيدي تتبع سيبويه مفندا كلامه متتبعا اخطاءه ، وكيف انه استقصى غاية الاستقصاء بحيث لم يترك شاردة ولا واردة . وكان حريصا على ذكر ما اورده سيبويه ثم اتباعه بما لم يذكره ، مما يشير الى رغبة المقابلة وابراز النقص .

ب ــ منهج الكتاب

جاء في مقدمة الكتاب : « .. فرأيت ان افرد في الابنية كتابا الخص ذكرها فيه وأبدأ بما يجب ان يكون صدرا لها ومدخلا اليها مما يشاكلها وينتظم بها بل هو أصل لها وهي فرع منه مبنية عليه ، وذلك بان ابتدىء بذكر اقل أصول الاسماء والافعال والحروف واكثر أصولها غير مزيدة واقصى ما تنتهي اليه بالزيادة . ونذكر حروف الزيادة والبدل ، ثم نعقب من بعد بأبنية الاسماء والافعال على حسب ما ذكرها سيبويه بناء بناء ونعد ما نورد منها في كل باب حتى تأتي احاطة العدد على جميع ابنية الاسماء والافعال .. »[1] . ويمكننا ان نقسم الكتاب الى مقدمة والى موضوعين رئيسين . فالمقدمة هي التي تشمل الابواب التالية :

١ ــ باب ذكر أقل أصول الاسماء واكثر اصولها .

٢ ــ باب ذكر أقل أصول الافعال واكثر اصولها .

---

(١) الاستدراك على سيبويه : ١ ــ ٢ .

٣ ـ باب ذكر الحروف .

٤ ـ باب الحروف الزوائد وهي عشرة .

٥ ـ باب حروف البدل وهي اثنا عشر حرفا .

وهذه الابواب دراسات تمهيدية وتعريفات يدخل من بعدها في صلب الموضوع ، وهو الابنية . وبطبيعة الحال لم يصنف الزبيدي كتابه هذا التصنيف ، وانما ادرج الابواب بصورة متتالية ودون ان يميز بين ما هو تمهيد وما هو أصيل .

واما البابان الرئيسان فانهما يتفرعان كذلك الى ابواب ثانوية ، وهذه بدورها تتفرع الى ابواب فرعية . والبابان الرئيسان هما :

اولا ـ باب ذكر ابنية الاسماء

١ ـ باب البناء الثلاثي غير المزيد

أ ـ ذكر لحاق الزوائد في البناء الثلاثي :

ـ باب لحاق الهمزة ـ باب لحاق الالف ـ باب لحاق الياء

ـ باب لحاق النون ـ باب لحاق التاء ـ باب لحاق الميم

ـ باب لحاق الواو

ب ـ باب الزيادة من موضع التضعيف في العين واللام

ج ـ باب الزيادة من موضع العين واللام اذا ضوعفتا

٢ ـ باب البناء الرباعي غير المزيد

أ ـ باب لحاق الزوائد للرباعي

ـ باب لحاق الواو ـ باب لحاق الياء ـ باب لحـاق الالف

ـ باب لحاق النون

ب ـ باب التضعيف في الرباعي

٣ ـ باب ابنية الاسماء والصفات الخماسية

أ ـ باب لحاق الزوائد بالخماسي

ب ـ باب ما اعربت العرب من الاسماء الأعجمية

ثانيا : ذكر ابنية الافعال

١ ـ باب لحاق الزوائد للفعل الثلاثي

٢ ـ باب ما تسكن اوائله من الافعال المزيدة

٣ ـ باب ما لحق من الافعال الثلاثية بالرباعية

٤ ـ باب الافعال الرباعية

٥ ـ باب لحاق الزوائد بالرباعي

ومن هذا التبسيط لمواد الكتاب يلاحظ ان هناك بعض الاضطراب في المنهج . فباب « ما اعربت العرب من الاسماء الاعجمية » لا يختص بأبنية الاسم الخماسي ، ولكن الزبيدي الحقه بهذا الباب . غير ان ذلك لا يعد طعنا بالغا في منهج الكتاب ، بل يمكن القول انه من المؤلفات ذات المنهج الواضح . وربما ساعد على ذلك الانتظام ، ضيق المجال وتقيد المؤلف بناحية معينة من اللغة واتباعه لكتاب

سيبويه في رده عليه .

ويعتمد الزبيدي في الرد على سيبويه ناحيتين :

١ ــ تبيان تناقض سيبويه وغلطه في ما ذكر ، وهو يشير الى ذلك قائلا : « وندل في خلال ذلـك على ما اختلف فيه قولـه وما نقض به أصله »[1] . ومثل هذا التتبع كثير ، بل الواقع ان الهدف من الكتاب هو هذا الاستدراك على سيبويه ، مثاله « ... وعلى فعلل فالاسم زبرج وزئبر وحفرد والصفة دلقم وعنفص وخرمل وزهلق ، قال ابو بكر : قد قال في باب زيادة الميم في الثلاثة ان دلقم فعلم والميم زائدة وجعلها هاهنا اصلا على فعلل »[2] .

٢ ــ افراد فقرة تابعة خاصة لايراد ما لم يورده سيبويه من اصول الابنية . قال الزبيدي : « ونذكر باثر كل باب منها ما اغفله سيبويه من اصول الأبنية فيه »[3] . فبعد باب لحاق التاء يورد الزيـادة التـالية : « الزيادة ، قال ابو بكر قد جاء تفعل قالوا تنوط اسم لطائر ، فعدتها ثمانية عشر بناء ، للاسماء والصفات ثلاثة ابنية وللاسم اثنا عشر بناء وللصفة ثلاثة ابنية »[4] . وتختلف الزيادة من باب الى آخر فأحيانا تطول[5]

---

(١) الاستدراك على سيبويه : ٢ .
(٢) المصدر نفسه : ٢٨ .
(٣) المصدر نفسه : ٢ .
(٤) المصدر نفسه : ٢٣ .
(٥) زيادة باب لحاق النون ص : ٢٢ ، زيادة باب لحاق الالف ص ١٤ ــ ١٥ .

واحيانا تقصر[1] .

حتى اذا خلص من ذلك كله عمد الى تفسير الغريب . قال شارحا منهجه في هذه الناحية : « ثم نشرح بعد كل باب منه ما وقع فيه من غريب الابنية شرحا مختصرا كافيا ، وان كان اهل اللغة قد تحاموا شرحها وتفادوا من تفسير غريبها وشهدوا لسيبويه بالتقدم في علم اللغة بما اثبته في كتابه منها حين ايقنوا انه لم يعن بنقلها الا بعد احاطته بعلمها وتفسير مشكل غريبها »[2] . فالزبيدي يرى من واجبه ان يشرح ما هو عسير على الفهم . وربما ظهر التعالم ومحاولة التفوق على سيبويه في هذا الكلام ، اذ انه يغمز سيبويه ويتهمه بانه لم يكن يعرف تفسير الالفاظ الغريبة كلها . ولما كان لا يؤمن بكلام العلماء الاخرين الذين يثقون بسيبويه ، فانه يفرد جزءا خاصا بالتفسير يلحقه بكل باب من ابواب كتابه . ولكن الزبيدي يعترف بأنه لم يستطع ان يحيط بكل شيء صعب : « وقد ارجأنا منها شرح حروف يسيرة لم ينته الينا علمها فأتينا بها في اواخر الابواب ولم نيأس بعد من ادراكها عند استقصاء البحث عنها ان شاء الله تعالى »[3] .

وهذا التفسير التابع ، ليس قليل الشأن ، او ، اذا اردنا ان نكون دقيقين ، ليس قليل الحجم ، فهو كثيرا ما يفوق في حجمه المادة الاصلية

(١) زيادة باب ابنية الاسماء والصفات الخماسية ص : ٣٦ ، زيادة باب لحاق التاء ص : ٢٣ .
(٢) الاستدراك على سيبويه : ٢ .
(٣) المصدر نفسه .

والزيادة عليها مجتمعتين .ولعل السبب في ذلك ان المجال ينفتح امام الاخبار والاقوال والامثال وأشعار العرب : « والاسليح نبت من فاضل المرعى ، وتنافر الى ابنة الخس امرأتان تمارتا في مرعى ابويهما . فقالت احداهما : ابل ابي ترعى الاسليح ، فقالت بنت الخس : رغوة وصريح وسنام اطريح »[1] .والزبيدي ها هنا يرد الروايات الى قائليها ولكنه لا يذكر ما اذا كانت مصادره شفوية ام مختارة من الكتب ، ولا يورد اسماء المؤلفات . فهو يقول : « قال النضر بن شميل »[2] و « قال يعقوب »[3] و « ذكر الاصمعي »[4] .

ويكثر الشعر اثناء التفسير ، ولكنه يذكره للاستشهاد به ، ولا تجره المتعة الادبية الى ذكر مقطوعات بكاملها . بل انه كثيرا ما يكتفي بشطر من بيت حرصا على الايجاز .

ويمكننا ايجاز التقسيم داخل كل باب ــ ولفظة باب عنده سائبة الدلالة فقد تعني ابنية الاسماء اجمع ، وقد تعني لحاق التاء في الثلاثي المزيد فقط ــ بما يلي :

١ ــ ما اورده سيبويه من الباب ، واظهار التناقض والخطأ احيانا .

---

(١) الاستدراك على سيبويه : ٩ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) المصدر نفسه .

٢ ـ الزيادة التي حققها الزبيدي لما فات سيبويه ذكره .

٣ ـ تفسير غريب الباب .

جـ ـ خصائص الكتاب

يتميز هذا الكتاب بصفتين بارزتين ، اولاهما الاستقصاء وثانيتهما وضوح شخصية المؤلف :

فأما الاستقصاء فقد تتبع ابو بكر الزبيدي سيبويه تتبعا عنيفا ، ولم يتركه لحظة الا ليعود فيمسك بتلابيبه مرة أخرى . وقد أحس الزبيدي نفسه بأن مثل هذا التصرف قد يعرضه لهجوم الناس عليه ، فاستبق هجوم الناقدين ودافع عن نفسه قائلا : « ولعل عاقلا يتوهم انا ادعينا مداناة سيبويه في علمه او موازاته في نفاذه وفهمه بما زدنا عليه من الابنية التي اغفل ذكرها ولما دللنا عليه من تناقض بعض قوله او بمعارضتنا له في اليسير من معانيه فيخالنا افكا ويظن بنا عجزا وأنى لنا بما توهمه وانما تكلمنا على أصوله وعارضنا بعض قوله ببعضه ورددنا عليه من علمه ، والاحاطة على البشر ممتنعة والعصمة عنهم مرتفعة »[1] . وهذا الكلام له اهميته لأن فيه تأكيدا على ان الزبيدي يجد نفسه قادرا على مقارعة سيبويه واكتشاف اخطائه وتتبع عثراته .

وهذا الاستقصاء يظهر لنا واضحا في مثل ، من جملة الامثلة الكثيرة

(١) الاستدراك على سيبويه : ٢ .

التي يمكن ايرادها ، جاء في باب لحاق الألف : « ... قال سيبويه وعلى تفاعل فالاسم التناضب والتنافل ولم يأت وصفا ، قال ابو بكر قد جاء ناقة تحلبة والجمع تحالب . قال سيبويه وعلى يفـاعيل فالاسم يرابيع ويعاقيب ويعاسيب والصفة يحاميم ويخاضير جمع يخضور ويحموم . وعلى يفاعل فالاسم اليحامد واليرامع ، قال ابو بكر : قد جاء ناقة يعملة صفة والجمع يعامل . قال سيبويه وعلى فعاويل فالصفة قراويح وجلاويخ لا نعلمه جاء اسما ، قال ابو بكر : قد ذكر في هذا الباب عصواد وقرواش اسمان فيجب ان يجمعا على عصاويد وقراويش الخ ... »[1] .

وأما من حيث وضوح شخصية الزبيدي في كتابه فالواقع ان طبيعة الكتاب تستدعي من المؤلف فرض شخصية قوية وبارزة . فهو مؤلف قائم على استدراك اخطاء الآخرين وسد النقص وتتبع السقطات ، وهذا كله يحتاج الى عالم يبدي رأيه بصراحة وبصورة جازمة .

فالزبيدي يبدي رأيه في المشكلات اللغوية المعقدة ويكون شديدا حتى على العلماء الثقات : « وليست اليـاء في مسلمين بـبـدل من الف مسلمان ولا ياء مسلمين ببدل من واو مسلمون كما زعم سيبويه لأنه ليس منها شيء بأصل لازم لاسم هو اولى به من غيره وانما هي ادلة على اعراب الاسم لكن قد ذهب في ذلك مذهبا »[2] . ويلاحظ ان الزبيدي لا يعترض

---

(١) الاستدراك على سيبويه : ١١ ــ ١٢ .
(٢) المصدر نفسه : ٦ .

فحسب وانما يبدي الحجة . ومثل هذا دفاعه عن الكوفيين : « قال ابو بكر : الكوفيون ومن نحا نحوهم من البغداديين يجعلون هذا من الثلاثي وأصله عندهم كففت وزللت فكرهوا اتصال التضعيف فحالوا بينه بحرف مثل فاء الفعل وقولهم عندي اولى بالصواب لاطراد مقالتهم وصحبة الاشتقاق لمذهبهم ، الا ترى ان قولك كفكفت في معنى كففت وحلحلت في معنى حللت »[1] .

١٠ — لحن العامة

تذكره المصادر بهذا الاسم وأحيانا باسم كتاب ما تلحن فيه عوام الاندلس ، وحينا ثالثا باسم لحن عوام الاندلس أو لحن العوام ، وقد قال فيه ابن خير : « كتاب لحن العامة لأبي بكر الزبيدي التأليف الأول والثاني »[2] ، فللكتاب صورتان متفاوتتان كتبهما الزبيدي في تاريخين مختلفين . ثم ذكر كتاب « مختصر لحن العامة » وقال عنه انه في جزء واحد[3] وقد أخذه اجازة ولم يقرأه . وقد نشرت صورة من هذا الكتاب قام بتحقيقها رمضان عبد التواب بعنوان « لحن العوام »[4] .

ويقول محقق الكتاب : انه هو الاسم الذي وجده على المخطوطة الوحيدة التي استخدمها في التحقيق . ويبدو أن هذا المنشور اما أن يكون

---

(١) المصدر نفسه : ٤٠ .
(٢) فهرسة ابن خير : ٣٤٦ .
(٣) المصدر نفسه : ٢٤٧ .
(٤) طبع القاهرة : ١٩٦٤ .

مختصر لحن العامة أو الصورة الموجزة من التأليفين اللذين ذكرهما ابن خير .

(أ) ــ الداعي الى تأليف الكتاب

يريد الزبيدي في هذا الكتاب ان يرد فضل التأليف الى الحكم المستنصر ، يقول : « وكان الذي قد دعانا الى تأليف هذا الكتاب ما أملناه في الثقة التي اسندها الى المؤلف الامام الفاضل ، والخليفة العادل ، الذي لا امام في الارض غيره ، ولا خليفة لله على الخلق سواه ، الحكم المستنصر بالله ، امير المؤمنين ، وسيد المسلمين ، محيي العلم وواعيه ، الراسخ في فنونه ، الموفي على دقيقه وجليله ، المشرف له ولحامليه ... »[1] غير اننا لا نستطيع ان نرد من الفضل للحكم سوى ما يمكن ان يكون قد ساهم به من تشجيع ورعاية وعطاء . اما الفضل العلمي فاننا نرده كله الى الزبيدي ، اذ هذا الكتاب يختلف في منهجه عن كتاب طبقات النحويين واللغويين .

ولقد نظر الزبيدي الى لغة الناس من حوله فأحس ان هناك فارقا ما بين لغتهم وبين اللغة الفصيحة ، فأراد ان يبين هذه الاخطاء ، او ما اعتبره من الأخطاء . ويشرح لنا في المقدمة هذا الامر فيقول : « ولم تزل العرب في جاهليتها وصدر من اسلامها ، تبرع نطقها بالسجية وتتكلم على السليقة ، حتى فتحت المدائن ، ومصرت الامصار ، ودونت الدواوين ،

(١) لحن العوام : ٩ .

فاختلط العربي بالنبطي ، والتقى الحجازي بالفارسي ، ودخل الدين اخلاط الامم ، وسواقط البلدان ، فوقع الخلل في الكلام ، وبدأ اللحن في ألسنة العوام »[1] .

وقد ذكر الزبيدي ان هناك قوما حاولوا ان يصلحوا من هذا الامر «فان اول من استدرك ذلك ، وحاول اصلاح فساده ، ابو الاسود ظالم ابن عمرو الدؤلي فألف ابوابا من النحو ، ذكر فيها عوامل الرفع والجر والجزم ، ودل على الفاعل والمفعول والمضاف »[2] .

ويورد الزبيدي بعد ذلك ذكرا لبعض الاسهامات التي شاركت في التأليف النحوي ووضعت قواعد لضبط اللغة ومحو الجهل فيها[3] . ثم يقول موضحا الهدف من التأليف : « ثم الف من بعده ـ بعد الخليل ـ من اهل العلم في النحو والغريب واصلاح المنطق ، على قدر الحاجة ، وبحسب الضرورة ، تحصينا للغتهم ، واصلاحا للمفسد من كلامهم »[4] . فالهدف اذن من تأليف لحن العوام هو اتمام تلك السلسلة من الكتب اللغوية التي تحاول ان تضبط اللغة وتمنع فشو اللحن فيها .

وهنا نسأل انفسنا هذا السؤال : هل ألف الزبيدي كتابه على غير مثال سابق ؟ الواقع ان الزبيدي نفسه يقول : « وقد وضع ابو حاتم[5]

---

(١) لحن العوام : ٤ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) المصدر نفسه : ٤ ـ ٥ .
(٤) المصدر نفسه : ٥ .
(٥) ابو حاتم السجستاني .

كتابا اعتزم به تقويم ما غيره اهل عصره من كلام العرب ، وسماه كتاب لحن العامة »[1] . فالفكرة اذن ليست من ابتداع الزبيدي ، وعنوان الكتاب أيضا ليس جديدا .

فما الذي يختلف فيه كتاب الزبيدي عن كتاب ابي حاتم ؟ ان مثل هذه الزيادة او مثل هذا الاختلاف هو المبرر لتأليف لحن العوام ، والا يكون الكتاب بمجمله نفلا .

يقول الزبيدي : « واني لما تصفحت كتابه ــ كتاب ابي حاتم ــ هذا رأيته مشتملا على ما يشتمل عليه سائر الكتب الموضوعة في اللغة ، ورأيت الفن الذي قصده ، والضرب الذي اعتمده ، ووسم الكتاب به نزرا فيما ضمنه من تفسير الغريب ، وتصريف الافعال ، وتوجيه اللغات »[2] . فالزبيدي يهاجم طريقة التأليف عند ابي حاتم ويرى انه لم يحقق فكرته ، فلقد شذ عن الموضوع وراح يبحث في المشكلات التي بحثها من جاء قبله من العلماء ، « فكان الكتاب مؤلفا لغير ما نسب اليه ، وعرف به »[3] . وهذا موطن ضعف استطاع الزبيدي ان يستغله ..

غير ان هناك مبررات اخرى دفعت الزبيدي الى ان يكتب هذا الكتاب . فأبو حاتم السجستاني يبحث في ما يلحن فيه عوام المشرق لا

---

(١) لحن العوام : ٥ .
(٢) المصدر نفسه : ٥ ــ ٦ .
(٣) المصدر نفسه : ٦ .

ما يلحن فيه عوام الاندلس . لذلك فالزبيدي يقول : « ورأيت كثيرا من اللحن الذي نسبه الى أهل المشرق ، قد سلمت عامتنا من موافقته ، ونطقت بوجه الصواب فيه ، كقولهم ود ، وظفر ، وعنق ، وحدّوثة ، وعود مستوي ، وقربوس ، وفِلفِل ، وذهب الى المكاريين ، وفلان يوزن بكذا اي يزن به . ثم نظرت في المستعمل من الكلام في زماننا وبأفقنا ، فألفيت جملا لم يذكرها ابو حاتم ، ولا غيره من اللغويين ، فيما نبهوا اليه ، ودلوا عليه ، مما افسدته العامة عندنا ، فأحالوا لفظه ، او وضعوه غير موضعه »[1] .

(ب) العامة : ماذا تعني ؟

عامة الناس وعوامهم غير الخاصة من الناس . هذا المفهوم العام للكلمة لم يكن المقصود في كتاب الزبيدي . فلقد أحس ابو بكر انه لو اراد ان يحصي ما يلحن فيه الدهماء وسقاط الناس لاستغرقه ذلك زمنا طويلا ، قال وسوف « ادع اجتلاب ما افسده دهماؤهم ، وسقاطهم ، مما عسى ان لا يعزب عمن تمسك بطرف من الفهم ، اذ لو استوعبنا ذلك لطال الكتاب به »[2] . فاذا كان اللحن قد فشا بين العامة فلقد « تابعهم على ذلك الكثرة من الخاصة ، حتى ضمنته الشعراء اشعارهم ، واستعمله جلة الكتاب ، وعليه الخدمة في مسائلهم ، وتلاقوا به في محافلهم .

---

(١) المصدر نفسه : ٦ ــ ٧ .
(٢) المصدر نفسه : ٨ .

فرأيت ان انبه عليه ، وابين وجه الصواب فيه ، وان أفرد لما يحضرني منه كتابا احصره به ، واجمعه فيه »[1] . وقد اكد فكرة الخطأ لدى الخاصة فقال : « وانما نذكر منه ما يتوقع الغلط من الخاصة فيه ... نحو ما حدثني بعض اهل النظر عن رجل من اجلاء الحرمة ، ينسب اليه فنون العلم ، وضروب الاداب ، قال : ورد كتاب من بعض الكتاب ، كتب فيه الجخطب ، بالطاء ، فأنكرت ذلك فلم يصغ الي حتى عدوت اليه ببعض كتب اللغة ، فأريته الحرف مقيدا فيه ، الى كثير من هذا .. »[2] .

غير ان هناك ملاحظة مهمة ينبغي الاشارة اليها ، وهي اذا كان الخاصة هم المقصودين من هذا الكتاب ، فان الالفاظ التي تعالج والتي طرأ عليها التحول والتبدل ، ليست من الالفاظ الغريبة والمغرقة في فصاحتها في اكثر الاحيان . فالكتاب موجه أو يقصد به اخطاء الخاصة من الناس ، والخاصة الفاظهم مختارة . غير انه يعالج ايضا الالفاظ السوقية والعامية . وقد تنبه ابو بكر الى ان مثل هذا الاعتراض وارد فقال : « ولعل طاعنا يطعن في كتابنا هذا بما ذكرناه من الكلام السوقي ، واللفظ المستعمل العامي ، جهلا منه ان الفساد انما يقع في المستعمل على الالسنة ، وان الوحشي مصون عن التغير والاحالة ، بقلة استعماله ، وجهل عوام الناس به »[3] .

---

(١) المصدر نفسه : ٧ ـ ٨ .
(٢) المصدر نفسه : ٨ .
(٣) المصدر نفسه : ٩ .

(ج) منهج الكتاب

ينقسم الكتاب الى ثلاثة ابواب رئيسة :

أ ــ « ذكر ما افسدته العامة وما وضعوه غير موضعه » . وهو أكبر الابواب الثلاثة اذ يستغرق من ص ١١ ــ ٢٠٥ . « ويقولون للنبت الكثير الشوك المنبسط بالارض خرشف . قال محمد : والصواب ، حرشف .. »[١] .

ب ــ « ومما وضعته العامة في غير موضعه » ، وهو باب متوسط اذ يستغرق من ص ٢٠٦ ــ ٢٣٩ . والعامة في هذا الباب لا تغير في الالفاظ وانما تغير من معانيها ودلالاتها . مثال ذلك : « ويقولون : درهم «واف» اذا كان يزيد في وزنه . قال محمد : والوافي الذي لا زيادة فيه ولا نقص . وهو الذي وفى بزنته ... »[٢] .

جـ ــ « ومما يوقعونه على الشيء وقد يشركه فيه غيره » . وهو اقصر الابواب اذ يستغرق من ص ٢٤٠ ــ ٢٤٧ ، ولا يبحث الا في ثماني مواد فقط . مثاله : « قولهم الوادي للنهر خاصة . قال ابو بكر : والوادي كل بطن مطمئن من الارض . وربما استقر فيه الماء ... »[٣] .

(د) أنواع الخطأ

تقصى الزبيدي في الفاظ العامة انواعا مختلفة من الخطأ :

---

(١) المصدر نفسه : ٣٧ .
(٢) المصدر نفسه : ٢١٠ .
(٣) المصدر نفسه : ٢٤٠ .

١ ــ خطأ لياقة . ويتمثل لنا ذلك في المثال التالي : « ومن ذلك قولهم : هو الله الازلي قبل خلقه ، ولم يزل واحدا في ازليته ، وكان هذا في الازل .

« قال محمد : وذلك كله خطأ ، لا أصل له في كلام العرب . وانما يريدون المعنى الذي في قولهم : لم يزل عالما . ولا يصح ذلك في اشتقاق ولا تصريف . وقد اولع بالخطأ في هذا اهل الكلام والمدعون لحدود المنطق ، حتى غرّ ذلك جماعة من الخطباء ، فأدخلوه في خطبهم . ولا يجوز لاحد ان يصف الله عزّ وجل ، بغير ما وصف نفسه في محكم كتابه وحيا ، او ما ثبت به الخبر عن رسوله (ص) ، ولو صحت الكلمة في الاشتقاق وتمكنت في التصريف »[1] .

٢ ــ خطأ لغوي ، ومثاله : « وكذلك قولهم فيه تبارك وتعالى : هذه صفة ذاته ، وهو مباين بالذات .

« قال محمد : ولا يجوز ان يلحق الألف واللام ذو ولا ذوات في حال افراد ولا تثنية ولا جمع ، ولا تضاف الى المضمرات . وانما تقع ابدا مضافة الى الظاهر ، الا ترى انـك لا تقول : الذو ولا الذّوان ولا الذّون ولا الذات ولا ذوك ولا ذوه ولا ذوهما ولا ذوهن ولا ذواتها . ولا تقول مررت بذاته ولا بذاتك . وقد غلط في ذلك اهل الكلام ،

(١) المصدر نفسه : ١١ .

واكثر المحدثين من الشعراء والكتاب والفقهاء »[1] .

٣ ـ خطأ كتابي وليس خطأ لفظيا ، ومثاله : « ويقولون لضرب من الشجر دفلة .

« قال محمد : والصواب دفلى ، على مثال فعلى ، والالف للتأنيث»[2] .

٤ ـ خطأ ناتج عن زيادة حرف ، ومثاله : « ويقولون سمعنا الآذان ..

« قال محمد : .. والصواب الأذان على وزن فعال .. »[3] .

٥ ـ خطأ ناتج عن تغيير حركة احد الاحرف ، ومثاله : « ويقولون لما بيع من المتاع سلعة .

« قال محمد : والصواب سلعة بكسر اوله ... »[4] .

٦ ـ خطأ ناتج عن قلب حرف وحذف آخر ، ومثاله : « ويقولون لبعض الفئوس التي يقطع بها الخشب شقور بالشين .

« قال محمد : والصواب ، صاقور . والجمع الصواقير »[5] .

٧ ـ قلب حرف واحد ، ومثاله : « ويقولون لما طحن من البر وغيره

---

(١) المصدر نفسه : ١٢ .
(٢) المصدر نفسه : ٩٩ .
(٣) المصدر نفسه : ٤٩ .
(٤) المصدر نفسه .
(٥) المصدر نفسه : ٩٧ .

غليظا دشيش .

« قال محمد : والصواب جشيش بالجيم ، يقال جششت البرّ أجشه جشا فهو مجشوش وجشيش ، وهو طحن كالهرس »[1] . ويلاحظ ها هنا ان قرب المخرجين من بعضهما ادّى الى مثل هذا القلب . والامثلة على هذا القلب كثيرة في الكتاب[2] ، وفي لغتنا العامية الحاضرة في لهجاتها المختلفة .

(هـ) طريقته في وصف المادة

مما سبق من امثلة عرفنا شيئا عن طريقة الزبيدي فهو يذكر الكلمة التي يخطىء فيها عامة الاندلس ، مسبوقة دائما بعبارة « ويقولون » ، ثم يذكر الصواب مسبوقا بعبارة : « قال محمد » او : « قال ابو بكر » .

ولكي نستطيع اخذ فكرة واضحة عن عمل الزبيدي لا بد من دراسة مادة او اكثر من الكتاب . وعلى سبيل المثال نأخذ مادة « ابزيم»[3].

« ويقولون بزيم ، للحديدة التي تكون في طرف حزام السرج ، يسرج بها ، وقد تكون في طرف المنطقة ولها لسان يدخل في الطرف الاخر من الحزام والمنطقة .

قال محمد : والصواب ابزيم ، على مثال افعيل . وفيه لغة اخرى ،

(١) المصدر نفسه : ٢٠ ــ ٢١ .
(٢) المصدر نفسه : ١٥٨ ، ١٦٨ ومواضع اخرى كثيرة .
(٣) المصدر نفسه : ١٥ ــ ١٨ .

يقال : ابزام والجمع ابازيم . قال العجاج :

يدق ابزيم الحزام جشمه

ويقال ايضا ابزين ويجمع على ابازين . وقال ابو داود الايادي :

من كل جرداء قد طارت عقيقتها وكل اجرد مسترخي الابازين

ويقال للابزيم أيضا زِرْفَن وزُرْفَن . وفي الحديث : ان درع رسول الله (ص) كانت ذات زرافن ، اذا علقت بزرافنها شمرت ، واذا ارسلت مست الارض . وقال مزاحم :

يباري سديساها اذا ما تلجمت شبا مثل ابزيم السلاح المؤسل

يصف ناقة . والمؤسل المحدّد ، الذي رققت اسلته . ويقال للقفل أيضا ابزيم . وهذه العبارات كلها متفقة ، لان الابزيم افعيل من بزم ، اذا عض . وقال ابو زيد : بزمت أبزم بزما ، اذا عضضته بالثنايا ، دون الانياب والرباعيات . وكذلك البزم في الرمي ، هو اخذك الوتر بالابهام والسبابة ، ثم ترسل السهم . فأما قول تميم بن ابيّ بن مقبل :

على كل ملواح يزلّ بريمها تعاطي اللجام الفارسي وتصرف

فهو البريم بالراء . وكذلك انشدنيه قاسم بن اصبغ عن السكري عن ابي حاتم عن ابي عبيدة . والبريم حبل مفتول ، يكون فيه لونان ، وربما شدته المرأة على وسطها . وانشد الاصمعي :

اذا المرضع العوجاء جال بريمها

وليس بالابزيم الذي ذكرنا . والبرمان أيضا .. »

وهكذا نرى ان المشكلة لم تعد مشكلة كلمة عامية وما يقابلها من الفصيح ، بل ان الامر تعدى ذلك فدخلنا في تفرعات وتشعبات واستشهادات ، كل ذلك بدقة متناهية وبخطة مرسومة ، تتكرر في الكتاب اجمع .

ويمكننا ان نستنتج من هذه المادة ومن سواها الأمور الآتية :

١ ــ استشهاد الزبيدي بالحديث :

فقد بلغ مجموع ما استشهد به من احاديث ستة وثلاثين حديثا[١] .

٢ ــ الاستشهاد بالآيات القرآنية :

لم يكثر الاستشهاد بالآيات القرآنية ، اذ كان مجموع ما استشهد به خمس عشرة آية فقط ، من سور مختلفة[٢] .

٣ ــ الاستشهاد بالامثال وأقوال العرب :

وهو أيضا يقل من الاستشهاد بالامثال والاقوال . وقد بلغ مجموع ما استشهد به منها أربعة عشر مثلا وقولا[٣] .

٤ ــ الاستشهاد بالشعر :

---

(١) المصدر نفسه : ٨٤ ، ١٢٠ ، ١٩٢ ، ٢٧٥ ، ٢٥٦ ، ٢٧٣ ، ٢٤٦ الخ ...

(٢) المصدر نفسه : ٥٩ ، ١٨٣ ، ٣٠١ ، ١٣٨ ، ٢٦١ ، ٢٥٨ ، ٢٧٢ الخ ...

(٣) المصدر نفسه : ٤٠ ، ٦٢ ، ٨٣ ، ٩٩ ، ١٢٧ ، ١٤٧ ، ١٥٥ ، ١٨٤ ، ٢٩٣ الخ ...

وهذه ظاهرة عامة في الكتاب تتردد في اكثر الاوقات . غير ان الزبيدي سار في الاستشهاد أحيانا على مثال ما يرد في كتب النوادر من ايراد قطعة كاملة من الشعر دون الاكتفاء بموطن الشاهد وحده[1] .

٥ ـ ايراد لغات الصواب المختلفة :

وقد ظهر ذلك في المثل السابق : فالصواب « ابزيم ، على مثال افعيل . وفيه لغة اخرى ، يقال : ابزام ، والجمع أبازيم »[2] . « والصواب مينا بالقصر وميناء بالمد ، والقصر فيه اكثر »[3] .

٦ ـ ذكر أصل الاشتقاق :

فلفظ ميناء في المثال السابق « مشتق من الونى ، وهو الفتور والسكون ، كأنه السفن جرت حتى قرّت وسكنت هنالك فسمي مكان سكونها مينا »[4] . ولا يهمنا اذا كان هذا التعليل صحيحا او لا ، ولكن

---

(١) من ذلك ايراده لمقطوعة « بعض الهذليين » في اثناء حديثه عن لفظة حنش (لحن العوام : ١٠٢ ـ ١٠٣) :

يا رب أن كان ابو خير ظلم   وخانني في علمه وقد علم
فاقدر له في بعض أعراض الظلم   لميمة من حنش أعمى أصم
قد عاش حتى صار مايمشي بدم   فكل ما أسأر منه الدهر سم
حتى اذا نام ابو خير ولم   يمس منه واهن فلا ألم
سرى اليه غير وان في الظلم   فشاكه بين الشراك والقدم
بمذرب اخرجه من جوف كم   المحته عاد ذات ارم *

* هكذا في الكتاب المطبوع .

(٢) لحن العوام : ١٥ ـ ١٦ .

(٣) المصدر نفسه : ١٨ .

(٤) المصدر نفسه .

يهمنا فكرة البحث عن الأصول عند الزبيدي . وفي مثال آخر : « وانما قيل له القمع : لانه يدخل في الاناء . يقال منه قمعت الاناء اقمعه . ويقال للانسان قد انقمع وقمع ، اذا دخل في الشيء او دخل في بعضه »[1] .

٧ ــ مرادفات اللفظ :

« ويقال للابزيم أيضا : زِرفَن وزُرفَن »[2] . ومثال ذلك أيضا : « ويقال للمينا ايضا حبس وحصر وصنع ومصنعة »[3] .

٨ ــ تعليل اسباب دخول اللحن :

« ويقولون للقملة الصغيرة صئبانة .

قال محمد : والصواب صؤابة وجمعها صؤاب ثم تجمع الصؤاب صئبانا . ويقال قد صئبت رأسه ، اذا كثر فيها الصئبان . وانما دخل عليهم، لقولهم صئبان ، فتوهموا ان واحده صئبانة وظنوه الجمع الذي ليس بينه وبين واحده الا الهاء »[4] .

٩ ــ ذكر وزن البناء :

وقد اكثر الزبيدي ، حرصا على الدقة ، من ذكر وزن اللفظة حتى لا يكون هناك مجال للخطأ مثال ذلك : « وهذا البناء على فعالة يأتي

(١) المصدر نفسه : ٣٩ .
(٢) المصدر نفسه : ١٦ .
(٣) المصدر نفسه : ١٩ .
(٤) المصدر نفسه : ١٩ ــ ٢٠ .

اسما لما سقط من الشيء ، ولما بقي منه ، وما أخذ منه ، مثل : النحاتة ، والبراية والسقاطة وهو اسم لما يسقط مما تنحته او تبريه ، والصبابة ، وهي بقية الماء »[1] .

١٠ ــ شرح الالفاظ :

يحسّ الزبيدي احيانا ان هناك من الالفاظ الواردة الفاظا تعسر على الفهم فيشرحها ، مثال ذلك :

« وكم دون بيتك من مهمه ومن حنش جاحر في مكا

والمكا الجحر ، وهو يكون للفأر واليربوع والقنفذ »[2] .

١١ ــ الاستقصاء :

وهذه احدى ميزات الكتاب ، مثالها : « وقال ابو علي عن ابن الانباري عن الفراء قال : العرب تنادي على تسع لغات ، يقولون : يا رب ، وهيا رب ، وأرب ، وآرب ، وأي رب ، وآي رب ، وأيا رب ، ووارب ، ورب »[3] .

١٢ ــ اختلاف العاميتين ، المشرقية والاندلسية ، واتفاقهما :

يلاحظ ان مما يورده الزبيدي من الفاظ العامة الفاظا لحن بها

(١) المصدر نفسه : ٣٠ ــ ٣١ .
(٢) المصدر نفسه : ١٠٢ .
(٣) المصدر نفسه : ١٤٦ ــ ١٤٧ .

اهل الاندلس ، ولم يفعل ذلك المشارقــة ، مثال ذلك : « ويقــولون للحديدة التي يفلح بها الارض سَكَّة فيفتحون .

قال محمد : والصواب : سِكَّة »[1] . وكان الزبيدي يتنبه الى ذلك ويشير اليه احيانا ، كما فعل في المثل التالي : « ويقولون لموقف الدابة صبل ويجمعونه على صبول .

قال محمد : والصواب اصطبل ، وهو من كلام اهل الشام وجمعه اصاطب »[2] .

غير ان العاميتين تتفقان في احيان اخرى على الخطأ ، وأمثلة ذلك كثيرة ، من ذلك : « ويقولون : فلان شديد الغِيرة على أهله . قال ابو بكر : والصواب ، الغيرة بالفتح .. »[3] . ومن ذلك أيضا : « ويقولون للذي يلاط به البيوت جير .

قال محمد : والصواب جيَّار ، على مثال فعَّال .. »[4] .

١٣ ــ اعتماد اللغويين والرواة بكثرة دون ذكر المؤلفات :

فالزبيدي ليس دقيقا في هذه الناحية من البحث ، فرغم انه يرد كل قول الى اصحابه ، الا انه لا يذكر المصدر الذي استقى منه : « وروى ابو عبيدة : كما يغشى السفائن موج اللجة العرك .. »[5] . و « قــال

(١) المصدر نفسه : ١٣٦ .
(٢) المصدر نفسه : ١٣٣ .
(٣) المصدر نفسه : ١٤٤ .
(٤) المصدر نفسه : ١٤٥ .
(٥) المصدر نفسه : ٥٧ .

سيبويه في الطرفاء كمقالته في الحلفاء »[1] . وتتردد عنده عبارة : زعم او يقول بعض اللغويين دون تعيين هذا البعض : « وزعم بعض اللغويين انه يقال له القرنفول »[2] ، « وزعم بعض اللغويين ان اهل اليمن يقولون كلوة بالضم وهذا مردود »[3] . « وقال بعض اللغويين : جمع اصطبل صطابل ، وتصغيره صطيبل »[4] . ومثل هذا لا يحمد للمؤلف وان كان عملا شائعا آنذاك . وقد نال الأصمعي اوفى نصيب من الاستشهاد بأقواله ، فلقد وردت اقواله[5] في خمس وثلاثين صفحة من الكتاب ، ووردت احيانا اكثر من مرة واحدة في الصفحة الواحدة . ونال يعقوب ابن السكيت نصيبا وافيا ولكن اقل من نصيب الاصمعي ، اذ ورد ذكره[6] في سبع وعشرين صفحة . وبعد هذين يأتي ابو حاتم السجستاني ثم سيبويه ثم لغويون آخرون كثر .

وينال ابو علي القالي ، استاذ الزبيدي وصديقه ، اكبر نصيب من عناية المؤلف[7] وهو يتفوق حتى على الاصمعي . غير ان اهمية القالي دون اهمية الآخرين لأنه يروي اقوال الآخرين ويتحدث برواياتهم .

---

(١) المصدر نفسه : ٧١ .
(٢) المصدر نفسه : ٦٥ .
(٣) المصدر نفسه : ٦٧ .
(٤) المصدر نفسه : ١٣٤ .
(٥) المصدر نفسه : ١٨ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٤٥ ، ٧٠ ، ٨٥ ، ٢٢٤ الخ ..
(٦) المصدر نفسه : ٢٢ ، ٧٢ ، ١٧٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٩ ، ٢٦٠ الخ ..
(٧) يرد ذكره في ٤٧ صفحة ، منها : ٢٣ ، ٤٦ ، ٩٣ ، ١٦٢ ، ١٩١ ، ٢٢٩ الخ ..

وهناك كثير ممن استشهد بأقوالهم مرة واحدة فحسب ، من هؤلاء مثلا : سعيد الاخفش[1] ، ابو داود السجستاني[2] ، شعبة بن الحجاج[3] ، ابن ابي شيبة[4] ، بكر بن حماد[5] ، بسطام بن قيس[6] ، وآخرون .

غير انه ، كما سبق القول ، لم يكن يورد اسماء المؤلفات التي اخذ عنها . وقد ورد ذكر عدد قليل من الكتب في هذا المؤلف ، هي : كتاب للمؤلف نفسه « أبنية الاسماء والافعال »[7] ، وكتاب لابي علي القالي ، الصديق والاستاذ ، هو الممدود والمقصور[8] ، وكتاب « لحن العامة »[9] لابي حاتم السجستاني الذي بنى الزبيدي كتابه على خطته ، ثم اخيرا كتاب يدعى بـ « كتاب الأدب »[10] ، لم يذكر الزبيدي اسم مؤلفه أو شيئا عنه . (لعله أدب الكاتب أو ادب الكتاب لابن قتيبة) .

١٤ ــ وضوح شخصيته :

للزبيدي شخصية تمتاز بالاصالة . وهو ليس كاستاذه القالي مختبئا أبدا وراء اللغويين والاعراب ، بل يفاضل ويقترح الحلول ويقابل

---

(١) المصدر نفسه : ٩١ .
(٢) المصدر نفسه : ٤١ .
(٣) المصدر نفسه : ٢٤٤ .
(٤) المصدر نفسه : ٢٣٧ .
(٥) المصدر نفسه : ٢١٤ .
(٦) المصدر نفسه : ١٠٧ .
(٧) المصدر نفسه : ٢٨ ، ٨٩ .
(٨) المصدر نفسه : ٧٥ ، ١٠٨ .
(٩) المصدر نفسه : ٥ .
(١٠) المصدر نفسه : ١٨٩ .

ويعترض . وتكثر الامثلة على نضج هذه الشخصية ولكن نكتفي ببعض الدال" منها : « وقلنست رأسي بالقلنسوة ،وتقلنست ، على مثال فعنلت وتفعنلت . ولا نعلم لهذين المثالين نظيرا في الكلام »[1] . واوضح من ذلك هذا المثال : « قال محمد : وهذا عندي غلط من ابي زيد .. »[2] . وهو يعترض قائلا : « ولا اعرف في كلام العرب ما على هذا المثال اعني فعنلول »[3] . وهو يفاضل : « قال محمد : والقول الأول احب الي" لأن القياس ان يأخذ التصغير والجمع حقهما .. »[4] . وربما كان اوضح الامثلة واكثرها دلالة هو المثال التالي : « .. واهل الكوفة يعدون ما جاء من نحو هذا ثلاثيا ، ويشتقونه منه ، ويذهبون الى ان صمصامة من صمم ، ولكنهم كرهوا اجتماع الامثال ، ففرقوا بينهما بحرف مثل الأول ، وكذلك كفكفت وصلصلت وحلحلت . والبصريون يعدون هذا كله رباعيا . وقول الكوفيين عندي اولى لأن الاشتقاق يحكم بصحته ، والقياس يشهد له »[5] .

فكتاب لحن العوام لهذا كله ليس صورة لاحاطة الزبيدي وصبره على الجمع والتنسيق والرد وحسب ، وانما هو كنز لمن شاء أن يتصور

---

(١) المصدر نفسه : ٢٧ ـ ٢٨ .
(٢) المصدر نفسه : ٥٣ .
(٣) المصدر نفسه : ٦٥ .
(٤) المصدر نفسه : ١٣٤ .
(٥) المصدر نفسه : ١٣٧ .

المدى الذي بلغته اللغة في الاندلس من الخضوع للتغير والتبديل في النطق ، وواضح أن كثيرا جدا من الاخطاء التي عدّها الزبيدي انما تؤخذ سماعا لا كتابة وان أصرّ في مقدمة كتابه أنه يتحدث عن أخطاء الخاصة . وكثير مما عدّه الزبيدي من الخطأ لا يزال دارجا في لهجات المشرق حتى اليوم ولم يكن قاصرا على الأندلس ، فالناس اليوم في الاستعمال العام يقولون : بكرة (بفتح الكاف لا تسكينها) ورقوة (بدلا من رقية) وقرايا (في جمع قرية) وسكرانة (بدلا من سكرى) والغيرة (بكسر الغين) والجبس (بدلا من الجص) وخبيز (بدل خبازة)، بينما يعد كثير من الاخطاء الاخرى « لهجة » أندلسية ظلت عالقة بالألسنة ولم يجد فيها كثيرا اصرار الزبيدي على تبيان وجه الصواب فيها .

***

ثانيا ـ ابن القوطية (ـ ٣٦٧/٩٧٨) ومؤلفاته :

هو ابو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن ابراهيم بن عيسى ابن مزاحم[١] . يعرف بابن القوطية ، وهو لقب يرى بعض اصحاب التراجم انه ورثه عن جدة اسبانية من أهل الانـدلس الأصليين[٢] : « وهي ام ابراهيم بن عيسى بن مزاحم جد ابي بكر المذكور ، وهي ابنة وبة بن

(١) ترجمته في : تاريخ ابن الفرضي ٢ : ٧٨ ، جذوة المقتبس : ٧١، الديباج المذهب : ٢٦٢ ، انباه الرواة ٣ : ١٧٨ ، وفيات الاعيان ٤ : ٤ ، يتيمة الدهر : ٧٤ ، بغية الوعاة : ٨٤ ، معجم الادباء ١٨ : ٢٧٢ .

(٢) وفيات الاعيان ٤ : ٥ ـ ٦ ، الديباج المذهب : ٢٦٢ .

غيطشة ، وكان من ملوك الاندلس ، وعليه وعلى اخوته ارطباس وقومس الأندلس وسيدة افتتح طارق مولى موسى بن نصير مع المسلمين بلاد الاندلس ، وكانت القوطية المذكورة وفدت على هشام بن عبد الملك متظلمة من عمها أرطباس المذكور فتزوجها بالشام عيسى بن مزاحم المذكور ، وهو من موالي عمر بن عبد العزيز الاموي رضي الله عنه ، وسافر معها الى الاندلس فكان ذلك سبب انتقال عيسى بن مزاحم الى الاندلس وانساله بها . وجاءت القوطية بكتاب هشام الى الخطاب الشعبي الكلبي[1] ، وكان عامله على الاندلس ، بالوصاة عليها ، فكف عمها عنها وانصفها مما كان لها قبله ورعى حرمتها وعادت بها الحال وطالت حياتها الى ايام الامير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الداخل الى الاندلس من بني أمية ، فكانت تدخل عليه وتقضي حاجتها ، وغلب اسمها على ذريتها وعرفوا بها الى اليوم »[2] ، ولا نستطيع ان نؤكد او ننفي صحة هذه الرواية انما هي تثبت على كل حال ان لابن القوطية أصلا اسبانيا ، من طرف واحد على الاقل . ولا شأن لنا بالتفاصيل . وأما عيسى بن مزاحم الجد فهو مولى عمر بن عبد العزيز ،

---

(١) كذا في ابن خلكان وليس في الولاة أيام هشام من يحمل هذا الاسم ولعله ابو الخطار حسام الكلبي (١٢٥ ــ ٧٤٣/١٢٧ ــ ٧٤٥) .

(٢) وفيات الاعيان ٤ : ٥ ــ ٦ ، وانظر : الديباج المذهب : ٢٦٢ .

وكان من أصل بربري ، ويعدّ في الاندلس من موالي الامويين . ولهؤلاء الموالي مكانة خاصة اذا استطاع المرء منهم ان يبرز في ناحية من النواحي الاجتماعية او الثقافية ، وذلك ما حققه والد محمد ، فقد « استقضاه الناصر على استجة سنة احدى وثلاثمائة (٩١٤ م) ، ثم على اشبيلية سنة ثنتين وثلاثمائة ، واستمر في الولايتين سبعة اعوام وسبعة اشهر »[١] .

وليس لدينا الكثير من الاخبار عن نشأة ابن القوطية . وكل ما نعرفه عنه ان اصله من اشبيلية وانه قرطبي[٢] . ولعله ولد في اشبيلية ونشأ بها لان له اساتذة كثيرين من الاشبيليين . ففي اشبيلية « سمع من محمد ابن عبدالله بن القـوق ، وحسن بن عبدالله الزبيدي ، وسعيد بن جابر ، وعلي بن ابي شيبة ، وسيد أبيه الزاهد »[٣] . وسمع بقرطبة من طاهر بن عبد العزيز وابن ابي الوليد الأعرج ومحمد بن عبد الوهاب .... وطاهر ابن الوليد ومحمد بن المغيث وابن لبابة وابن ابي تمام واسلم القاضي وابن ايمن وابن الاغبش وابن يونس وقاسم بن أصبغ ونظرائهم ، ومن احمد بن خالد ، ومحمد بن مسور[٤] . ويصعب حصر الفئة التي درس ابن

(١) الذيل والتكملة ٥ : ٥٤٩ ، وانظر الديباج المذهب : ٢٦٢ .
(٢) تاريخ ابن الفرضي ٢ : ٧٨ ، معجم الادباء ١٨ : ٢٧٣ ، بغية الوعاة : ٨٤ ، الديباج المذهب : ٢٦٢ .
(٣) تاريخ ابن الفرضي ٢ : ٧٨ ــ ٧٩ ، الديباج المذهب : ٢٦٢ ، وفيات الاعيان ٤ : ٤ ، معجم الادباء ١٨ : ٢٧٥ .
(٤) تاريخ ابن الفرضي ٢ : ٧٩ ، الديباج المذهب : ٢٦٢ ، وفيات الاعيان ٤ : ٤ ، بغية الوعاة : ٨٤ .

القوطية عليها ، اذ انه « لقي أكثر مشايخ عصره بالاندلس فأخذ عنهم واكثر النقل من فوائدهم »[1] .

ويقول ابن فرحون انه كانت فيه غفلة وسلامة وتقشف في ملبسه وورع[2] . وتصفه المصادر بانه كان من أهل النسك والعبادة . وقد تضافرت اخلاقه وعلمه على اكتساب قلوب الناس اليه ونال من احترام الطلاب على تفاوت درجاتهم الاجتماعية قسطا بالغا ، وشهد له علماء عصره بالتقدم حتى كان القالي نفسه يبالغ في تعظيمه . ولما سأله الحكم من أنبل من رأيته ببلدنا في اللغة قال : محمد بن القوطية[3] . وبلغ من نسكه ـ وخاصة في الدور الاخير من حياته ـ ان توقف عن قول الشعر زهدا وورعا مع انه فيما يقول بعض من ترجموا له كان يبلغ فيه « حد الاجادة مع الاحسان في المطالع والمقاطع ، وتخير الالفاظ الرشيقة والمعاني الشريفة »[4] .

غير ان ما تبقى من شعره ، لا يسمح لنا بحكم منصف عليه ، واذا كان لنا حق الحكم من دراسة الابيات القليلة التي وصلتنا ، فاننا لا نضع ابن القوطية في فئة الشعراء المجيدين[5] .

---

(١) وفيات الاعيان ٤ : ٤ ،معجم الادباء ١٨ : ٢٧٥ .
(٢) الديباج المذهب : ٢٦٣ .
(٣) وفيات الاعيان ٤ : ٤ ، معجم الادباء ١٨ : ٢٧٣ .
(٤) الديباج المذهب : ٢٦٢ ، معجم الادباء ١٨ : ٢٧٤ .
(٥) راجع قطعة له في وصف الربيع وردت في بغية الوعاة : ٨٥ ،معجم الادباء ١٨ : ٢٧٦ ـ ٢٧٧ ، وقطعة له في الحنين وردت في اليتيمة ٢ : ٧٤ ـ ٧٥ ، ومعجم الادباء ١٨ : ٢٧٦ .

ولم يقتصر ابن القوطية على ناحية واحدة من العلم بل كان يأخذ من العلوم المتيسرة آنذاك ما استطاعت ظروفه ان تتيحها له . فكان « من اعلم أهل زمانه باللغة والعربية ، وكان مع ذلك حافظا للحديث والفقه ، والخبر والنوادر ، واروى الناس للاشعار ، وأدركهم للآثار ، لا يلحق شأوه ولا يشق غباره ، وكان مضطلعا بأخبار الاندلس ، مليا برواية سير أمرائها ، واحوال فقهائها وشعرائها ، يملي ذلك عن ظهر قلبه »[1] . وله في هذا الباب كتاب وصلنا وهو « تاريخ افتتاح الاندلس »[2] .

ويبدو ان اهتمام ابن القوطية الاول كان منصبا على اللغة ، وقد عرف له المؤرخون هذه المقدرة فأفاضوا في صفات المديح والتبجيل حين تحدثوا عن مقدرته اللغوية ، كما مرّ معنا آنفا ، وكانت « كتب اللغة اكثر ما تقرأ عليه وتؤخذ عنه »[3] . وقد اتفقت المراجع على انه كان مبرزا في نواحي العلوم الاخرى من رواية شعر وخبر ومعرفة بسير الملوك والامراء . غير ان هذه المراجع ترى ان ابن القوطية « لم يكن بالضابط

---

(١) تاريخ ابن الفرضي ٢ : ٧٩ ، الوفيات ٤ : ٤ ، الديباج المذهب : ٢٦٢ ، يتيمة الدهر : ٧٤ ، معجم الادباء ١٨ : ٢٧٣ ، بغية الوعاة: ٨٤ .

(٢) نشره جايانجوس في مدريد سنة ١٨٦٨ وترجمه خوليان ريبيرا ١٩٢٦ ، وشك في انه من تأليفه وذهب الى ان الكتاب لاحد تلامذته . وطبع ببيروت ١٩٥٧ . وقد ذكرت المصادر ان لابن القوطية تأليفا في تاريخ الاندلس : (الديباج المذهب : ٢٦٣) .

(٣) وفيات الاعيان ٤ : ٤ .

لروايته في الحديث والفقه ، ولا كانت له اصول يرجع اليها ، وكان ما يسمع عليه من ذلك انما يحمل على المعنى لا على اللفظ »[1] . ولهذا عدّ من المدلسين في الحديث[2] .

وهذه هي أهم مؤلفاته اللغوية :

١ ـ شرح رسالة أدب الكتاب : وسماه ابن خير كتاب شرح صدر أدب الكتاب ، ولعل هذه التسمية أدق لأن ابن القوطية لم يتجاوز في شرحه مقدمة ابن قتيبة ، ومن هذا الكتاب أيضا جزء مختصر[3] .

٢ ـ المقصور والممدود[4] : « : وقد جمع فيه ما لا يحد ولا يوصف، ولقد اعجز من يأتي بعده وفاق من تقدمه »[5] . ولم يذكر ابن خير هذا الكتاب في فهرسته ، ومن الغريب أن لا تتصل به روايته .

٣ ـ الافعال : ويسمى في بعض المراجع « تصاريف الافعال »[6] . وموضوعه البحث عن صيغتي فعل وأفعل سواء اتفقتا في المعنى او

---

(١) تاريخ ابن الفرضي ٢ : ٧٩ ، وفيات الاعيان ٤ : ٤ ، الديباج المذهب : ٢٦٣ ، معجم الادباء ٨ : ٧٣ ، بغية الوعاة : ٨٤ .
(٢) الديباج المذهب : ٢٦٣ .
(٣) وفيات الاعيان ٤ : ٤ ، بغية الوعاة : ٨٤ ، فهرسة ابن خير : ٣٤٤ ، معجم الادباء ١٨ : ٢٧٥ ، الديباج المذهب : ٢٦٢ ـ ٢٦٣ .
(٤) تاريخ ابن الفرضي ٢ : ٧٩ ، وفيات الاعيان ٤ : ٤ ، بغية الوعاة: ٨٤ ، معجم الادباء ١٨ : ٢٧٥ ، الديباج المذهب : ٢٦٢ .
(٥) وفيات الاعيان ٤ : ٤ ، معجم الادباء ١٨ : ٢٧٥ .
(٦) تاريخ ابن الفرضي ٢ : ٧٩ ، وفيات الاعيان ٤ : ٤ ، يتيمة الدهر: ٧٤ ، معجم الادباء ١٨ : ٢٧٥ ، الديباج المذهب : ٢٦٢ ، بغية الوعاة ، ٨٤ ، وفهرسة ابن خير : ٣٥٥ .

اختلفتا ، او حين لا يرد للعرب الا احداهما .

ويبدو ان الاهتمام بالافعال سبق الاهتمام بالاسماء عند الباحثين العرب الأول ، ولعل السبب في ذلك التغييرات التي تدخل الافعال وكثرة تصرفها ودخول عامل الزمن عليها . ولم يكن ابن القوطية اول من أولى الافعال اهتماما ، وانما سبقه الى مثل هذا النوع من المؤلفات سلسلة طويلة من اعلام المشرق[1] . ويبدو ان ابن القوطية قد استعان ، على الأقل ، ببعض هذه المؤلفات . غير انه من العسير ان نحدد المؤلفات التي اكثر الأخذ عنها ، فابن القوطية ، كما سنرى ، يأخذ المواد مجردة من كل ما يوحي بمصدرها الأصلي .

وابن القوطية يبرز فضل الافعال في مقدمة كتابه فيقول : « اعلم ان الافعال اصول مباني اكثر الكلام ، وبذلك سمتها العلماء الابنية ، وبعلمها يستدل على اكثر علم القرآن والسنة . وهي حركات متقضيات .

---

(١) وأول من روي انه الف فيه قطرب (ـ ٢٠٦/٨٢١) والفراء (ـ ٢٠٧/٨٢٢) ثم ابو عبيدة (ـ ٢١٠/٨٢٥) والاصمعي (ـ ٢١٣/٨٢٨) وابو زيد الانصاري (ـ ٢١٥/٨٣٠) وابو عبيد القاسم بن سلام (ـ ٢٢٤/٨٣٩) وابو محمد عبدالله بن محمد التوزي (ـ ٢٣٣/٨٤٨) ويعقوب بن السكيت (ـ ٢٤٦/٨٦٠) وابو حاتم سهل بن محمد السجستاني (ـ ٢٥٥ تقريبا / ٨٧٠) وابو العباس الاحول تلميذ ابن الاعرابي ، وخصص له ابن قتيبة (ـ ٢٧٦/٨٨٩) ابوابا من كتاب الابنية في ادب الكتاب . والف فيه الزجاج (ـ ٣١١/٩٢٣) وابن دريد (ـ ٣٢١/٩٣٣) في ختام الجمهرة وابن درستويه (ـ ٣٤٧/٩٥٨) والقالي (ـ ٣٥٦/٩٦٧) ـ راجع كتاب المعجم العربي : ١٥٩ .

والاسماء غير الجامدة والأصول كلها مشتقات منها ، وهي أقدم منها بالزمان وان كانت الاسماء اقدم بالترتيب في قول الكوفيين . والجامدة لا يشتق منها فعل مثل حجر وباب وما أشبههما ، فانك لا تقول : حجر يحجر ، ولا باب يبوب . والبصريون يقولون بقدم الاسماء وأن الافعال مشتقة منها ، ولكل وجه »[1] .

وصف لمنهج الكتاب وقيمته في اللغة :

يحتوي المؤلف على :

اولا ــ مقدمة .

ثانيا ــ صلب الكتاب .

أولا ــ المقدمة لا تتعرض لمنهج الكتاب وطريقة المؤلف في التأليف ، كما فعل الزبيدي في أبنيته[2] ، وانما يدخل في موضوعات تمهيدية ، فيتحدث عن الافعال الثلاثية[3] واضربها : صحيحة ومعتلة ومضاعفة ومتعدية الخ ... وعن مصادر الثلاثي[4] ، والشواذ في ذلك ، واختلاف المصادر بالنسبة لاختلاف الصيغ . وعن مصادر الرباعي كذلك[5] ، وما

---

(١) الافعال ، ابن القوطية : ١ .
(٢) الاستدراك على سيبويه : المقدمة .
(٣) الافعال : ١ .
(٤) المصدر نفسه : ٣ .
(٥) المصدر نفسه : ٥ .

يدخل من اختلاف في المصادر حين تدخلها احرف الزيادة[1] ، والصفات في الالوان[2] ، والصفات بالجمال والقبح والعلل والاعراض[3] ، ثم يتحدث عن اقل بنية الكلمة[4] . وهو يمهد بهذا الكلام لكتاب الافعال ليعين الدارس فان « هذا جملة ما يحتاج المتأدب اليه في الافعال وما ينصرف منها »[5] . ومن هنا نستطيع ان نتصور ان هذا التمهيد هو ، حسبما اراده ابن القوطية ، مدخل الى دراسة كتابه ، ووسيلة لفهم مواد هذا الكتاب .

ثانيا ــ صلب الكتاب :

ينقسم الكتاب الى اقسام ثلاثة رئيسة :

١ ــ القسم الاول لما فيه فعل وأفعل[6] .

٢ ــ القسم الثاني لما فيه أفعل وحدها[7] .

٣ ــ القسم الثالث لما فيه فعل وحدها[8] .

وفي هذه الاقسام الثلاثة جميعا اتبع ابن القوطية الترتيب التالي :

---

(١) المصدر نفسه : ٧ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) المصدر نفسه : ٨ .
(٥) المصدر نفسه : ٩ .
(٦) المصدر نفسه : ٩ ــ ١٦٢ .
(٧) المصدر نفسه : ١٦٣ ــ ١٧٥ .
(٨) المصدر نفسه : ١٧٦ ــ ٣٠٤ .

الهمزة ، الهاء ، العين ، الغين ، الخاء ، الحاء ، الجيم ، القاف ، السين ، الشين ، الصاد ، الضاد ، اللام ، الراء ، النون ، الطاء ، الظاء ، الذال ، الدال ، الباء ، التاء ، الثاء ، الزاي ، الفاء ، الميم ، الواو ، الياء[1] .

وهذا الترتيب هو الترتيب الرئيس داخل كل قسم ، اما الترتيب الفرعي داخل كل صيغة فان له شأنا آخر ، سنتبينه بدراسة اوسع فيما يلي :

لكتاب الافعال خطوط عريضة ، يمكن ان نصفها بأنها متسقة ومنسجمة ، ولكن ان نحن دخلنا في التفاصيل فسوف نبتعد شيئا فشيئا عن دقة التنظيم واتساق المنهج . لذلك فان أفضل طريقة ، حسب ما ارى ، لفهم منهج الكتاب فهما دقيقا هي في :

أ ــ رسم الخطوط العامة والاستشهاد عليها ، ثم :

ب ــ عقد مقارنة موجزة ، ولكنها دقيقة وواضحة ، بين ثلاثة أحرف لتبيان الفروق في التفاصيل بين أجزاء الكتاب .

أ ــ الخطوط العريضة :

---

(١) انفرد ابن القوطية بهذا الترتيب وهو غير جار على ترتيب المغاربة للأبجدية أو على ترتيب سيبويه أو الخليل في العين أو القالي في البارع وللمقارنة أورد هنا ترتيب الخليل : ع ح هـ خ غ ق ك ج ش ض ص س ز ط ت د ظ ذ ث ر ل ن ف ب م و ي أ ء . ولكن قد يلحظ انه آثر نوعا من الترتيب على مخارج الحروف حسبما تراءت له .

يأخذ ابن القوطية الحرف الواحد ويقسمه الى قسمين : اولهما لما وردت فيه الصيغتان مع اتفاق في المعنى ، وثانيهما لما وردت فيه الصيغتان مع اختلاف في المعنى . ثم انه يتناول كل قسم من هذين القسمين على الصورة التالية : الافعال المضاعفة ثم الافعـال الصحيحة ثم الافعال المعتلة . وأما الأفعال المضاعفة فلا اقسام تحتها . واما الافعال الصحيحة فانه يجعلها اقساما بحسب صورة ماضيها ، فقسم خاص بـ فعَل ، وآخر بـ فعِل ، وثالث بـ فعُل ، وأقسام أخرى غير هذه الثلاثة اثبت فيها ما ورد من الصيغ على اكثر من صورة واحدة مثل : فعَل وفعِل ، وفعَل وفعُل، وفعُل وفعِل ، وفعَل وفعِل وفعُل ، الى ما سوى ذلك من صيغ . كما ان ابن القوطية قد جعل من المهموز قسما قائما برأسه قبل المعتل . وفصل في المعتل بين الاجوف والناقص ، وفصل بين المعتل الذي سلم حرف علته وبين المعتل الذي ابدل حرف علته ، وفصل بين المعتل بالواو وبين المعتل بالياء : وفصل بين المعتل بحرف واحد وبين المعتل بأكثر من حرف او المعتل المهموز ، وفصل بين صيغ الافعال المختلفة في الماضي من المعتل ، كما فعل في الصحيح .

وأما في القسمين الآخرين ـــ لما فيه افعل وحدها ، ولما فيه فعل وحدها ـــ فانه اتبع التقسيم السابق ، سوى انه هاهنا لم يكن هناك الا صيغة واحدة في كل قسم . فلم يوجد صيغتان بمعنى متفق او بمعنى

مختلف . اما ما عدا ذلك فانه اتبع الاسلوب الدراسي نفسه .

وقد التزم ابن القوطية ان يذكر الماضي والمصدر من كل ما اورده ، ومعانيهما الكثيرة دون ان يقتصر على واحد من المعاني .

ب ــ المقارنة الموجزة :

هذي هي ، بصورة عامة ، الخطوط العريضة التي نهجها ابن القوطية في كتابه . والواقع ان مثل هذا الوضع المبسط قد لا يعطينا صورة دقيقة عن الكتاب . فهاهنا منهج متسق ، واما الكتاب فلم يكن كذلك . ولكي نستطيع ان تتبين حقيقة الوضع بالتفصيل سنعمد الى مقارنة ثلاثة احرف ، نختارها من اماكن متباعدة ، لنرى الى اي حد تقيد ابن القوطية بمنهجه السابق . وسوف يكون لنا ، على كل حال ، في هذه الاحرف الثلاثة شواهد تجسم الخطوط العريضة السابقة وتوضح دلالاتها . غير انني سأعرضها بصورة موجزة ، ولكنها دقيقة ، تحافظ على الهيكل الأصلي ، كما ورد في الكتاب .

جدول بالأحرف : الجيم[1] ، الظاء[2] ، والهاء[3] :

---

(١) الافعال : ٤٦ ــ ٥٣ .
(٢) المصدر نفسه : ١٢٠ .
(٣) المصدر نفسه : ١٢ ــ ١٤ .

حرف الجيم :

ـ الجيم على فَعَل وأفْعل بمعنى واحد ، المضاعف :

جنَّه الليل جنانا وجنونا أجنه : ستره .

ـ الثلاثي الصحيح على فَعَل :

جهدته جهدا وأجهدته : بلغت مشقَّته .

ـ على فَعِل :

جَنِف في الحكم جَنفا وأجنف : جار .

ـ وعلى فَعِل :

جَلِد المكان جلدا وأجلد : أصابه الجليد .

ـ المهموز على فَعَل :

جفأت الباب جَفْئا وأجفأته : أغلقته .

ـ المهموز على فَعِل :

جزئت المرأة وأجزأت : ولدت الاناث دون الذكور .

ـ المعتل بالواو في عين الفعل :

جاز الوادي جوازا وأجازه : قطعه .

ـ المعتل بالواو في لام الفعل :

جزا الشيء جزوا وأجزى : انتصب .

ـ المعتل بالياء في لام الفعل :

جريت الى الشيء جريا وجراء ، وأجريت : اسرعت .

ـ وعلى فَعَل وأفعل باختلاف معنى ، المضاعف :

جززت الشعر والصوف جزّا : قطعتهما .. وأجزّ النخلُ والبرّ : حان ان يجزّ .

ـ الثلاثي الصحيح على فَعَل :

جَهَض جهاضة وجهوضة : حدّث نفسه ، وأجهضت الناقة : القت ولدها قبل تمامه .

ـ الثلاثي الصحيح على فَعَل وفعُل وفعِل :

جزلت السنام والصيد جزلا : قطعته بنصفين .. وجزُل الشيء جزالة : عظم .. وجزِل البعير جزلا : انفرج كاهله فرجة لا تبرأ، وأجزل العطية : كثّرها .

ـ الثلاثي الصحيح على فَعَل وفعُل :

جَمَلت الشحم جملا : أذبته ، وجمُل الشيء جمالا ، تم حسنه ، واجملت الشيء والحساب : جمعته .

ـ الثلاثي الصحيح على فَعَل وفعِل :

جَحَمت النار جحوما : توقّدت ، وجحِمت العين جحمة ، احمرت ، وأجحمت عن الامر : تأخرت .

ـ الثلاثي الصحيح على فَعُل وفَعِل وفَعَل :

جَدُر جدارة : صار جديرا .. وجَدِر جدرا : أصابه الجدري ، وجَدِر الظهر جدرا : صارت فيه جدرة شبه الحدبة ، وأجدرت

الأرض : انبتت الجذرَ .

ــ الثلاثي الصحيح على فَعِل :

جَهِل جهلا : ضد علم ، وأجهلته : وجدته جاهلا .

ــ الثلاثي الصحيح على فَعُل :

جَبُن جبنا : ضعف قلبه ، وأجبنته : صادفته جبانا .

ــ المهمــوز على فَعَل :

جزأت بالشيء جزءا : اكتفيت به .. وأجزأ الشيء : كفى .

ــ المهموز المعتل في عينه :

جاء جيئة وجيأ : أقبل .. وأجاتك الى الشيء : اضطرتك اليه .

ــ المعتل بالواو في عين الفعل :

جاب الفلاة والثوب وكلّ شيء جوبا : خرقه .. وأجاب : ردّ الجــواب .

ــ وبالياء على فَعِل من السالم ، وبالواو على فعَل من المعتل :

جيد جيدا : طال جيده .. وجيد جوادا : عطش ، وجاد الشيء جودة : أي صار جيدا .. وأجاد الرجل أجود : اتى بجيد من قول او فعل .

ــ وبالياء في لامه من السالم على فَعِل ، والمعتل بالواو على فعَل :

جلي جلى : انحسر الشَّعر من مقدم رأسه ، وجلوت السيف وغيره جلاء : صقلته .. وأجلى الامر عن كذا .. : كشف .

ـ وبالواو والياء في لامه معتلا :

جبا الخراج جباوة وجباية .. : جمعه ، وأجبى : باع الزرع قبل ادراكه .

ـ وبالواو في لامه معتلا :

جفا الشيء والجسم جفاء : غلظ خلقه .. وأجفى الراعي الماشية : اتعبها بالسوق ومنعها الرعي .

ـ وبالياء في لامه معتلا :

جرى الفرس جراء وجريا .. وأجرت الكلبة والذئبة : كان لهما جراء .

حرف الظاء :

ـ الظاء على فَعَل وأفعل بمعنى واحد ، المضاعف :

ظلّ اليوم ظلالة ، وأظلّ : صار ذا ظلّ .

ـ الثلاثي الصحيح على فَعَل :

ظَلَفتُ اثري ظلفا وأظلفته : مشيت في صلابة الأرض .

ـ فَعَل وأفعل باختلاف معنى ، المضاعف :

ظلّ يفعل كذا وكذا : فعله نهارا ، وظَللت أفعله ظلولا ، والشيء: طال ودام ، وأظلّ الأمر : أشرف .

ـ الثلاثي الصحيح على فَعَل :

ظلم العبد بالشِّرك ربّه ظلما ، والاسم الظُّلم .. وأظلمنا : صرنا

في الظلام .

ـ وعلى فَعَل وفعُل :

ظهرت على العدو .. : ظهورا .. : علوت .. وأظهرنا : صرنا في الظهيرة .

ـ وعلى فَعُل :

ظَرُف الغلام والجارية ظرفا وظرافة : بَرُعا وأدُبا .. وأظرف الوالد : ولد ولدا ظريفا .

ـ المهمـــوز :

ظأرت الناقة ظأرا : عطفتها على بوّها فأظأرت .

حرف الهاء :

ـ الهاء من الثلاثي الصحيح على فَعَل وأفعل بمعنى واحد :

هدرت الدم هدرا ، وأهدرته فهدر : اي بطل .

ـ وعلى فَعِل وأُفعِل :

هرع الانسان هَرْعا وأُهْرع : سبق وأعجل .

ـ المهموز على فَعَل :

هرأه البرد هرءا وأهرأه : بلغ منه .

ـ المعتل بالياء في عين الفعل :

هال الطعام والتراب هيلا : صبَّه ، وأهاله لغة .

ـ وبالياء في لامه :

هديت المرأة الى زوجها هِداء ، واهديتها لغة .

ـ المضاعف على فَعَل وأفعل بمعنى مختلف :

هلّ المطر هلاّ : انصب بشدة ، وأهلّ الهلال : طلع .

ـ الثلاثي الصحيح على فَعَل :

هرب هربا وهروبا : فرّ ، وأهرب : أسرع .

ـ وعلى فَعَل وفعِل :

هَدَبت كل محلوبة هَدْبا : حلبت بأطراف الاصابع .. وهَدِب الانسان هَدَبا : طالت أشفاره .. وأهدب الشجرُ : كثرت اغصانه وهي الهدَب .

ـ وعلى فَعَل وفَعِل :

هضمت الشيء هضما : نقصته .. وهَضِمَت الجارية .. : لطف حشاها .

ـ المعتل بالياء في عين الفعل :

هاب الشيء ومنه هيبة : حذره ، وأهبت بك الى كذا : دعوتك اليه .

ـ وبالواو في عينه من السالم على فعِل ، وبالياء من المعتل على فَعَل :

هَوِج هَوَجا : اضطرب من حمقه .. وهاج البقل : يبس .. وأهوجتك : صادفتك أهوج ، وأهيجتُ الارضَ : وجدتها هائجة النبات .

ـ وبالياء في لامه من السالم على فعِل والمعتل على فَعَل .

هوي الشيء هوى : أحبَّه .. وهوي الشيءُ : مات او سقط .. هَوِيّا .

ـ وبالياء في لامه معتــلا :

هداه الله هدىً : أرشده ، والطريق هداية : دللته عليها ..
وأهديت الهدية والمدح والذّم : أرسلت .

ـ وبالواو في لامه :

هَبَا الغبار هبُوا : ارتفع .. وأهبى الظليم : أثار الغبار في جريه .

وبعد عرض هذا الجدول الموجز الدقيق ، مع الامثلة ، نستطيع أن ندرك لماذا وصفنا منهج ابن القوطية بانه متسق في الخطوط العريضة وليس متسقا في التفاصيل . فلو نحن أخذنا اول ثلاثة اجزاء من هــذه الاحرف الثلاثة لتبين لنا ما يلي :

الجزء الاول :

ـ الجيم على فَعَل وأفْعل بمعنى واحد ، المضاعف .

ـ الظاء علىفَعَل وأفْعل بمعنى واحد ، المضاعف .

ـ الهاء من الثلاثي الصحيح على فعل وأفعل بمعنى واحد (دون المضاعف) .

الجزء الثاني :

ـ الجيم ، الثلاثي الصحيح على فعل

ـــ الظاء ، الثلاثي الصحيح على فعل

ـــ الهاء ، الثلاثي على فَعِل وأفعِل .

الجزء الثالث :

ـــ الجيم ، وعلى فَعِل .

ـــ الظاء ، وعلى فَعَل وأفْعل باختلاف معنى ، المضاعف .

ـــ الهاء ، المهموز على فَعَل .

والمفروض ، لو ان منهج ابن القوطية متسق ومتساو ، ان تكــون كل مجموعة من هذه المجموعات تحمل التقسيم نفسه . ونحن نستطيــع باستعارة بعض التعبيرات الرياضية ان نصور هذه المجموعات بالصــورة التاليــة :

١ ـــ ج = ظ والاثنتان لا تساويان : ه .

٢ ـــ ج = ظ والاثنتان لا تساويان : ه .

٣ ـــ ج لا تساوي ظ و ظ لا تساوي ه .

وطبيعي اننا نستطيع ان نستمر ، بمراجعة الجدول الفائت ، في عقد هذه المقارنة وسنكتشف عندئذ مبلغ ما خرج به ابن القوطية عن الخطوط العريضة التي رسمناها لمنهجه .

وهذا الجدول السابق قــد اختير بحيث تقل الاختــلافات قدر الامكان . ويعود السبب في ذلك الى انني تعمدت ان تكون الاحرف الثلاثة من قسم واحد من الكتاب ، وهو القسم الاول (الصيغة على

فعل وأفعل) ، ولو نحن قارنا بين صيغة من القسم الاول وصيغة من القسم الثاني (افعل) او الثالث (فعل) فان الفروقات ستصبح أشد بروزا ، مع صرف النظر ، بطبيعة الحال ، عن الفروقات التي نجمت عن طبيعة كل حرف .

ومما زاد في التشويش ان ابن القوطية اعتبر الحرف الاول من المادة فقط . وهذا ادّى الـى زيادة الصعوبة في العثـور على اللفظة المطلوبة .

ويمكن لدارس الكتاب ان يلحظ في يسر كيف تندر فيه اسماء اللغويين . وما ذلك الا لان الموضوع غير قائم على الاستئناس بالرواية ، فهذه هي طبيعة الافعال في اللغة ولا ينفرد فيها عالم دون آخر برأيه الا في النادر ، وانما هم المؤلف حصرها في نطاق لا يشذّ عنه شيء .

وهذا الكتاب جدول او مجموعة من الجداول ، ولو انه طبع على هذا الشكل لكان استخراج الفوائد منه اسرع . وهو اقرب الكتب اللغوية القديمة الى موضوع اللغة ، واكثرها التصاقا بهذا الموضوع . « فالافعال » لابن القوطية كتاب لغوي صرف ، ليس كتاب اخبار ولا كتاب أدب ، ولا تشوبه الروايات والمقطوعات الشعرية مثل ما كان الامر بالنسبة لكثير من الكتب اللغوية . وحتى كتاب الاستدراك على سيبويه ، وهو كتاب أبنية ، لم يجرد من الاخبار والاشعار ، وبخاصة في تفسير الغريب الذي قام به الزبيدي تعقيبا على النصوص والالفاظ المستغلقة .

كذلك يندر فيه الاستشهاد بالشعر والاحاديث والآيات وأمثال العرب . والاستشهاد بالاحاديث النبوية اكثر من سواه[1] . فاذا استشهد ببيت شعر لم يكد ينسبه لقائله الا في ما ندر .

وقد لاقى الكتاب شهرة واسعة ، وامتدحه اصحاب التراجم والمؤرخون فجاء في انباه الرواة : « وله كتاب في الافعال لم يؤلف مثله »[2] . واشار بعض المؤرخين الى انه اول من استن هذا الفن ــ وقد رأينا انه لم يكن كذلك . ولكنّ كتابه كان ذا أثر في التأليف من بعده فاحتذاه ابن القطاع كما بسطه تلميذه سعيد بن محمد المعافري القرطبي المعروف بابن الحداد[3] .

***

(١) المصدر نفسه : ٤٥ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٦٨ .

(٢) انباه الرواة ٣ : ١٧٨ ، وانظر : جذوة المقتبس : ٧٢ ، يتيمة الدهر : ٧٤ .

(٣) من هذا الكتاب نسخة بدار الكتب المصرية (٣٤٣ صرف) . فقد اطلع عليها الدكتور حسين نصار ووصفها في كتاب « المعجم العربي » (١٦٥ ــ ١٦٦) . وخلاصة ما ذكره ان المعافري صدر كتابه بمقدمة قرظ فيها كتاب استاذه ، ثم غير في ترتيب الحروف الذي اتبعه ابن القوطية واختار ترتيب سيبويه ، وزاد ابواب الرباعي المجرد ، والمزيد من الثلاثي والرباعي ، وغير في ترتيب فصول ابن القوطية ، وكرر الفعل مع كل معنى جديد، وزاد في الشرح واستكثر من الشواهد ، واتى بأفعال لم يتعرض لها ابن القوطية جعلها استدراكا في خاتمة كل فصل ، وميز بين ما كان لدى ابن القوطية وما زاده بالتصريح باسمه حيث اقتضى الامر ذلك .

ثالثا ـ ابو علي القالي * (ـ ٣٥٦/٩٦٧) ومؤلفاته :

نسبته ونشاته

هو اسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سليمان [١] . ويبدو انه لم يتحدر من أصل عربي صريح ، نستنتج ذلك من ان جده سليمان كان « مولى عبد الملك بن مروان » .

وقد ولد ابو علي بمنازجرد من ديار بكر ، وهي من أعمال أرمينية [٢] . وكانت ولادته عام ثمان وثمانين ومائتين (٩٠١ م) [٣] ، في رواية ، وفي رواية اخرى انه ولد عام ثمانين ومائتين (٨٩٣ م) [٤] .

وفي منازجرد نشأ [٥] ، وأغلب الظن انه اقام في تلك الجهات فترة من الزمن الى ان كبر واشتد عوده . وتاريخ حياته في تلك الفترة غامض

---

* الف ابو محمد الفهري كتابا في نسب ابي علي البغدادي ورواياته ودخوله الاندلس (نفح الطيب ٤ : ٧٢) ، ولكن الكتاب لم يصلنا .

(١) انظر ترجمته في : طبقات الزبيدي : ٢٠٢ ــ ٢٠٥ ، تاريخ ابن الفرضي ١ : ٨٣ ، جذوة المقتبس : ١٥٤ ، بغية الملتمس : ٢١٦ ، فهرسة ابن خير : ٣٩٥ . انباه الرواة ١ : ٢٠٤ ، وفيات الاعيان رقم ٩٢ ، بغية الوعاة : ١٩٨ . شذرات الذهب ٣ : ١٨ ، معجم الادباء ٧ : ٢٥ ، معجم البلدان : مادة قاليقلا ، نفح الطيب : ٤ : ٧٠ ــ ٧٥ ، بروكلمان ٢ : ٢٧٧ ــ ٢٧٨ (الترجمة العربية) .

(٢) انباه الرواة ١ : ٢٠٤ ، بغية الوعاة : ١٩٨ .

(٣) انباه الرواة ١ : ٢٠٧ ،تاريخ ابن الفرضي ١ : ٨٣ .

(٤) جذوة المقتبس : ١٥٧ ، طبقات الزبيدي : ٢٠٤ ، وفيات الاعيان ١ : ٢٠٥ ، معجم الادباء ٧ : ٢٧ .

(٥) جذوة المقتبس : ١٥٤ .

للغاية ، وليس هناك من الاخبار عن طفولته وأول شبابه سوى ما اوردته من رواية ولادته ، ورواية نشأته في منازجرد . وتظل الحقبة ما بين ولادته وبين انتقاله الى العراق حقبة غير معروفة . غير اننا نستطيع ان نحدد هذه الحقبة زمنيا حين نعرف ان القالي نفسه يقول « ورحلت الى بغداذ سنة ثلاث وثلاثمائة (٩١٦ م) »[١] .

تلقبه بالقالي

وغلب عليه لقب القالي . وهو نسبة الى مدينة قالي قلا . ويروي لنا القالي نفسه سبب تلقبه بهذا اللقب فيقول : « لما انحدرنا الى بغداذ كنا في رفقة فيها اهل قالي قلا ، فكانوا يحافظون لمكانهم من الثغر ، فلما دخلت بغداذ ، انتسبت الى قالي قلا وهي قرية من منازجرد ، رجوت ان انتفع بذلك عند العلماء ، فمضى عليّ القالي »[٢] ، ونحن نجد روايات مشابهة لذلك في اللفظ والمعنى ــ اللاحق ينقل عن السابق ــ في غير مصدر من المصادر التي ترجمت له .

وقالي قلا هذه بلدة قريبة من مسقط رأس أبي علي ، اذ ان ذكرها في كتب التاريخ يرد في كثير من الاحيان مرتبطا بذكر منازجرد . يقول ياقوت : « قاليقلا : بأرمينية العظمى من نواحي خلاط ثم من نواحي منازجرد من نواحي أرمينية الرابعة »[٣] . فالبلدتان اذن من أعمال ارمينية.

---

(١) انباه الرواة ١ : ٢٠٧ ، طبقات الزبيدي : ٢٠٤ .
(٢) طبقات الزبيدي : ٢٠٥ .
(٣) معجم البلدان : مادة قاليقلا .

ويقول القفطي : « قاليقلا ، وهي قرية من منازكرد »[1] . غير انه يبدو غريبا ان ينتسب ابو علي الى قاليقلا في حين انها قرية من قرى منازكرد . فالأولى في مثل هذه الحال ان ينتسب الى بلده الأصلي . ومهما يكن من أمر فانه كان لقاليقلا ، على ما يبدو ، مكان في قلوب الناس ، ففي تلك الرحلة ، كما يروي ابو علي ، : « كانت معهم خيل ، فكلما دخلنا بلدا حافظ اهله اهل قاليقلا ، وكانت معهم دواب ، فأراد بعض العمال اخذها منهم ، فلما انتسبوا الى قاليقلا تركوها ، ورأيت الناس يعظمونهم »[2] .

غير ان هذه المظاهر كلها لم تنفع القالي كثيرا ، فلقد غره في بداية الامر هذا الاستقبال والترحاب فقرر ان يغتنم الفرصة ويستفيد من هذه الميزة ، وهو يقول : « فلما دخلت بغداذ انتسبت الى قاليقلا ، ورجوت ان ينفعني ذلك عند العلماء ، فلم انتفع بذلك ، وعرفت بالقالي »[3] . وقد تلبسه اللقب وفاتته الحظوة .

دخوله العراق

في سن الخامسة عشرة او في سن الثالثة والعشرين ــ تبعا للرواية التي نأخذ بها من روايتي مولده ــ دخل ابو علي العراق . وأميل الى تفضيل سن الثالثة والعشرين ، اذ انها تناسب الرحلة والانتقال لأخذ العلم . فمن المشكوك فيه ان يتمكن من هو في الخامسة عشرة من السفر

(١) انباه الرواة ١ : ٢٠٨ .
(٢) المصدر نفسه ١ : ٢٠٩ .
(٣) المصدر نفسه .

وركوب المشقات ، ما لم يكن مصحوبا بمن يهتم بشئونه ، وهذا ما لم يذكره القالي في احاديثه ، بل كان يشير دائما الى نفسه بصيغة المفرد .

اتفق المؤرخون على ان ابا علي ترك بلده عام ثلاث وثلاثمائة، ولكنهم لم يتفقوا على تحديد الطريق التي اتبعها . فمنهم من يدّعي انه « دخل بغداد في سنة ثلاث وثلاثمائة »[1] ، ومنهم من يرى انه عرج على الموصل قبل دخوله بغداد ، وقد نقل عنه قوله : « ورحلت الى بغداذ سنة ثلاث وثلاثمائة فأقمت بالموصل ، وكتبت عن ابي يعلي الموصلي وغيره ، ثم دخلت بغداذ سنة خمس وثلاثمائة (١٩١٧) »[2] . وربما كانت هذه الروايـــة الثانية اقرب الى الصدق ، اولا : لانها لا تنفي قدوم القالي الى بغداد وانما تؤجل هذا القدوم ، ثانيا لأن الموصل في طريق القادمين من أرمينية ويغلب الظن ان القاليعرج عليهاليأخذ من علمائها،ثالثا:ورد في غير مرجع تحديد لاسم عالم او اكثر ممن اخذ عنه ابو علي في الموصل ، وتحديد للعلم الذي تلقاه ، رابعا : في بعض المصادر التي ربطت دخول ابي علي بغداد بعام خمسة وثلاثمائة اشارة تجعلنا نميل الى الاعتقاد بدخول ابي علي الموصل قبل وروده الى بغداد ، هذه الاشارة هي : « وقيل : انه كان

(١) تاريخ ابن الفرضي ١ : ٨٣ ، جذوة المقتبس : ١٥٤ ، بغية الوعاة: ١٩٨ ، معجم الادباء ٧ : ٢٦ .

(٢) طبقات الزبيدي : ٢٠٤ ، انباه الرواة ١ : ٢٠٧ ، وفيات الاعيان ١ : ٢٠٥ .

سمع من ابي يعلي أحمد بن علي بن المثنى الموصلي »[1] . ومعنى ذلك أن ابا علي أقام في الموصل سنتين يكتب « عن ابي يعلي الموصلي وغيره » . وكان للحديث اكبر نصيب من هذه الدراسة اذ يحدد آخرون طبيعتها فيقولون : « وأقام بالموصل لسماع الحديث »[2] . واجتذبته بغداد فانتقل اليها ، او هو تابع طريقه الى بغداد وفق الخطة التي كان قد رسمها لنفسه في انتقاله من بلده منازجرد . ودخلها عام ثلاثمائة وخمسة ، كما رأينا في الروايات السابقة ، وكان سنه آنذاك خمسة وعشرين عاما . فهو شاب ناضج قادر على مواجهة اعباء الحياة والدخول في المجالس العلمية والدينية .

اساتذته

يمكن تقسيم الاساتذة الذين اخذ عنهم في بغداد الى قسمين رئيسين :

أ ــ اساتذة في الحديث والعلوم الدينية . ومن هؤلاء : « ابو بكر عبدالله بن ابي داوود السجستاني ، وابو محمد يحيى بن محمد بن صاعد، وابو عمر يوسف بن يعقوب القاضي ، وابو القاسم عبدالله بن محمد

---

(١) جذوة المقتبس : ١٥٥ . وقول هذه الرواية « وقيل » بصيغة التمريض لا داعي له فان الزبيدي وهو اقرب الى القالي من غيره يقول بصيغة القطع : فأقمت بالموصل وكتبت عن ابي يعلي الموصلي وغيره (٢٠٤) .

(٢) وفيات الاعيان ١ : ٢٠٥ .

الفضل الاخفش[١] ، ومن ابي بكر محمد بن ابي الأزهر[٢] ، ومن ابي محمد عبدالله بن جعفر درستويه[٣] ، اخذت منه كتاب سيبويه عن المبرد ، ومن ابي جعفر أحمد بن عبدالله بن مسلم بن قتيبة[٤] ، اخذت منه كتاب ابيه ، ومن ابي بكر احمد بن محمد بن موسى بن مجاهد المقرىء ، قال : قرأت عليه القرآن بحرف ابي عمرو بن العلاء[٥] غير مرة ، واخذت كتابه في القراءات السبع وغير ذلك ، ومن ابي عمر بن عبد الواحد المطرز[٦] غلام ثعلب ، حدثنا عن ثعلب ، ومن ابي بكر محمد بن عبد الملك التاريخي[٧] ، ومن احمد بن يحيي المنجم النديم اخذت منه كتاب الزبير بن

---

(١) توفي ببغداد سنة ٩٢٧/٣١٥ ، اخذ عن ثعلب والمبرد وغيرهما . وقد رحل الى مصر سنة ٩٠٠/٢٨٧ وعاد منها سنة ٩١٨/٣٠٦ . ولم تعرف له مصنفات . (انظر طبقات الزبيدي : ١٢٥ — ١٢٧ ، وانباه الرواة ٢ : ٢٧٦ — ٢٧٨) .

(٢) توفي (+ ٩٢٥/٣١٣) ، من تلاميذ المبرد . من مؤلفاته : كتاب اخبار الهرج والمرج ، وكتب اخبارية اخرى . (انظر طبقات الزبيدي : ١٢٧ ، فهرست ابن النديم : ١٤٧ — ١٤٨) .

(٣) توفي ٩٥٨/٣٤٧ ، وهو من تلاميذ المبرد ، له تفسير لكتاب الجرمي ، تفنن فيه وجمع أصول العربية . وله كتاب الارشاد في النحو (طبقات الزبيدي : ١٢٧) .

(٤) ولد ببغداد ، وانتقل الى مصر لتولي القضاء سنة ٩٣٣/٣٢١ ، وبقي فيها الى ان مات سنة ٩٣٤/٣٢٢ ، وروى كتب ابيه . (انظر انباه الرواة ١ : ٤٥ — ٤٦) .

(٥) لغوي بصري ، وكان من جلة القراء والموثوق بهم . توفي سنة ٧٧١/١٥٤ . (انظر طبقات الزبيدي : ٢٨ — ٣٤) .

(٦) من تلاميذ ثعلب ويعرف بغلام ثعلب . توفي ببغداد سنة ٣٤٥/ ٩٥٦ . (انظر طبقات الزبيدي : ٢٢٩) .

(٧) هناك ترجمة اوردها القفطي لمحمد بن عبد الملك النحوي البغدادي . ولعله هو الذي أخذ عنه القالي . (انظر : انباه الرواة ٣ : ١٧٠) .

بكار في النسب ، ومن الدمشقي احمد بن سعيد[1] »[2] . وهذه مجموعة ممتازة من العلماء ، استطاع القالي ان يستفيد من صحبتهم فترة طويلة من الزمن .

وفي امكاننا ان نحدد ما درسه على كل واحد من هؤلاء العلماء ، وانما نكتفي بذكر اكبر عالمين أثرا فيه ووجها دراسته وهما ابن دريد ونفطويه .

فقد أخذ عن الاول منهما كتب أبي حاتم السجستاني ككتاب لحن العامة قال : قرأته غير مبوب على أبي بكر بن دريد . وكتاب فعلت وأفعلت وكتاب الفرق وكتاب الحشرات وكتاب الوحوش وكتاب الطير . ثم كتب ابن دريد نفسه كالجمرة والملاحن ، وكتب أبي زيد الانصاري ، وكتب الأصمعي ونوادر أبي زياد الكلابي والاشعار الستة الجاهلية وأشعار هذيل وشعر أعشى بكر وأراجيز العجاج ورؤبة وشعر عمرو بن أحمد الباهلي وشعر جميل وشعر أبي النجم وشعر النابغة والشماخ والمثقب وعروة بن الورد وشعر كثير والقطامي وعدي بن زيد والافوه والمرقشين وسلامة بن جندل وقيس بن الخطيم والطرماح وامرىء القيس ودريد بن الصمة وأبي خلدة وطفيل الغنوي[3] .

---

(١) النحوي الاخباري الفقيه . كان يؤدب اولاد المعتز . (انظر انباه الرواة ١ : ٤٤ — ٤٥) .
(٢) طبقات الزبيدي : ٢٠٤ — ٢٠٥ ، وانباه الرواة ١ : ٢٠٧ — ٢٠٨ .
(٣) فهرسة ابن خير : ٣٤٨ ، ٣٦١ ، ٣٧١ ، ٣٧٤ ، ٣٧٩ ، ٣٨٩ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٥ — ٣٩٧ .

وقرأ على نفطوية كتاب اطرغش في اللغة والاخبار والنقائض وشعر ذي الرمة وعمرو بن قميئة وعلقمة بن عبدة والنابغة الجعدي وأوس بن حجر والاخطل وعمر بن أبي ربيعة وجرير [١].

والقالي في هذه الفترة العراقية يدون خطواته في هذا الجهاد العلمي الذي نذر له نفسه ويقيد كل ما قرأه وزمان قراءته على نحو تفصيلي دقيق فاذا تحدث عن كتاب الغريب المصنف لأبي عبيد قال : « ابتدأت بقراءة هذا الكتاب على أبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الانباري سنة ٣١٧ / ٩٢٩ يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الاخرة في مسجده على باب داره في درب البقر بسرّ من رأى وأكملته يوم الثلاثاء لخمس مضين من ذي القعدة سنة احدى وعشرين (٩٣٣ م) وكانت قراءتي عليه في الثلاثاوات وكانت مدة قراءتي اياه عليه أربعة أعوام وأربعة أشهر وسبعة عشر يوما »[٢] . واذا ذكر كتاب الالفاظ ليعقوب بن السكيت قال : « بدأنا بقراءة هذا الكتاب على أبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الانباري يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة ٩٣٣/٣٢١ »[٣] .

وفي هذين النصين حقائق هامة ، فمنهما نعلم نظام الطلب العلمي

(١) المصدر نفسه : ٣٧٢ ، ٣٨٣ ، ٣٩١ ، ٣٩٥ ــ ٣٩٧ .
(٢) المصدر نفسه : ٣٢٨ .
(٣) المصدر نفسه : ٣٢٩ .

والدراسة فهناك تعاقب وترتيب في التدريس ، وذلك أن القالي بعد انتهائه من الكتاب الاول توقف اسبوعا أو نحوه وابتدأ الكتاب الثاني الا انه قرأ الكتاب الاول منفردا لقوله : « قرأت » ثم أخذ يقرأ الثاني مع مجموعة من الطلبة لقوله : « قرأنا » ويدل النصان كذلك على أن ابن الانباري كان قد خصص يوما معينا للتدريس في الاسبوع ، وأن الطالب لذلك كان يقضي في دراسة كتاب واحد عدة سنوات ، كما يدلنا النص الأول على أن أبا علي القالي لم ينفق كل وقته في بغداد ، اذ نراه يدرس أيضا في سر من رأى .

لكل هذا كانت السنوات التي قضاها في العراق هي الاعوام التي جعلت من القالي عالما يتميز بسعة الاطلاع والتوثيق في ما يأخذ ويدرس مثلما يتميز بروح علمية غاية في الدقة ، وستكون دقته العلمية أكبر العوامل التي أمالت اليه قلوب الاندلسيين ، وأثرت في طلابه تأثيرا بعيدا ، ووضعت الأصول الصحيحة للحياة اللغوية في الاندلس . ولم يشب علمه تزيد أو ادعاء ، فاذا حمل من بعد الى الاندلس كتبا لم يقرأها على الشيوخ قال انه لم يقرأها ، فقد كان أتقى لله وأشد اخلاصا لروح العلم من أن يكذب ، قال وهو يتحدث عن ديوان زهير « شعر زهير بن أبي سلمى تام في جزء رواية مجاهد عن ثعلب ــ فرع لا أصل له ، خلفت الأصل ولم يتسع

الوقت فأقابل »[1] ، وقال : « شعر أبي نواس ولم اقرأه »[2] ، وقال : « ومقاتل الفرسان نسخة غير مرضية ولا مسموعة ، وجزء فيه عدة من أيام العرب ومعاني الشعر للباهلي تام ، وقد كنت اشتريت هذه النسخة على أن أقابلها فقطعني عن ذلك الشغل »[3] .

فلا عجب بعد هذا اذا أثنى المؤرخون على أبي علي فقالوا فيه « كان أحفظ أهل زمانه للغة ، وارواهم للشعر الجاهلي ، واحفظهم له ، واعلمهم لعلل النحو على مذهب البصريين ، واكثرهم تدقيقا فيه »[4] .

وهناك من الاخبار ما يشير الى ان ابا علي لم يقف عند حدود الاخذ فحسب ، وانما تعدى ذلك الى المشاركة الفعلية في المناقشات . ويظهر لنا ذلك واضحا في اتصاله بابن درستويه : « قرأ على ابن درستويه كتاب سيبويه أجمع ، واستفسره جمعه ، وناظره فيه ، ودقق النظر ، وكتب عنه تفسيره ، وعلل العلة ، وأقام عليها الحجة ، وأظهر فضل البصريين على الكوفيين ، ونصر مذهبه على من خالفه من البصريين أيضا ، وأقام الحجة »[5] . ومن هذا الخبر يمكننا ان نستنتج ان ابا علي كان يتطلب

---

(١) فهرسة ابن خير : ٣٩٦ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) المصدر نفسه : ٣٩٨ .
(٤) طبقات الزبيدي : ٢٠٢ . وانظر ايضا انباه الرواة ١ : ٢٠٥ ، ووفيات الاعيان ١ : ٢٠٤ ومعجم الادباء ٧ : ٣١ وبغية الوعاة : ١٩٨ .
(٥) انباه الرواة ١ : ٢٠٥ .

العمق في دراسته والشمول ، وكان له الى جانب ذلك شخصيته التي تؤيد وتدحض ، وتنصر مذهبا على مذهب وعالما على عالم .

وليس هناك ، بين ما عثرت عليه من أخبار ، ما يشير الى طبيعة المناقشات التي كان ابو علي يشارك بها . وليس لدينا امثلة من هذه المناقشات لنعرف مدى ما اثاره القالي من جدل ومدى ما احرزه من تفوق . انما يهمنا ان نعرف ان ابا علي بعد ثلاثة وعشرين عاما من اقامته في بغداد ودراسته الجادة هناك ، وبعد ان بلغ من العمر ستة واربعين عاما ، وجد نفسه في موضع لا يمكن وصفه بانه موضع القمة . ويبدو انه أحس بأنه لن يبلغ القمة في بغداد أبدا . ذلك انه وجد في عصر «الجبابرة» ـ ان صح القول ـ « وادرك المشايخ ببغداد كابن الانباري ، وابن درستويه ، وابن دريد ، ومن في عصرهم » ، وسمع من سائر العلماء الاعلام الذين عددت اسماءهم من قبل . ولم يكن يستطيع ان يتفوق عليهم او يبرز له اسم بينهم لو ظل مقيما ببغداد ، ولذلك كانت هجرته الى الاندلس مجالا حسنا للتفرد والشهرة .

وفي الطريق بين العراق والاندلس تقع مصر . ولسنا نملك من اشارة الى مكوث ابي علي فيها سوى عبارة قصيرة وردت في انباه الرواة وهي : « ... ابو علي القالي المعروف بالبغدادي نزيل مصر »[1] ، ولا يمكننا

---

(1) المصدر نفسه ١ : ٢٠٤ .

بالضبط كشف ما تنطوي عليه هذه العبارة ، وما يمكن ان تدل عليه من زمن . غير أننا اذا عرفنا ان الطريق بين العراق والاندلس استغرقت عامين، أمكننا عندئذ ان نستنتج بان اقامته في مصر ــ لو تحققت ــ لم تستغرق اكثر من شهور قلائل .

في قرطبة

« قال ابو علي : وخرجت عن بغداذ سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة (٩٤٠ م) ، ثم دخلت الاندلس في سنة ثلاثين وثلاثمائة (٩٤٢ م) ، ثم دخلت قرطبة في شعبان لثلاث بقين منه سنة ثلاثين وثلاثمائة »[١] .

وقد « وفد على الاندلس أيام الناصر أمير المؤمنين عبد الرحمن »[٢] . وبعد ان ذكر المقري تاريخ دخول القالي لقرطبة قال : « وهو مما يعين انه قدم في زمن الناصر ، لا في زمن ابنه الحكم .. وقد صرح بذلك الصفدي في الوافي فقال : ولما دخل المغرب قصد صاحب الاندلس الناصر لدين الله عبد الرحمن »[٣] . ومما مضى نرى ان خلافا نشأ حول زمن وفادة ابي علي القالي الى الاندلس منشؤه الوهم الخالص ، ذلك أن الذين ظنوه وفد أيام المستنصر لم يعلموا أن هذا الامير كان مهتما بتشجيع العلوم والعلماء في حياة الناصر أبيه . وصرّح المقّري بوجود مثل هذا الخلاف

---

(١) طبقات الزبيدى ٢٠٤ ، انباه الرواة ١ : ٢٠٨ .
(٢) نفح الطيب ٤ : ٧٠ .
(٣) المصدر نفسه ٤ : ٧٣ .

فقال : « وبعض المؤرخين يزعم ان وفادة ابي علي القالي انما كانت في خلافة الحكم المستنصر بالاندلس ، لا في خلافة ابيه الناصر ، والصواب ان وفادته في ايام الناصر ، لما ذكره غير واحد من حضره وعيّه عن الخطبة يوم احتفال الناصر لرسول الافرنج »[1] .

ولم يكن القالي في طريقه الى الاندلس كثير التفاؤل بحال اللغة فيها ، فلقد عرف من امر اللغة في طريقه ما جعله يتخوف من هذه البلاد النائية ، وهذا النص الذي اورده المقري يشير الى مثل ذلك التوقع المؤلم الذي كان القالي يعيش فيه : « وذكر ان ابا علي البغدادي صاحب الامالي الوافد على الاندلس في زمان بني مروان قال : لما وصلت القيروان وانا اعتبر من امر به من أهل الامصار فأجدهم درجات في العبارات وقلة الفهم ، بحسب تفاوتهم في مواضعهم منها بالقرب والبعد ، كأن منازلهم من الطريق هي منازلهم من العلم محاصة ومقايسة . قال ابو علي : فقلت ان نقص اهل الاندلس عن مقادير من رأيت في افهامهم بقدر نقصان هؤلاء عمن قبلهم فسأحتاج الى ترجمان في هذه الاوطان »[2] . غير ان اهل الاندلس لم يكونوا كما توقع القالي ، وفي ختام الرواية السابقة يقول المقري : « فبلغني انه كان يصل كلامه هذا بالتعجب من أهل هذا الأفق الاندلسي

---

(١) نفح الطيب ٤ : ٧١ ، وقد تقرر يقينا أن القالي وصل الاندلس عام ٣٣٠/٩٤٢ وكان الناصر هو الخليفة يومئذ وقد عاش القالي في ظل خلافته عشرين عاما فلا داعي لهذا الخلاف من اساسه .

(٢) نفح الطيب ٤ : ١٥٠ .

في ذكائهم ، ويتغطى عنهم عند المباحثة والمناقشة ، ويقول لهم : ان علمي علم رواية ، وليس علم دراية ، فخذوا عني ما نقلت ، فلم آل لكم ان صححت ، هذا مع اقرار الجميع له يومئذ بسعة العلم وكثرة الروايات ، والأخذ عن الثقات » .

واستقبل ابو علي استقبالا حافلا و « أمر ... الحكم ـ وكان يتصرف عن امر ابيه كالوزير ـ عاملهم ابن رماحس ان يجيء مع ابي علي الى قرطبة ، ويتلقاه في وفد من وجوه رعيته ينتخبهم من بياض اهل الكورة تكرمة لأبي علي ، ففعل ، وسار معه نحو قرطبة في موكب نبيل ، فكانوا يتذاكرون الادب في طريقهم ، ويتناشدون الاشعار »[1] .

ولعل الناصر استقبل ابا علي في احتفال خاص وأنشد الشعراء يومئذ قصائدهم . وكان في من أنشد الشاعر الرمادي قصيدته : « من حاكم بيني وبين عذولي » ، وتقدم القالي نفسه فأنشد قصيدة من نظمه في مدح الناصر[2] ، وكان ذلك في شعبان من عام ٣٣٠ / ٩٤٢ .

واستقر القالي بقرطبة يدرس ويؤلف وهو ينال التشجيع والاكرام . وكان من الحوادث البارزة التي عرضت له في السنوات الاولى ، موقفه يوم وفدت سفارة امبراطور القسطنطينية الى بلاط الناصر (٣٣٤ /

---

(١) المصدر نفسه ٤ : ٧٠ .
(٢) فهرسة ابن خير : ٤٢٢ .

٩٤٦) ، وسئل القالي ان يقوم بالخطبة بين يدي الخليفة فأدركه الحصر ، ولم ينقذ الموقف يومئذ الا منذر بن سعيد البلوطي[1] . ثم مضت به الايام من بعد في التأليف والتدريس بقرطبة والزهراء وحوله أعلام قرطبة وطلاب الثقافة فيها ، فله مجلس في الزهراء كل يوم خميس يملي فيه النوادر ، ونراه يقرىء الغريب المصنف لطلابه عام ٣٤٣/٩٥٤[2] ، ويدرس خلق الانسان لثابت عام ٣٤٩ ـ ٣٥٠/٩٦٠ ـ ٩٦١[3] . وهو في اثناء ذلك يؤلف ، فيبدأ عمله في البارع سنة ٣٣٩ / ٩٥٠ ويظل يعمل فيه حتى سنة ٣٥٥/٩٦٦ ، وتدركه منيته في العام التالي قبل ان ينقحه[4] ـ ستا وعشرين سنة قضاها في خدمة العلم وتخريج الطلاب في الاندلس ، حتى وافته المنية ودفن بمقبرة متعة بظاهر قرطبة .

ويصعب التأكد من حقيقة السبب الذي جعل ابا علي يترك بغداد ويتوجه لقضاء بقية حياته في بلاد الاندلس . وربما كان الامر يعود الى اكثر من عامل واحد :

أحد هذه العوامل رغبة القالي في ان يفتش عن آفاق جديدة لكسب المال والشهرة ، وقد كان القالي في ذلك منسجما مع الاتجاه العام الذي كان سائدا في ذلك الوقت . ويورد ياقوت ما يؤيد ذلك فيقول : « فلما

(١) انظر تاريخ قضاة الاندلس : ٦٦ وأزهار الرياض ٢ : ٢٧٣ .
(٢) فهرسة ابن خير : ٣٢٨ .
(٣) المصدر نفسه : ٣٦٣ .
(٤) المصدر نفسه : ٣٥٥ .

تأدب ببغداد ، ورأى انه لا حظ له بالعراق ، فوافاها في ايـام المتلقب بالحكم المستنصر بالله ... فأكرمه صاحب الغرب ، وأفضل عليه افضالا عمه ، وانقطع هناك بقية عمره »[1] .

عامل الشهرة والمال هذا له أهميته ، ولكن ربما لم يكن العامل الاهم . فالروايات تذكر ان القالي دخل الاندلس بعد دعوة وجهها اليه الحكم المستنصر ايام ولاية أبيه الناصر . واذا صحت هذه الرواية تكون العوامل الأخرى متممة ومرجحة ولكن ليست عوامل رئيسة . ففي معرض الحديث عن الحكم جاء في الجذوة : « ويقال انه هو كان كتب اليه ورغبه في الوفود عليه »[2] ، ونجد مثل هذه الرواية في المقري : « ويقال ان الناصر هو الذي استدعاه من بغداد لولائه فيهم »[3] .

ومهما يكن السبب في رحلة ابي علي الى الاندلس فان وجوده فيها كان كسبا ثقافيا لتلك البلاد . وقد تجلى هذا الكسب واضحا في :

الكتب التي جلبها والاخبار التي رواها ، وفي المؤلفات التي كتبها في الاندلس ، وفي جمهور التلامذة الذين تخرجوا عليه . وقد عرضت للمسألة الاولى في ما تقدم وبقي ان أقف عند أثر القالي في التأليف ، وفي المتخرجين .

---

(١) معجم الادباء ٧ : ٢٨ .
(٢) جذوة المقتبس : ١٥٥ ، معجم الادباء ٧ : ٣٠ ـ ٣١ .
(٣) نفح الطيب ٤ : ٧٥ .

صرف ابو علي من عمره ستة وعشرين عاما قضاها في التعليم والرواية والتأليف ، « فاستفاد الناس منه وعولوا عليه ، واتخذوه حجة فيما نقله ، وكانت كتبه على غاية التقييد ، والضبط والاتقان »[1] . وامتدحه المؤرخون لما ألف من كتب واملى من اخبار ، اذ « الف في علمه الذي اختص به تواليف مشهورة تدل على سعة روايته ، وكثرة اشرافه »[2] .

ولقد كان القالي ، على ما يبدو ، يتمتع بذاكرة قوية للغاية فله « اوضاع كثيرة املاها عن ظهر قلب »[3] . وله « كتب كثيرة .. ارتجل جميعها واملاها عن ظهر قلب كلها »[4] . وهذه الرواية التي رددتها المراجع المختلفة توضح لنا كيف استطاع القالي ان يؤلف التآليف الكثيرة الواسعة .

وهناك سؤال لا بد ان يرد على خاطر المرء : هل ألف القالي هذه التآليف جميعها في الاندلس ؟ اغلب الظن انه كان قد بدأ بالتأليف قبل ذلك بكثير . فأولا : من غير المحتمل ان يصرف الانسان ستة واربعين عاما من عمره بغير ان يحاول التأليف ، ثم ، وبعد ان يغير البلد ، يصبح ،

---

(١) جذوة المقتبس : ١٥٥ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) طبقات الزبيدي : ٢٠٢ ، انباه الرواة ١ : ٢٠٥ ، معجم الادباء ٧ : ٢٨ .
(٤) انباه الرواة ١ : ٢٠٦ ، معجم الادباء ٧ : ٣٠ .

فجأة ، مؤلفا طويل الباع قادرا مقتدرا .صحيح ان حاجة البلد الاندلسي اقتضت من ابي علي ان يساهم في الانتاج ، غير ان من يساهم في ذلك يجب ان يكون مستعدا له وكفؤا قادرا على القيام بمشقاته .

وربما كان للقالي أصول تآليف وضعها أو فكر فيها قبل ان يصل الاندلس ، انما لم يقدّر لهذه التآليف ان تنتشر وان تذيع ، لأن بلاد المشرق كانت تعيش في فيض من العلماء الافذاذ والمؤلفات العلمية العظيمة .

ومع ذلك فان هذه المحاكمة المنطقية ليست تدلنا على مؤلَّف واحد تنص الروايات صراحة على انه من مؤلفات العهد المشرقي . الرواية الوحيدة التي نجدها في الكتب تشير الى ان هناك مؤلفات وضعت في غير قرطبة ، وجاءت هذه الرواية بصورة عارضة وبغير توضيح : « واكثر كتبه بها ــ اي بقرطبة ــ وضعها »[1] . فاذا كان اكثر كتبه وضعها في قرطبة ، فلا بد أن القلة من الكتب وضعت في غير قرطبة . وأغلب الظن أن تكون تلك القلة من الكتب مما ألفه بالمشرق .

وتقع مؤلفات القالي في ثلاثة أنواع : أخبار ومؤلفات أدبية ومؤلفات لغوية . غير انه يستحسن ان نقرر منذ البداية ان مثل هذا التصنيف ليس دقيقا . اذ لم يكن مفهوم الاختصاص واضحا في اذهان الناس . ولا يختلف

---

(١) الوفيات ١ : ٢٠٥ .

القالي في هذا عن غيره من العلماء ، بل لعله كان اكثر ايغالا من غيره في الجمع بين الخبر واللغة والادب في الكتاب الواحد . ويهمنا ان نعرف هنا ان القالي جاء ليعلم ولم يجىء ليؤلف ، فاذا كانت ثقافته تشتمل على اكثر من نوع من انواع المعارف فبدهي ان يظهر مثل هذا الجمع في تآليفه . وهذه هي اهم المؤلفات التي ذكرتها المصادر :

١ ــ الممدود والمقصور[١]

« بناه على التفعيل ومخارج الحروف من الحلق ، مستقصى في بابه لا يشذ عنه شيء من معناه »[٢] . واشارت بعض المصادر الى الكتاب بغير ان تعلق بشيء[٣] . واشارت مراجع اخرى اليه ووصفته بأنه « لم يوضع له نظير »[٤] . وقد خالف الحميدي المصادر الاخرى فسماه « المقصور والممدود والمهموز »[٥] ، وقال ابن خير انه في عشرة أجزاء[٦] .

وقد ذكر القفطي أن نسخة من الكتاب شوهدت وقد كتب عليها : « قرأ جميع المقصور والممدود محمد بن ابراهيم

---

(١) منه نسخة خطية بالقاهرة ثاني ٢ : ٤٠ (بروكلمان ٢ : ٢٨٠) .
(٢) طبقات الزبيدي : ٢٠٣ ، انباه الرواة ١ : ٢٠٦ ، معجم الادباء ٧ : ٢٩ .
(٣) الوفيات ١ : ٢٠٤ ، البغية : ١٩٨ .
(٤) طبقات الزبيدي : ٢٠٣ ، انباه الرواة ١ : ٢٠٦ ، معجم الادباء ٧ : ٢٩ .
(٥) جذوة المقتبس : ١٥٦ .
(٦) فهرسة ابن خير : ٣٥٣ .

ابن معاوية القرشي ومحمد بن أبان بن سيد وعبد الوهاب بن أصبغ ومحمد بن حسن الزبيدي »[1] .

٢ ـ فعلت وافعلت[2]

« وصله لأمير المؤمنين (يعني الناصر أو الحكم) حتى جعله ثلاثة أمثال ما كان للزجاج » ، فالاساس فيه كما يبدو كتاب الزجاج المعروف بهذا الاسم ثم زاد القالي فيه كثيرا .

٣ ـ كتاب في الابل ونتاجها وما تصرف منها ومعها[3] .

وسماه ابن خير « كتاب الابل ونتاجها وجميع أحوالها » وذكر انه في خمسة أجزاء .

٤ ـ مقاتل الفرسان

لم يردنا من هذا الكتاب سوى اسمه[4] . وقد سماه السيوطي « مقاتل العرب »[5] .

---

(١) انباه الرواة ١ : ٣٠ .
(٢) طبقات الزبيدي : ٢٠٣ ، معجم الادباء ٧ : ٢٩ ، وفيات الاعيان ١ : ٢٠٤ ، بغية الوعاة : ١٩٨ ، انباه الرواة ١ : ٢٠٦ ، وفهرسة ابن خير : ٣٥٢ .
(٣) انباه الرواة ١ : ٢٠٦ ، طبقات الزبيدي : ٢٠٣ ، معجم الادباء ٧ : ٢٩ ، وفيات الاعيان ١ : ٢٠٤ ، بغية الوعاة : ١٩٨ ، فهرسة ابن خير : ٣٥٥ .
(٤) انباه الرواة ١ : ٢٠٦ ، طبقات الزبيدي : ٢٠٣ ، معجم الادباء ٧ : ٢٩ .
(٥) بغية الوعاة : ١٩٨ ، وفهرسة ابن خير : ٣٥٥ .

٥ ـ كتاب في حلى الانسان والخيل وشياتها [1]

٦ ـ كتاب في تفسير القصائد والمعلقات وتفسير اعرابها ومعانيها [2]

وقد سماه ياقوت : « كتاب تفسير السبع الطوال »[3] .

٧ ـ فهرسة ابي علي البغداذي

اخباره وتسمية كتبه وتواليفه برواية أحمد بن أبان بن سيد عن القـالي نفسه[4] .

٨ ـ كتاب الامثال[5] (افعل من كذا)

أراد القالي أن يجمع في كتابه فنا من الامثال السائرة عن العرب مما « يجري منها على ألسنة الفصحاء ، ويختلط بخطاب البلغاء ، ويدخل في نوادر الادباء وبدائع الشعراء »[6] . وهـو ما جاء من الامثال علـى قولهم : « أفعل من كذا » .

(١) طبقات الزبيدي : ٢٠٣ ، انباه الرواة ١ : ٢٠٦ ، معجم الادباء ٧ : ٢٩ ، بغية الوعاة : ١٩٨ ، وفهرسة ابن خير : ٣٥٥ .
(٢) انباه الرواة ١ : ٢٠٦ ، طبقات الزبيدي : ٢٠٣ ، وفيات الاعيان ١ : ٢٠٥ ، بغية الوعاة : ١٩٨ ، وفهرسة ابن خير : ٣٥٥ .
(٣) معجم الادباء ٧ : ٢٩ .
(٤) فهرسة ابن خير : ٤٣٤ .
(٥) مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم : أدب ٧٤٤٢ .
(٦) خطبة الكتاب : ١/ظ .

وقد سبق الى هذا التأليف جماعةمنعلماء اللغة[1] ،فاستفاد القالي من مؤلفاتهم وضمنها كتابه ، وزاد عليها زيادة كبيرة . فبينما كان عدد امثال كتاب الليث ثلاثمائة وتسعين مثلا فقد حوى كتاب القالي الفين ومائتي مثل[2] . كما انه اضاف الى كتابه بابين ، ضم اولهما (التاسع والعشرون) امثالاً مولدة مزدوجة ، بلغ عددها اربعمائة مثل ، وضم الثاني (الثلاثون) نوادر من الكلام جارية مجرى الامثال ، تشمل المكني من الاسماء (ابو الحارث ، ابو جعدة الخ ..) والمبنيّ من الاسماء (ابن جلا ، ابن ابيض الخ ..) والمثنى من الاسماء (الجديدان ، الفتيان الخ ..) . واضاف الى ذلك كله فصلا يتضمن ثلاثين خرافة من خرافات العرب[3] .

وقد رتب الامثال على حروف المعجم تسهيلا لتناولها . وجعل في بداية الكتاب يتحدث عن احوال التعجب والقواعد التي تضبطه ، وارتباط بعض الامثال بأماكن بعينها . ثم بدأ في تنسيق الامثال التي وعد بتأليفها على نظام حروف المعجم مجملة في اول الباب مفصلة في آخره ومفسَّرة

---

(١) للاصمعي في ذلك كتاب خفيف الحجم مقدار عشر ورقات ، وللحياني ايضا كتاب يقرب من كتاب الاصمعي ، وفي آخر كتاب ابي عبيد باب ضمنه ما في كتاب الاصمعي واللحياني . وتعقب هؤلاء محمد بن حبيب البصري . ولليث في ذلك كتاب نقل اليه ما في كتاب الاصول ، وزاد عليهم زيادة كثيرة ـ راجع مخطوطة كتاب الامثال ١/ظ .

(٢) خطبة الكتاب .

(٣) ينقطع الكتاب بايراد خرافة واحدة دون تمامه .

بأسبابها وأخبارها[1] . وراعى هذه الخطة في حروف المعجم كلها . واستغرق الكتاب خمسا وسبعين ورقة .

من خصائص الكتاب :

أ ـ لا يذكر اسماء الكتب والمؤلفين الذين اخذ عنهم .

ب ـ تبدو على الكتاب مسحة تنظيمية واضحة .

جـ ـ يمكن القول بأن هذا الكتاب ، اذا قيس بالاتجاه العام للكتب قديما ، قد تخلص من كثير من التفصيلات والزوائد .

د ـ كانت الامثال تسرد مجملة ثم تفصَّل وتفسَّر .

هـ ـ هذه المزايا جعلت الكتاب اقرب الى قاموس في فن معين من الامثال .

(١) مثال من : « الباب الاول : فيما جاء في اوله الف وهو خمسة عشر مثلا : آمن من الارض . آمن من حمام مكة . آمن من ظبي بالحرم ... التفسير : أما قولهم : آمن من الارض ذات الطول والعرض ، وأما قولهم : آمن من حمام مكة ، وآمن من ظبي بالحرم ، فمن الامن . لانها لا تثار . قال شاعر الحجاز :
لا والذي أمن الغزلان تمسحها ركبان مكة بين الغيل والسعد »

٩ ـ البارع

ا ـ وصف عام للكتاب والدوافع الى تاليفه

لا نستطيع ان نعرف بالضبط الدافع المباشر الى مثل هذا التأليف ، وربما كان ذلك بطلب من الحكم المستنصر او بتشجيع منه على الاقل . ومثل هذا نقوله اعتمادا على اتجـاه الحكم العام في تشجيـع التأليف وتشجيع ابي علي بنوع خاص . ثم ان هناك من الروايات ما يشير الى مثل هذا التشجيع .

ولم يكن هذا العمل يسيرا او متيسرا ، بل كان يحتاج الى مجهود عظيم . وقد « شوهد بخط ولده ما مثاله : ابتدأ ابي ـ رحمه الله تعالى ـ يعمل كتاب « البارع » في رجب سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة (٩٥٠ م) ، ثم قطعته علل واشغال ، ثم عاود النظر فيه بأمر امير المؤمنين وتأكيده عليه ، فعمل فيه من سنة تسع واربعـين وثلاثمائة (٩٦٠ م) ، فـأخذه بجد واجتهاد ، وكمل له ، وابتدأ بنقله فكمل لنفسه الى شوال سنة خمس وخمسين وثلاثمائة (٩٦٦ م) كتاب الهمز ، وكتاب الهاء ، وكتاب العين ، ثم اعتل في هذا الشهر »[١] .

ويصعب ، اعتمادا على هذا الكلام ، التحقق بدقة من الزمن الذي استغرقه تأليف هذا الكتاب انما نستطيع القول انه عمل فيه ستة عشر عاما ،

---

(١) انباه الرواة ١ : ٢٠٩ .

لم يعمل فيها بصورة متواصلة وانما قطعتهاثناء ذلك«علل واشغال».ويبدو لنا من هذا النص ما ذكرناه قبل قليل من اهتمام الحكم المستنصر ، امير المؤمنين ، وتشجيعه للقالي في هذا المؤلف ، كما كان يشجعه في غيره من المؤلفات .

وقد عاجل المرض ابا علي ولم يمهله الوقت الذى يسمح له بنسخ ما عمله وتهذيبه . وقد رأى بعض المؤرخين انه « الف كتاب البارع في اللغة في خمسة آلاف ورقة لكن لم يتمه »[1] . ويورد آخرون هذه الرواية بألفاظ مختلفة ، مع اختلاف عدد الاوراق ، اذ يروي ياقوت ، مثلا ، انها ثلاثة آلاف ورقة فقط[2] .

وكان لا بد لمثل هذا العمل ان يخرج الى الناس . فتولاه وراقان ممن كان يساعد القالي في اعماله ، واحدهما : محمد بن الحسين الفهري ، عمل على مساعدة القالي في هذا المشروع منذ عام ٣٥٠ / ٩٦١ ، والاخر : محمد بن عمر الجياني . وقد تعاون الوراقان فاستخرجا المادة من الصكوك والرقاع ، وهذبا الاصول التي هي بخط القالي ، والاصول التي بخطيهما والتي كانا قد كتباها بين يديه . ولما تم الكتاب رفع الى الحكم المستنصر ، الذي رعى المشروع وشجعه منذ البداية[3] .

(١) شذرات الذهب ، ابن العماد ٣ : ١٨ .
(٢) بغية الوعاة : ١٩٨ ، معجم الادباء ٧ : ٢٩ .
(٣) فهرسة ابن خير : ٣٥٤ ، انبـاه الرواة ١ : ٢٠٩ ، التكملة ، ابن الابار : ٣٧١ .

وقد امتدح الناس منذ ذلك العهد كتاب البارع قال الزبيدي : « ولا نعلم احدا من المتقدمين الف مثله »[١] . وهو « لم يصنف مثله في الاحاطة والاستيعاب »[٢] .

ومع هذا الاعتراف بعظمة الكتاب فان الناس لم يميلوا اليه ولم يألفوه و « لم يعرجوا .. على بارع ابي علي البغدادي »[٣] . وربما كان ضيق المجال الذي انفتح امام الكتاب واحدا من الاسباب التي ساعدت على فقدان اكثره . فمن المائة المجلد التي ورد ذكرها لم يبق لنا الآن سوى قطعتين احداهما في المكتبة الاهلية بباريس والاخرى في المتحف البريطاني . وقد كتبت الاثنتان بخط اندلسي وفي عصر يعود الى حوالي القرن بعد زمن تأليف الكتاب[٤] .

والمتبقي من البارع يقع ، بحسب مخطوطة المتحف البريطاني ، في مائة وثمان واربعين صفحة[٥] ، وهو ما يقارب ثلاثة امثال قطعة باريس ونصفها[٦] . والقطعتان لا تشتركان الا في ثماني صفحات من مصورة فلتن[٧] . وليست هذه الاوراق متتابعة ، على اية حال ، بل هي متفرقات[٨] .

---

(١) طبقات الزبيدي : ٢٠٣ — ٢٠٤ ، معجم الادباء ٧ : ٢٩ ، انباه الرواة ١ : ٢٠٦
(٢) المصدر نفسه .
(٣) المزهر ١ : ٤٥ .
(٤) مقدمة فلتن (بالانجليزية) ص : ١ .
(٥) مخطوطة المتحف البريطاني رقم Or. ٩٨١١
(٦) مقدمة فلتن : ١ .
(٧) المصدر نفسه .
(٨) المصدر نفسه .

غير ان كلتا القطعتين ليست تحتوي على مقدمة للمؤلف . ولسنا نقصد من ذلك انه وجد في يوم من الايام مقدمة للمؤلف ؛ فمثل هذا الامر يصعب البت فيه . اذ ان ابا علي مات قبل ان يتم الكتاب كما رأينا . ولكن نريد ان نقول ان الهدف من تأليف الكتاب والخطة التي اتبعها المؤلف غير معروفين بدقة ، انما يمكن استنتاجهما استنتاجا . وقد رأينا ان القالي قام ، بتشجيع من الحكم المستنصر ، بتأليف بارعه ليضع بين ايدي اهل الاندلس معجما يماثل معجمات المشارقة او يتفوق عليها ، وقد قصد الى ان يسهل عمليات التفسير والشرح التي كان يقوم بها هو وامثاله من العلماء في تلك الفترة من حياة الاندلس اللغوية والادبية .

ب ـ منهج القالي في كتاب البارع

رتب القالي كتابه بحسب مخارج الحروف . وكما يستنتج من القطعة المتبقية من كتابه يمكن ترتيب الحروف كما يلي :

ه ح ع خ غ ق ك ض ج ش ل ر ن
ط د ت ص ز س ظ ذ ث ف ب م
و ا ي[1] .

اما الهمزة فقد كان مكانها موضع خلاف ، ويرى فلتن : « كذلك ليس لدينا اي شاهد مخطوط عن موضع الهمزة ، ذلك الصامت الذي

(١) انظر كذلك مقدمة فلتن : ٨ .

سبب كثيرا من المتاعب للقدماء من النحويين واللغويين في تحديده ، ولا بد ان القالي تناوله في بداية الالفباء او في فصل خاص في النهاية ، وهو لا يضع الالفاظ التي تحتوي على هذا الصامت بين الاصول المعتلة من الكتاب ، كما فعلت معاجم الخليل والازهري وابن سيده »[1] . اما موضع الحرفين الحاء والخاء فلم يمكن القطع بموقعهما وقد وضعا بحسب الترتيب السابق دون الجزم بذلك ، وقال فلتن بهذا الصدد : « ولا تبين لنا نسخة المتحف البريطاني ولا نسخة باريس من كتاب القالي الوضع الصحيح للحرفين الساكنين ح ، خ ، والوضع الذي نسبناه لهما هنا افتراضي ، ومن المحتمل صحته »[2] .

والابواب في بارع القالي ستة ، هي بالترتيب : ابواب الثنائي المضاعف (الثنائي في الخط والثلاثي في الحقيقة) ، ابواب الثلاثي الصحيح ، ابواب الثلاثي المعتل ، ابواب الحواشي او الاوشاب[3] ، ابواب الرباعي ، ابواب الخماسي .

---

(١) مقدمة فلتن : ٨ ، وانظر المعجم العربي : ٢٨٩ .

(٢) مقدمة فلتن : ٨ .

(٣) شرح القالي ابواب الحواشي او الاوشاب بقوله : « هذه ابواب تتصل بالثلاثي المعتل مما جاء على حرفين احدهما معتل ، او ثلاثة منها حرفان معتلان » (البارع ٢٦) . وقام بشرحها أيضا في مكان آخر فقال : « انما سميناه اوشابا لأنا جمعنا فيه الحكايات والزجر والاصوات والمنقوصات ، وما اعتل عينه ولامه او فاؤه ولامه او فاؤه وعينه او كان فاؤه ولامه او فاؤه وعينه او لامه وعينه بلفظ واحد » . (البارع ٧٦) . وقد شمل بهذا الشرح الثنائي المخفف الصحيح او المعتل بحرف واللفيف والمضاعف بحرفين غير مدغمين .

وفي كل باب من هذه الابواب تتكرر عبارة « ومن مقلوبه » ، وهو النظام الذي يتيح للقالي ، ولغيره من اصحاب هذه المدرسة في تأليف المعجمات ، سبيلا لاستقصاء تنقل كل حرف من نظامه في كل بناء من الابنية[1] .

جـ ـ خصائص الكتاب

نستطيع ان نأخذ صورة واضحة عن خصائص الكتاب اذا حللنا مادة من مواده . لنأخذ مثلا :

الجيم والشين والنون في الثلاثي الصحيح[2]

«قال **ابو علي** قال **يعقوب** : يقال اتيته بعد ما مضى جوشن من الليل

قال ابن أحمر :

يضيء صبيرها في ذي حبي — جواشن ليلها بينا فبينا

اي قطعة من الارض بعد قطعة ، يعني البين والبين من البصر . قال **لنا ابو الحسن بن كيسان** رحمه الله : الصبير الغيم الابيض الشديد **البياض** . وقال **ابو عبيدة** : الجوشن الصدر . قال : وقال آخر بل الجوشن الوسط بفتح الجيم والشين وسكون الواو وانشد لرؤبة :

ونازح الماء عريض الجوشن

(١) الامثلة متوفرة في مواد البارع المختلفة .
(٢) البارع : ١٢١ ــ ١٢٢ .

قال الجوشن : الوسط . وقال **الخليل** : الجوشن ما عرض من وسط الصدر ، وجوشن الجراءة ونحوها صدرها ، والجوشن من المسلاح .

مقلوبه

قال ابو علي قال **ابو حاتم** : يقال نشج ينشج نشيجا على مثال فعل يفعل فعيلا بفتح الفاء والعين في الماضي وكسر العين في المستقبل وفتح الفاء وكسر العين في المصدر . وقال **ابو زيد** : النشيج اشد البكاء . وقال **الاصمعي** : النشيج بالحلق ، وهو هاقة تأخذ بالنفوس ، وهي ارتفاع النفس مثل الفؤاد . قال ابو ذؤيب :

لهن نشيج بالنشيل كأنها ضرائر حرمي تفاحش غارها

وقال **الخليل** : نشج الباكي ينشج نشيجا وهو اذا غص البكاء في حلقه ولما ينتحب . والحمار ينشج بصوته نشيجا وهو صوت في حلقه عند الفزعة . والطعنة تنشج عند خروج الدم ، تسمع لها صوتا كالنفخة ، فاذا كان ذلك قلت نشجت الطعنة . والقدر تنشج عند الغليان . وقال الشاعر :

وناشج عينه منهلة تكف . »

١ ــ كان القالي ، على ما يبدو ، يشعر بالاطمئنان حين يورد اسماء العلماء الثقات ، ففي هذا الجزء من المادة الذي نقلناه نجد اسماء يعقوب ابن السكيت وابي الحسن بن كيسان وابي عبيدة والخليل وابي زيد والاصمعي . « وهذا احصاء بمن وردت اسماؤهم في الصفحات العشر

الاولى : ابو زيد الانصاري ، الخليل بن احمد ، يعقوب بن السكيت ، ابو السمح ، الاصمعي ، ابو عبيدة ، الكسائي ، الرزاحي ، ابو حاتم السجستاني ، ابو عمرو ، الاحمر ، ابو العباس ، الاموي ، الفراء ، ابن الاعرابي ، الاحرزي . وهذا الاحصاء لا يبين لنا تماما كثرة ورود اسمائهم لأنه لا يظهر مرات وجودهم ، وهي كثيرة ... ومنهم من كان يظهر اسمه في جميع المواد كالخليل ، ويقاربه في ذلك ابو زيد ، ويليهما الاصمعي ويعقوب . وكان في بعض الاحيان يأتي بالمادة كلها من قول الخليل ، وابي زيد[1] . ومن الطبيعي انه لم يكن المذكورون آنفا جميع من رجع اليهم . فهناك غيرهم ظهروا بعد الصفحات العشر الاولى ، من امثال الباهلي ، والنضر بن شميل ، واللحياني ، وسلمة بن عاصم ، والرؤاسي ، وقطرب ، ولزاز ، وابن كيسان ، وابن قتيبة ، وثابت ، وابن دريد ، وغيرهم من اللغويين وابي الجراح ، وابي العطاف الغنوي ، وابي خيرة ، وام الحمارس الكلبية ، وابي زياد الكلابي ، وابي جميل الكلابي ، وابي صاعد ، ورداد الكلابي ، وابي الغادية النميري ، وابي مسمع ، وغنية ، من الاعراب والرواة »[2] .

٢ ــ ومن المادة السابقة أيضا يظهر لنا بوضوح حرص القالي الشديد على عدم الالتباس . وهذا الحرص يتمثل في ظاهرتين ، الاولى

---

(١) البارع : ٢٣ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ وغيرها من الصفحات .
(٢) المعجم العربي : ٢٩٦ ــ ٢٩٧ .

النص على حركة الحرف كتابة ، وربما شاركه هذا الفضل الوراقان اللذان ساعداه على النسخ ورتبا وهذبا بارعه بعد وفاته . والثانية النص على الوزن .

٣ ــ ويتبين لنا كذلك حبه لرواية الشعر والاستشهاد به . وقد تجاوز في كثير من الاحيان حد الاستشهاد الى ايراد مقطوعات قصد بها الامتاع والاخبار[١] . ولعل هذا اثر من آثار الامالي وروايات الاشعار والاخبار[٢] .

٤ ــ ومن الظواهر تفسير الالفاظ التي ترد في النصوص . فاذا احس ان هناك لفظة او اكثر تستغلق على الفهم عمد الى شرحها[٣] .

٥ ــ كذلك فانه ينقل عن اللغويين بعض لغات العامة . ففي مادة : الجيم والشين والراء في الثلاثي الصحيح :

---

(١) فهو حين يتحدث عن مادة : الجيم والشين والراء في الثلاثي الصحيح وعن تقاليبها يقول : (البارع ١١٩) .
« ...وقال ابو زيد الشريجان الخلطان وانشد لقطبة بن ارومة :

عفا الرس فاللعباء من ام عامر ... فشرك فأحسى واسط فمنيم
غفت غير حقب ترتعي اخدرية ... شريجان منها واضح وبهيم
فهاجت عليك الدار ما لو ترومه ... لعهد الصبا لم تدر كيف تروم
لعلك ان طالت حياتك ان ترى ... حبائبك الآتي * بهن تهيم
اجدك ما ينسيكهن ملمة ... الت ولا عهد بهن قديم .. »

* ربما كان الاصح : اللائي .

(٢) ترد في بارعه روايات واخبار ليس لها صلة بالمعجم وانما يرويها لأنها من جملة الروايات المسلية . (انظر البارع ، ص : ١٠) .
(٣) انظر البارع : ٣ .

« مقلوبه : قال ابو حاتم : العامة يقولون الشجر بكسر الشين وهو لغة والجيد الفتح كما يقرأ في القرآن : (والنجم والشجر يسجدان) ، (سورة الرحمن آية : ٠٦)[١] »

٦ ــ ويعتني القالي باللغات المختلفة . « واننا نرى عنده من اللغات المنسوبة لغات الكلابيين والنميريين والطائيين والقيسيين والاسديين والتميميين وبني غني ، واهل مصر والمدينة والحجاز والجزيرة والعراق . والكلابيون خاصة لهم خطرهم في كتابه ، اذ يرد اسمهم في خمس صفحات من الصفحات العشر الاولى ، ويكثر بصورة واضحة في جميع انحاء القطعة الباقية . وليس هذا وحده بل تكثر اسماء الاعراب والرواة الكلابيين عنده أيضا ، مثل ام الحمارس وابي زياد وابي جميل وردّاد . ومن اسباب هذه الظاهرة اكثار المؤلف الاقتباس من ابي زيد الانصاري ، الذي يروي عنهم كثيرا »[٢] .

٧ ــ وكان من نتيجة ايراده الاقوال المختلفة للغويين المختلفين بغير مناقشة او تشذيب ان تراكمت التفسيرات المتناقضة ، واحدا الى جنب الآخر دون ادنى تعليل . والواقع ان شخصية القالي ضعيفة ولا نحس بها الا من وراء ستار ، فشخصيات العلماء الآخرين اكثر وضوحا . وادى هذا الى ان يكون معجمه أقرب الى الجمع .

(١) المصدر نفسه : ١١٩ ــ ١٢٠ .
(٢) المعجم العربي : ٣٠١ .

٨ ـ والقالي يأخذ عن العلماء دون ذكر المؤلفات . وجزء من كتابه مبني على الرواية الشفوية ، غير ان لكثيرين من العلماء كتبا لا بد انه استفاد منها .

٩ ـ وبرغم المجهودات الكبيرة التي قام بها القالي ، فان هناك مواطن ضعف في الكتاب . ولعل اهم هذه المواطن وابرزها صعوبة البحث عن المواد في المعجم بسبب ذلك النظام العسير القائم على المخارج والابنية والتقاليب . وقد أشار الى مثل هذا الضعف اكثر من عالم ولاموا في ذلك أيضا معجمات اخرى اعتمدت نفس الاسس . قال ابن دريد « قد ألف الخليل بن احمد كتاب العين ، فأتعب من تصدى لغايته ، وعنى من سما الى نهايته .. ولكنه رحمه الله الف كتابه مشاكلا لثقوب فهمه ، وذكاء فطنته »[1] . و « كتاب العين لا يمكن طالب الحرف منه ان يعلم موضعه من الكتاب من غير ان يقرأه ، الا ان يكون قد نظر في التصريف ، وعرف الزائد والاصلي والمعتل والصحيح والثلاثي والرباعي والخماسي ، ومراتب الحروف من الحلق واللسان والشفة ، وتصريف الكلمة على ما يمكن من وجوه تصريفها في اللفظ على وجوه الحركات والحاقها ما تحتمل من الزوائد ، ومواضع الزوائد بعد تصريفها بلا زيادة ، ويحتاج مع هذا الى ان يعلم الطريق التي وصل الخليل منها الى حصر كلام العرب ، فاذا عرف هذه الاشياء ، عرف موضع ما يطلب من كتاب العين »[2] . وهذه

(١) الجمهرة : ٣ .
(٢) المزهر ، السيوطي ١ : ٤٦ .

الاتهامات جميعها تنال كتاب البارع بنسب متفاوتة . فالبارع واحد من فئة المعجمات التي اتخذت مخارج الحروف والابنية والتقاليب اساسا لها .

***

ومع ذلك ، فلقد شارك القالي مشاركة طيبة في المجهود اللغوي ، وقدم بهذا الكتاب اثرا عرف الناس فضله ومدحوه . ولما « كمل الكتاب وارتفع الى الحكم المستنصر بالله ، اراد ان يقف على ما فيه من الزيادة على النسخة المجمع عليها من كتاب العين ، فبلغ ذلك الى خمسة آلاف وستمائة وثلاث وثمانين كلمة »[1] . وقال ابن خير : « زاد على كتاب الخليل نيفا واربعمائة ورقة مما وقع في العين مهملا فاملاه مستعملا ، ومما قلل فيه الخليل فأملى فيه زيادة كثيرة ، ومما جاء دون شاهد فأملى الشواهد فيه »[2] . واطنب آخرون في مدحه ورأوا أنه « لا يعلم احد من العلماء المتقدمين والمتأخرين الف مثله في الاحاطة والاستيعاب »[3] .

١٠ ـ كتاب الامالي *

أ ـ تقدير العلماء لكتاب الامالي

لقي الكتاب شهرة واسعة ، واثنى عليه كتاب التراجم والمؤرخون ،

(١) التكملة : ٣٧١ .
(٢) فهرسة ابن خير : ٣٥٤ .
(٣) طبقات الزبيدي : ٢٠٣ ـ ٢٠٤ ، انباه الرواة ١ : ٢٠٦ .
* انظر بروكلمان ٢ : ٢٧٨ في مخطوطات هذا الكتاب والطبعات التي صدرت منه ومن الذيل والتنبيه .

وكثيرا ما جرى التعريف بالقالي عن طريق القول بأنه صاحب الامالي : « ولما وفد على ابيه ــ ابي الحكم المستنصر ــ ابو علي القالي صاحب كتاب الامالي من بغداد أكرم مثواه .. »[1] ، « .. ومنهم ابو علي القالي ، صاحب الامالي والنوادر . »[2] ، « .. وذكر ان ابا علي البغدادي صاحب الامالي الوافد على الاندلس في زمان بني مروان قال .. »[3] . وقد امتدح ابن خير الكتاب فقال : « وهو كتاب حسن يشتمل على انواع من العلم لا نظير له في معناه »[4] ، واثنى عليه الزبيدي ، تلميذ القالي وصديقه ، فقال : « وهذا الكتاب غاية في معناه ، وهو أنفع الكتب »[5] . وهذه الرواية الاخيرة رواها آخرون بألفاظ قريبة[6] . وقد اورد الحميدي من الاخبار ما يشيد بالامالي فقال : « قال لنا ابو محمد علي بن احمد (اي ابن حزم) ، وقد ذكر كتاب ابي علي المسمى بالنوادر في الاخبار والاشعار ، فقال : وهذا الكتاب مبار للكتاب الكامل الذي جمعه ابو العباس المبرد ، ولئن كان كتاب ابي العباس اكثر نحوا وخبرا ، فان كتاب

---

(١) نفح الطيب ١ : ٣٦٢ .
(٢) المصدر نفسه ٤ : ٧٠ .
(٣) المصدر نفسه ٤ : ١٥٠ .
(٤) فهرسة ابن خير : ٣٢٣ .
(٥) طبقات الزبيدي : ٢٠٣ .
(٦) انباه الرواة ١ : ٢٠٦ ، معجم الادباء ٧ : ٢٨ .

ابي علي لأكثر لغة وشعرا »[1] .

ب ـ الداعي لتأليفه

ويقول القالي في المقدمة : « فأمللت هذا الكتاب من حفظي في الاخمسة بقرطبة ، وفي المسجد الجامع بالزهراء المباركة »[2] . وقال الزبيدي في مثل ذلك : « وله اوضاع كثيرة املاها عن ظهر قلب ، منها كتابه في الخبر ، المعروف بالنوادر ، املاها ظاهرا ، وارتجل تفسير ما فيه »[3] .

فالداعي الى تأليف هذا الكتاب في المقام الأول هو تلك المهمة التدريسية التي انتدب لها القالي ، وتحقيق جانب من الغاية التي هاجر من أجلها الى الاندلس . على أن تأليف الكتاب تم في مراحل : فقد كان أبو علي يمليه أولا في الاخمسة بالزهراء على بني ملول وغيرهم ، وهذه هي المرحلة الأولى ، ثم زاد فيه حتى بلغ ستة عشر جزءا وهذه هي المرحلة الثانية ، ثم لما رفعه للمستنصر جعله عشرين جزءا . وعندئذ كتب مقدمته وتحدث فيه عن طلبه العلم ــ تلك التجارة التي لا تبور ــ وعن جهوده في سبيلها ، وعن أن العلم لا يلقى الا الى مستحقيه فقال : « أما بعد ... فاني لما رأيت العلم أنفس بضاعة أيقنت أن طلبه أفضل تجارة فاغتربت

(١) جذوة المقتبس : ١٥٦ ، معجم الأدباء ٧ : ٢٨ ــ ٢٩ .
(٢) الامالي ١ : ٣ .
(٣) طبقات الزبيدي : ٢٠٣ ، وانظر أيضا : انباه الرواة ١ : ٢٠٥ ــ ٢٠٦ ، ومعجم الادباء ٧ : ٢٨ .

للرواية ولزمت العلماء للدراية ثم أعملت نفسي في جمعه وشغلت ذهني بحفظه حتى حويت خطيره وأحرزت رفيعه ورويت جليله وعرفت دقيقه .... وجعلت غرضي أن اودعه عند من يستحقه وأبديه لمن يعلم فضله وأجلبه الى من يعرف محله .... »[1] وفي هذه المقدمة تقدير لعبد الرحمن الناصر وثناء عليه ، وهو شيء يسير اذا قيس بما لقيه القالي من حفاوة واكرام .

جـ ـ طبيعة المادة في كتاب الامالي

وقد أجمل القالي في مقدمته وصف طبيعة المادة التي اشتمل عليها كتابه فقال : « وأودعته فنونا من الاخبار وضروبا من الاشعار وأنواعا من الامثال وغرائب من اللغات على أني لم أذكر فيه بابا من اللغة الا أشبعته ولا ضربا من الشعر الا اخترته ولا فنا من الخبر الا انتحلته ولا نوعا من المثل والمعاني الا استجدته ، ثم لم أخله من غريب القرآن وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم . على أنني أوردت فيه من الابدال ما لم يورده أحد وفسرت فيه من الاتباع ما لم يفسره بشر ليكون الكتاب الذي استنبطه احسان الخليفة جامعا والديوان الذي ذكر فيه اسم الامام كاملا »[2] . ومعنى هذا أن كتاب الامالي يمتاز بالامور الآتية :

---

(١) مقدمة الامالي : ص ١ ــ ٢ .
(٢) المصدر نفسه : ٣ .

(١) الاشباع بالتفسيرات اللغوية .

(٢) المختار من الشعر الذي اعتمده ذوق القالي .

(٣) الخبر المنتحل .

(٤) الأمثال والمعاني التي استجادها القالي .

(٥) غريب القرآن والحديث .

(٦) فرعان من الكلام يرى القالي أنه مبتكر في التنويه بهما وهما :

أ ـ الابدال . ب ـ الاتباع .

د ـ الجانب اللغوي في الأمالي

وللغة نصيب كبير في هذا الكتاب أو كما قال ابن حزم : « ولئن كان كتاب ابي العباس اكثر نحوا وخبرا ، فان كتاب ابي علي لاكثر لغة وشعرا »[١] . واللغة لها مواد تكاد لا يعالج بها شيء سواها ، الا انها تبرز بروزا واضحا حتى في مواد الاخبار والأدب . ويمكن ايجاز هذه الجوانب اللغوية على الصورة التالية :

١ ـ معالجة كلمة واحدة :

اول مادة يعالجها الكتاب هي كلمة نسأ والحديث في معانيها المختلفة[٢] . والقالي يستشهد لذلك بآيات من القرآن وبكلام العرب

(١) جذوة المقتبس : ١٥٦ ، معجم الادباء ٧ : ٢٩ .
(٢) الامالي ١ : ٤ .

وبشعرهم ويفصل ويسهب مثلما كان اصحاب المعجمات القدامى يفعلون .

ومثل هذا الحديث عن مادة واحدة كثير[1] . وتكراره يدل على ان الكاتب يهتم بالألفاظ من حيث هي . وربما كان ذلك سببا دفعه ، فيما بعد ، الى تأليف معجمه « البارع » .

٢ ــ مترادفات الاسم الواحد :

فانه يتخذ الزوجة ، مثلا ، ويورد الاسماء المختلفة لها مستشهدا لذلك[2] . فمن جملة الاسماء : الحليلة ، وعرس الرجل ، والفرية ، والطلّة ..

٣ ــ اسماء يربطها الموضوع الواحد :

فانه يتخذ موضوعا ما ، اسماء الالوان واوصافها مثلا[3] ، ويتحدث فيها ويفيها حقها .

٤ ــ ما يتعاقب فيه حرفان :

والقالي يورد فقرات كثيرة يتحدث فيها عن حرفين يتعاقبان ، كاللام والنون مثلا[4] ، او العين والحاء[5] ، او الهمزة والهاء[6] او السين والتاء[7] ،

---

(١) المصدر نفسه : مادة لحن ١ : ٤ ــ ٧ ، مادة حرد ١ : ٧ الخ..
(٢) المصدر نفسه ١ : ١٩ ــ ٢٠ .
(٣) المصدر نفسه ١ : ٣٤ ــ ٣٦ .
(٤) المصدر نفسه ٢ : ٤٠ .
(٥) المصدر نفسه ٢ : ٦٥ .
(٦) المصدر نفسه ٢ : ٦٦ .
(٧) المصدر نفسه .

او الحاء والجيم[1] ، او الهمزة والعين[2] .

والقالي في ذلك يستشهد بأقوال اللغويين ويورد الروايات بغير ان يعلل لمثل هذا التعاقب . فهو يقبله باعتباره موجودا ، دون ادنى اشارة الى اسباب مثل هذا التعاقب ، او دراسة للتطور الذي يمكن ان يكون قد طرأ على مثل هذه الالفاظ ، او للبيئات والقبائل المختلفة التي يمكن ان تكون قد صدرت عنها الكلمات . وسأقتبس مقطعا صغيرا للدلالة على مثل ذلك : « ويقال : ارقت الماء وهرقته . ويقال : ايّاك ان تفعل وهيّاك. ويقال : اتمأّل السّنام واتمهّل ، اذا انتصب . ويقال للرجل اذا كان حسن القامة : انه لمتمئّل ومتمهّل . ويقال : ارحت دابتي وهرحتها . ويقال : أنرت له وهنرت له »[3] .

٥ ـ ابدال حرف بحرف آخر :

وهذا قريب مما مضى في الفقرة « ٤ » ، غير انه ها هنا يستبدل حرف بحرف آخر ولا يستعمل ، من قبل فئة من الناس ، الاّ الحرف البديل دون الحرف الأصيل . مثال ذلك « ابدال الياء جيما في لغة

---

(١) المصدر نفسه ٢ : ٧٦ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) المصدر نفسه ٢ : ٦٦ .

فقيم »[1] . وفي هذا المقام يورد امثلة لابدال الياء جيما في لغة فقيم ، دون أدنى تعليق أيضا . « وقال ابو عمرو بن العلاء : قلت لرجل من بني حنظلة : ممن انت ؟ قال : فقيمجّ ، فقلت : من أيهم قال : مرّج ، أراد : فقيمي ومرّي » . وهناك امثلة اخرى لم يعين فيها فئة العرب التي تقوم بابدال حرف بآخر[2] .

٦ ـ الشرح والتفسير :

وهو على انواع ، فتارة يتناول الاحاديث[3] ، وتارة يتناول غريب الحكايات ، كحكاية الفتيات[4] ، وتارة يتناول القصائد والمقطوعات[5] ، ويتناول أيضا الآيات[6] ، والخطب[7] .

والواقع ان هذه الظاهرة عامة في الكتاب ، غير اننا قد نجدها ، مثلما هي الحال في الامثلة الماضية ، منفردة في فقرات خاصة ، طلبت من أجل ذاتها . أما في المواد الاخرى فان جزءا مهما من عمل المؤلف مرتبط بشرح الغريب من الالفاظ وتفسير الغامض والمستغلق من المعاني .

---

(١) المصدر نفسه ٢ : ٧٥ .
(٢) انظر مثلا : « وقال ابو علي :
قال ابو عبيدة : العرب تقلب حروف المضاعف الى الياء فيقولون : تظنيت ، وانما هو تظننت ، قال العجاج :
تقضّي البازي اذا البازي كسر
وانما هو تقضّض من الانقضاض .. » (الامالي ٢ : ١٦٧) .
(٣) المصدر نفسه ١ : ٧ .
(٤) المصدر نفسه ١ : ١٦ .
(٥) المصدر نفسه ١ : ٤٧ .
(٦) المصدر نفسه ٢ : ٢٩٥ ، ٣٠٨ ، ٣١٢ ، ٣ : ١١٥ .
(٧) المصدر نفسه ١ : ١٤٥ .

٧ ـ باب لغوي مستقل :

كباب احرف الابدال مثلا[1] . وقد افرد مؤلفون آخرون مثل هـذا الباب ، منهم سيبويه في الكتاب ، والزبيدي في الاستدراك على سيبويه . والقالي يورده بغير أدنى علاقة بما يسبقه من ابواب او بما يلحقه . وفي احرف الابدال يشعر القالي بسرور عظيم حين يؤلف ما بين هذه الاحرف ويجعلها في عبارة بسيطة هي : « طال يوم انجدته » ويقول بجـذل : « وهذا انا عملته »[2] .

٨ ـ ينقل المناقشات اللغوية :

من ذلك مثلا مطلب ما وقع في مجلس ابي عمرو بن العلاء بيـن شبيل بن عذرة ويونس والفرق بين الفاظ خمسة من الروبة[3] . والقالي ، مثلما يفعل غالبا ، يكتفي بسرد وقائع المناقشة دون ان يحبذ او يفند . ولم نجد مثل هذا الامر عند الزبيدي ، تلميذ القالي وصديقه ، في كتـابيه العظيمين : لحن العوام ، والاستدراك على سيبويه .

هـ ـ خصائص كتاب الامالي

١ ـ يكوّن الكتابُ ذخيرة لغوية هامة للمتأدبِ والدارسِ ، حتى

---

(١) المصدر نفسه ٢ : ١٨٢ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) المصدر نفسه ١ : ٤٨ ـ ٤٩ .

حين يتطرق الى الاخبار والموضوعات الادبية والخطب والتراجم والاشعار المختارة . ذلك أنه ، في أغلب الاحيان ، يلجأ الى تفسير ما يحس بصعوبته على القارىء او السامع ، وهذه ظاهرة طبيعية بالنسبة لمن هو في وضع القالي المدرس . والقالي يفسّر غريب النصوص ، سواء أكانت نصوصا دينية أو أدبية أو لغوية أو اخبارية أو غير ذلك .

٢ ـ واذا كانت رواية من هذه الروايات تشتمل على بيت او اكثر فقد يأتي القالي بباقي الابيات . وقد يورد أبياتا اخرى من قصيدة اخرى للشاعر نفسه ، وقد يأتي بأبيات مشابهة لشاعر آخر ، وهكذا الى ان يحس انه وفّى الموضوع حقه .

٣ ـ والقالي يحرص على الدقة ، لذلك فانه في كثير من الاحيان ، يعمد الى ذكر وزن اللفظة ، كي يمتنع الالتباس . وقد وجدناه يفعل ذلك كثيرا في معجمه « البارع » . من امثلة ذلك في الامالي : « والمِجْذام : مِفعال من جذم ، والجذم : القطع .. »[١] .

٤ ـ ويدل القالي على حفظ كثير وسعة في الرواية الشفوية غير انه احيانا يسجل الأخذ عن الكتب مثل « قال ابو بكر في كتاب المتناهي في اللغة : هذا اعرابي أدخل قردا الى سوق الحيرة ليبيعه فنظرت اليه

(١) المصدر نفسه ١ : ١٧ .

امرأة فقالت : مسخ .. »[1] .

٥ ــ اما ذكره للعلماء فكثير كثرة بالغة ، وهو يعتمد على اللغويين اعتمادا كبيرا في رواياته . والرواية الواحدة ، في العادة ،تشتمل على غير لغوي واحد .

* * *

نظرة اجمالية في اثر القالي

ومهما يكن من شيء فليس من اليسير أن يحدّد المرء أثر هذا العالم في حياة اللغة بالاندلس ولكني هنا أحاول أن أجمل اهم المظاهر التي خلفها في التيار اللغوي :

(١) نشر في الاندلس كتبا كثيرة حملها معه .

(٢) قدّم للاندلسيين أصولا معتمدة مقروءة على العلماء فأوجد بذلك أساس الدقة اللغوية .

(٣) وضع كتبا هامة مثل البارع والنوادر والمقصور والممدود كانت زادا للأجيال القادمة ، تدرسها أو تشرحها أو تكملها .

(٤) أثر بشخصيته الفذة في خلق طبقة من التلامذة لا يرون اماما عداه .

---

(١) المصدر نفسه ٢ : ٤٣ .

(٥) أعطى للاندلسيين معايير من التقدير العلمي والذاتي بتواضعه وسماحة خلقه فهو يروي ـ على سعة اطلاعه ـ كتاب « الدلائل » ، وهو يثني على ابن القوطية فيحله هذا الثناء مركزا هاما في نفوس الاندلسيين .

وخلاصة القول ان الاندلس عرفت في القالي « المعلم الأول » في اللغة ، وعلى منهاجه وأصوله بنت وجهتها اللغوية .

تذييل على الفصل السابق

نستطيع ان نقسم النشاط اللغوي في القرن الرابع ، اذا نحن نظرنا الى افواج الدارسين ، في ثلاث موجات كبيرة :

١ ـ موجة الدارسين الذين شهد نشاطهم الثلث الأول من القرن وكانوا تلامذة قاسم بن أصبغ والخشني وغيرهما من المعلمين في القرن السابق . ومنهم من امتد به العمر حتى لحق بالموجة الثانية ، وشارك في شيء من نشاطها ، الا ان الموجة الثانية طغت عليهم وجعلتهم في الظل .

٢ ـ موجة الاساتذة الاعلام وابرزهم القالي (ـ ٣٥٦ / ٩٦٧) وابن القوطية (ـ ٣٦٧ / ٩٧٨) والزبيدي (ـ ٣٧٩ / ٩٨٩) وهذه هي الموجة الكبرى التي تمخض عنها التأليف الواسع والتدريس الدقيق . ويمتد نشاطهم على وجه التقريب بين ٣٣٠ ـ ٣٨٠ / ٩٤٢ ـ ٩٩١ ، وفي أعقاب حركتهم جاء صاعد البغدادي فمدّ بعض الشيء في عمر هذه الموجة ، ولكن جهوده وجهود تلامذته اختلطت بنشاط الموجة التالية .

٣ ـ موجة الطلاب الذين درسوا على هؤلاء الاعلام ، وعلى غيرهم من

معلمي اللغة ، وملأوا بنشاطهم بقية القرن الرابع . ومنهم من تداخل نشاطه مع الموجة السابقة ، ومنهم من شهد أوائل الخامس ، وهؤلاء ، او كثير منهم ، يمثلون حلقة الوصل بين هذا العصر والعصر التالي . وهم يقعون بين قمتين كبيرتين وليس من الحق ان نغفل الدور الذي قاموا به في الدراسات اللغوية ، او على الاقل في عملية النقل من جيل الى جيل . وليس في الامكان تمييزهم بحسب اتجاهات خاصة او بحسب الاساتذة الذين درسوا عليهم بحيث نقول على وجه القطع : هذا تلميذ القالي وذاك تلميذ الزبيدي ، الا في حالات قليلة لان كثيرا منهم درسوا على غير واحد من أولئك الأساتذة . والواقع انني لا أستطيع ان احصر تلامذة هؤلاء العلماء لكثرة الآخذين عنهم سواء أكانوا من طلاب اللغة او طلاب العلوم الاخرى . وقد عدّ ابن خير تسعة عشر عالما رووا كتاب النوادر وحده عن ابي علي[1] . فاذا تذكرنا ان ابا علي قضى ستا وعشرين سنة في التدريس ، وتذكرنا كيف طال العمر بابن القوطية حتى روى عنه أجيال متلاحقون، وتذكرنا المدة التي قضاها الزبيدي في التدريس، أدركنا ان الاستقصاء مهما بلغ فلن يأتي الا على أسماء قليلة . وانما أخص بالذكر في هذا المجال أولئك الذين كان لهم نصيب في النشاط اللغوي اما تأليفا او تدريسا . وبعض هؤلاء الذين اذكرهم قد نوهت بما لهم من مؤلفات فيما تقدم . فهم اذن مجموعة تكمل جانبا من الصورة اللغوية في هذا

(١) فهرسة ابن خير : ٣٢٤ ــ ٣٢٥ .

القرن ، واغفالهم يبقي هذه الصورة ناقصة . وهذا ثبت بأسمائهم مرتبا بحسب سني وفياتهم حيث يمكن ذلك .

١ ــ محمد بن أبان بن سيد اللخمي القرطبي[١] (ــ ٣٥٤/٩٦٥) : ويبدو انه اخو أحمد بن أبان الآتي ذكره ، أما هذا فيكنى أبـا عبدالله وذاك يكنى أبا القاسم . وكلاهما تولى الشرطة وكان مقدما عند الحكم المستنصر ، وكلاهما كان عالما في العربية وتتلمذ على القالي . فمما أخذه محمد عن أستاذه كتاب الاجناس لغـلام الاصمعي (أبي نصر أحمد بن هاشم) والقلب والابدال ليعقوب بن السكيت والفرق لثابت بن أبـي ثابت وكتاب الخيل لأبي عبيدة والنقائض بين جرير والفرزدق واختيارات المفضل والاصمعي وأراجيز العجاج ورؤبة[٢] .

٢ ــ محمد بن الحسين الفهري[٣] (ــ ٣٥٥/٩٦٥) : روى عـن القالي ولازمه وتقدم في حفظ الآداب والعلـم باللغات ، وعنه أخذ ابن الافليلي ، ولكنه قضى اكثر نشاطه في الوراقة لاستاذه القالي ، واليـه والى زميله محمد بن معمر الجياني يعود الفضل في تهذيب ما لم يهذبه ابو علي من كتاب البارع ــ حسبما تقدمت الاشارة . وسماه الحميدي غلام القالي وقال : « لازم أبا علي اسماعيل بن القاسم حتى نسب اليه

---

(١) تاريخ ابن الفرضي : ٦٩ .
(٢) فهرسة ابن خير : ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٩٠ ، ٣٩٢ .
(٣) التكملة : ٣٧١ ، جذوة المقتبس : ٣٧٤ .

لطول ملازمته له وانتفاعه به ».[1] وواضح من تاريخ وفاته أنه توفي قبل أستاذه .

٣ ــ محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن القرشي القرطبي المعروف بالصنوع[2] (ــ ٣٧٣/٩٨٣) تلميذ القالي ومن ثقات أصحابه وكان الغالب عليه علم اللغة ولم يكن له في غيرها من العلوم حظ . وصف بالضبط وحسن النقل .

٤ ــ عبدالله بن اصبغ القرطبي المعروف بابن الصنّاع[3] (ــ ٣٧٣/٩٨٣) : سمع من قاسم بن أصبغ وروى عن القالي كثيرا من كتب اللغة وكان ضابطا حسن النقل معدودا في ثقات أصحاب القالي .

٥ ــ خلف بن سليمان بن عمرون (غمرون في فهرسة ابن خير) **البزاز**[4] (ــ ٣٧٨/٩٨٨) : صنهاجي الاصل من استجة ، وسكن قرطبة كان نحويا لغويا كتب عن القالي وغيره . ومن الكتب التي درسها على القالي كتاب الزاهر لابن الانباري ونوادر ابن الاعرابي ونوادر القالي والامثال للاصمعي وكتب أبي زيد الانصاري[5]

---

(١) جذوة المقتبس : ٣٧٤ .
(٢) تاريخ ابن الفرضي ٢ : ٨٧ .
(٣) المصدر نفسه ١ : ٢٧٧ .
(٤) المصدر نفسه ١ : ١٦٣ .
(٥) فهرسة ابن خير : ٣٤١ ، ٣٧٣ ، ٣٢٥ ، ٣٤٠ ، ٣٧١ .

٦ ـ **محمد بن سعيد بن ابي عتبة القشيري النحوي القرطبي**[١] (ـ ٩٨٩/٣٧٩) : كان عالما بصنوف من العلوم كثير الكتب صحيح الضبط حسن النقل ، وقد حدث عن القالي والرباحي ، أستاذيه ، بحكايات وأخبار ونوادر .

٧ ـ **احمد بن أبان بن سيد**[٢] (ـ ٩٩٢/٣٨٢) : قد مر ذكره وما كان عليه من معرفة ،وقد اتخذته ـ فيما تقدم ـ مثالا على الثقافة اللغوية المتخصصة ، وسردت ما درسه على القالي من كتب . وهو يعد من أكثر تلامذة القالي تأثيرا في الجيل التالي من دارسي اللغة ، ومن اشهر من أخذوا عنه ابن الافليلي .

٨ ـ **محمد بن عاصم النحوي القرطبي المعروف بالعاصي**[٣] (ـ ٩٩٢/٣٨٢) : نحوي مشهور امام في العربية ، أثنى عليه ابن حزم وقال انه لا يقصر عن أكابر أصحاب محمد بن يزيد المبرد ، وكان من كبار الادباء وعلمائهم . روى عن القالي وعن الرباحي ، وهو أستاذ ابن الافليلي .

٩ ـ **عبيد الله بن فرج الطوطالقي القرطبي**[٤] (ـ ٩٩٦/٣٨٦) :

---

(١) الصلة : ٤٥٢ .
(٢) الصلة : ١٤ ، وجذوة المقتبس : ١١٠ ، ٣٨١ وانباه الرواة ١ : ٣٠ .
(٣) الصلة : ٤٥٣ ، وجذوة المقتبس : ٧٤ .
(٤) الصلة : ٢٨٩ ، وانباه الرواة ٢ : ١٥٣ .

روى عن القالي والرباحي وابن القوطية ونظرائهم وتحقق بالأدب واللغة. ومن مروياته عن القالي كتاب خلق الانسان لثابت والاشعار الستة الجاهلية ، وشعر الحطيئة وغيرها[1] . وقد ذكرت له فيما تقدم كتاب « اختلاف لغات العرب » .

١٠ ـ **عبدالله بن شعيب بن ابي شعيب الاشوني**[2] (ـ ٣٨٩/ ٩٩٩) : سمع من القالي وابن القوطية ، وكان شيخا أديبا له بصر باللغة والعربية .

١١ ـ **حسين بن وليد بن نصر القرطبي**[3] (ـ ٣٩٠/١٠٠٠) : كان نحويا عالما بالعربية متقدما فيها وهو ممن درس على ابن القوطية بقرطبة وله رحلة الى المشرق ، وبعد عودته أدب ابناء المنصور بن ابي عامر . وكان ابن الافليلي من تلامذته الاخذين عنه .

١٢ ـ **محمد بن عطاء الله النحوي القرطبي**[4] (ـ ٣٩٤/١٠٠٤) : غلب عليه النحو ، وهو أحد تلامذة الزبيدي المقربين اليه حتى انه استأدبه لبنيه .

---

(١) فهرسة ابن خير : ٣٦٤ ، ٣٨٩ ، ٣٩٢ .
(٢) تاريخ ابن الفرضي ١ : ٢٨٧ .
(٣) المصدر نفسه ١ : ١٣٥ .
(٤) الصلة : ٤٥٥ .

١٣ ـ محمد بن خطاب الازدي القرطبي النحوي[١] (ـ قبل ٤٠٠/ ١٠١٠) : روى عن القالي وابن القوطية والرباحي وعني بالعربية وتقدم في صناعتها ، وكان يدرس عليه أولاد الاكابر وخاصة بني حدير .

١٤ ـ عبد الملك بن طريف القرطبي مولى العبيديين[٢] (ـ نحو ٤٠٠/١٠١٠) : أخذ عن ابن القوطية وألف في الافعـال كتابا لقي قبولا حسنا بين الدارسين ، وقال الحميدي نقلا عن ابن حزم انه زاد في كتاب الافعال لابن القوطية زيادات استفيدت منه وأخذت عنه .

١٥ ـ أحمد بن محمد بن ربيع الأصبحي القرطبي[٣] (ـ ٣٩٩/ ١٠٠٩) : روى عن أبي علي البغدادي ، وعني باللغة والآداب والأخبار .

١٦ ـ محمد بن أحمد بن عبيد الله الأمـوي القرطبي المعروف بابن العطار[٤] (ـ ٣٩٩/١٠٠٩) : أحد تلامذة ابن القوطية . له رحلة حج فيها ، كان يجمع الى معرفته باللغة تبحرا في الفقه والفرائض والحساب ومعرفة بعقد الشروط لا يجاريه في ذلك أحد من أهل عصره وجمع فيها كتابا حسنا درسه للناس بالمسجد الجامع بالزاهرة في أيام المنصور .

---

(١) جذوة المقتبس : ٥٠ ، والتكملة : ٣٧٧ .
(٢) الصلة : ٣٤٠ ، وانباه الرواة ٢ : ٢٠٨ ، وانظر فهرسة ابن خير : ٣٥٦ وجذوة المقتبس : ٣٨١ .
(٣) الصلة : ٢١ .
(٤) المصدر نفسه : ٤٥٩ .

١٧ ــ محمد بن أحمد العقيلي القرطبي[١] (ــ ٤٠٠/١٠١٠) : روى عن القالي وكان مقدما في علم العربية وقد اشتغل بتدريسها .

١٨ ــ سعيد ابن عثمان البربري اللغوي القرطبي المعروف بابن القزاز[٢] (ــ ٤٠٠/١٠١٠) : تتلمذ على اساتذة كثيرين منهم ابو علي القالي . كان حافظا للغة والعربية ضابطا لكتبه متقنا في نقله ، وهو الذي ذكرت من قبل رده على صاعد في كتاب الفصوص ، وذكر أنه اكثر التحامل عليه فيه[٣] . ويعد ابن القزاز من أجل أصحاب القالي ، وهو أحد ثلاثة صحت اللغة بالاندلس عن طريقهم بعد ابي علي ، أما الاثنان الاخران فهما الزبيدي وابن أبي الحباب .

١٩ ــ أحمد بن عبد العزيز بن ابي الحباب النحوي القرطبي[٤] (ــ ٤٠٠/١٠١٠) : روى عن القالي ولزمه وكان أثيرا لديه وكان من جلة شيوخ الادب عالما باللغة والاخبار حافظا ضابطا لها ، صحيح الرواية ، شديد الحفظ للغة والتفنن في علومها وكانت فيه غفلة شديدة . وهو مؤدب المظفر بن المنصور . روى عن القالي كتاب اصلاح المنطق لابن السكيت وأدب الكتاب وفصيح ثعلب والامثال لأبي عبيد وكتاب فعلت وأفعلت للزجاج والمثلث لقطرب وخلق الانسان لثابت والملاحن لابن

---

(١) المصدر نفسه : ٤٦٠ .
(٢) المصدر نفسه : ٢٠٤ ، وانباه الرواة ٢ : ٤٤ ــ ٤٧ .
(٣) انباه الرواة ٢ : ٤٧ .
(٤) الصلة : ٢٥ ، وجذوة المقتبس : ١١١ .

دريد ونوادر ابن الاعرابي[1] . وغير ذلك كثير .

٢٠ ـ ابن سيده والد اللغوي المشهور واسمه اسماعيل[2] : : (بعد ٤٠٠/١٠١٠) : لقي الزبيدي وأخذ عنه مختصر العين وكان من النحاة الاذكياء .

٢١ ـ سعيد بن محمد المعافري القرطبي المعروف بابن الحداد[3] (بعد ٤٠٠/١٠١٠) : أخذ عن ابن القوطية . وقد ذكرته فيما تقدم حين تحدثت عن بسطه لكتاب الأفعال من تأليف استاذه .

٢٢ ـ هارون بن موسى بن صالح بن جندل القيسي القرطبي[4] (ـ ٤٠١/١٠١١) : نحوي روى عن القالي وكان من الطلبة الذين تلقوا عنه كتاب النوادر بجامع الزهراء . وقد حكى كيف ذهب مرة الى الدرس في فصل الربيع فأخذته سحابة وابتلت ثيابه ودخل جامع الزهراء على أبي علي **وحوله اعلام أهل قرطبة** فأدناه القالي منه وقال له : مهلا أبا نصر لا تأسف على ما عرض لك ، ثم حكى القالي حكاية عن نفسه يسليه بها ويصور مبلغ ما كان يقاسيه أيام الطلب . قال ابن جندل : « وسلاني بما حكاه ، وهان عندي ما عرض لي من تلك الثياب

(١) فهرسة ابن خير : ٣٣٠ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦ ، ٣٤٠ ، ٣٥٢ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٦ ، ٣٧٢ .
(٢) الصلة : ١٠٥ .
(٣) المصدر نفسه : ٢٠٩ .
(٤) المصدر نفسه : ٦٢٠ ـ ٦٢١ .

واستكثرت من الاختلاف اليه ولم افارقه حتى مات رحمه الله » . وروى أيضا عن الرباحي كتـــاب النقائض لابن ولاد وكتابـــي صنعة الكتاب والاشتقاق لابن النحاس[1] وكتاب الاخبار للمازني وكتاب أبي الحسن الاخفش في النحو[2] ، وألف كتبا في تفسير عيون مسائل سيبويه .

٢٣ ـ عبدالله بن حسين بن ابراهيم بن عاصم القرطبـــي المعروف بابن الفربالي[3] (ــ ٤٠٣/١٠١٣) : روى عن القالي كتاب النوادر ، وهو من ابنـــاء البيوتات ، ولي الشرطة ، وله تأليف في الأنواء ، واختصار للبيان والتبيين .

٢٤ ـ حبيب بن احمد المعروف بالشطجيـــري[4] (+ ٤٠٤/١٠١٤) : روى عن القالي كتاب النوادر[5] وعن ابن القوطية ، وروى كتاب الدلائل عن ثابت بن قاسم ، ودون شعر الغزال الجياني علـــى حروف المعجم ، وقد كان في الثمانين لما خرج عن قرطبة عام ٤٠٤/١٠١٤ . وقال الحميدي توفي قريبا من الثلاثين وأربعمائة (١٠٣٩ م) وهو مستبعد كما ترى من تحديد سنه .

---

(١) فهرسة ابن خير : ٣٨٦ .
(٢) المصدر نفسه : ٣١٣ ، ٣١٤ .
(٣) التكملة : ٧٩١ .
(٤) الصلة : ١٥٢ وجذوة المقتبس : ١٨٦ .
(٥) فهرسة ابن خير : ٣٢٥ .

٢٥ ـ سليمان بن خلف القرطبي المعروف بابن نفيل[١] (٤٠٨/ ١٠١٧) : سمع على أبي علي كتاب النوادر من تأليفه وغير ذلك وأجاز له . وروى عنه أيضا مؤلفات أبي زيد الانصاري[٢] . ونوادر ابن الاعرابي.

٢٦ ـ عبدالله بن الربيع بن عبدالله التميمي (ـ ٤١٥/١٠٢٤)
ساكن قرطبة سمع القالي وغيره وروى عنه ابن حزم .

٢٧ ـ حسان بن مالك بن أبي عبيدة[٣] (ـ ٤١٦/١٠٢٥) : روى عن الزبيدي والقزاز وكان من جلة الأدباء العلماء معدودا من أئمة اللغة وهو الذي كتب للمنصور كتابا في الأسمار سماه « ربيعة وعقيل » . قرأ على الزبيدي كتاب فعلت وأفعلت للزجاج وكتاب أبنية سيبويه للزبيدي نفسه .

٢٨ ـ معاذ بن عبدالله بن طاهر البلدي[٤] (ـ ٤١٨/١٠٢٧) :
تلميذ ابن القوطية والرباحي وكان بارعا في اللغة العربية والأدب .

٢٩ ـ محمد بن خزرج بن سلمة اللخمي الاشبيلي[٥] (ـ ٤١٩/ ١٠٢٨) : صحب أبا بكر الزبيدي واختص به ، وكان عمره يوم توفي احدى وتسعين سنة وأشهرا .

---

(١) الصلة : ١٩٤ ـ ١٩٥ .
(٢) فهرسة ابن خير : ٣٧١ ـ ٣٧٣ .
(٣) الصلة : ١٥٣ وجذوة المقتبس : ١٨٣ .
(٤) المصدر نفسه : ٥٩١ .
(٥) المصدر نفسه : ٤٨٤ .

٣٠ ـ عبادة بن ماء السماء الشاعر[١] (ـ ١٠٢٨/٤١٩ أو ٤٢١/ ١٠٣٠) : غلب عليه الأدب والشعر ، وألف كتابا في أخبار شعراء الاندلس ، وهو من تلامذة الزبيدي . روى عن الزبيدي كتابه لحن العوام ، والواضح في النحو ، ومختصر العين ، والمستدرك من الزيادة في كتاب البارع ، ورسالة التقريظ . ومن كتب القالي روى كتاب البارع في اللغة وكتاب الابل ونتاجها ، وحلي الانسان والخيل وشياتها ، ومقاتل الفرسان ، وتفسير القصائد والمعلقات . وقرأ أيضا المفضليات والاصمعيات ومقصورة ابن دريد والاضداد لثعلب[٢] .

٣١ ـ يوسف بن ورمز بن خيران السكوني البطليوسي[٣] (ـ ١٠٣٣/٤٢٤) : تتلمذ على الزبيدي وابن ابي الحباب وابن القزاز في قرطبة وكان عالما بالعربية ، ولما توفي كان قد قارب الثمانين .

وهناك تلامذة لم تذكر المصادر سنوات وفاتهم ومنهم :

٣٢ ـ محمد بن ابراهيم بن معاوية القرشي[٤] : صحب ابا علي القالي وأخذ عنه وأكثر الملازمة له ، وورق له تصانيفه .

---

(١) جذوة المقتبس : ٢٧٤ ، الذخيرة ٢/١ : ١ ـ ١٢ ، الصلة : ٤٢٦، فوات الوفيات ١ : ٤٢٥ .

(٢) انظر صفحات متفرقة من فهرسة ابن خير .

(٣) الصلة : ٦٣٩ .

(٤) انباه الرواة ٣ : ٦٣ .

٣٣ ــ عبدالله بن حمـود الزبيـدي[١]: صحب القالي وكان شديد الملازمة له ، ثم هاجر الى المشرق وصحب ابا علي الفارسي . ومن خبره مع ابي علي القالي أن أبا علي غلـّس يوما الى الصلاة في المسجد فقام اليه عبد الله بن حمود هذا من مذود ــ وكان لدابة ابي علي خارج داره ــ كان قد بـات فيه ليدلـج اليه قبـل الطلبة ، طلبا للسبـق والأخـذ من علمه ، فارتاع ابو علي وقال له : ويحك من تكون ؟ قال انا عبد الله الاندلسي ، فقال : الى كم تتبعني ، والله انْ على وجه الارض انحى منك . ولم يرجع الزبيدي هذا الى وطنـه ومات مغتربا . ويقال انـه توفي ببغداد سنة ٣٧٢/٩٨٢ .

٣٤ ــ يوسف بن فضالة الأديب ابو الحجاج[٢] : من أشهر أصحاب أبي علي والآخذين عنـه ، ودرس عليـه كتاب اصـلاح المنطق لابن السكيت[٣] وفعلت وأفعلت للقالي[٤] وأفعل من كـذا له[٥] وكتب الأخبـار التي جلبها[٦] .

***

(١) التكملة : ٧٨٣ ، انباه الرواة ٢ : ١١٨ ، الذيل والتكملة ٤ : ٢٢٠ ، بغية الوعاة : ٢٨٢ .
(٢) الصلة : ٦٣٩ .
(٣) فهرسة ابن خير : ٣٣٠ .
(٤) المصدر نفسه : ٣٥٢ .
(٥) المصدر نفسه : ٣٥٣ .
(٦) المصدر نفسه : ٣٩٨ ــ ٣٩٩ .

ويلاحظ ان اكثر هؤلاء الذين ذكرتهم ينتمـون الى قرطبة فهي مركز النشاط العلمي في ذلك العصر . وقـد أغفلت ذكر فئتين في هذه القائمة :

١ — فئة من اللغويين الذيـن امتد بهم طلق العمر ، وكانت لهم جهود واضحة تجاوزت مطلـع القرن التالـي ، مثل ابن التياني وابن الافليلي وغيرهما من تلامذة هؤلاء العلماء الاعلام .

٢ — فئة من اللغويين عاصرت هؤلاء الذين ذكرتهم ولكن أثرهم كان ضعيفا في تخريج الطلبة او في الاتصال بهذه الحركة العلمية نفسها التي تزعمها القالي والزبيدي وابن القوطية .

الكتاب الثالث

الحركة اللغوية في الأندلس
في القرن الخامس الهجري

الفصل الرابع

العوامل المؤثرة في توجيه الحركة اللغوية في القرن الخامس

١ ـ صورة موجزة للأحوال السياسية في هذا العصر

قد أشرت في فصل سابق الى ما بلغته الدولة الاموية العامرية من مجد سياسي وعمران داخلي ، ولكن هذا كله بدأ بالانتقاض بعد وفاة المنصور اذ تولى ابنه عبد الملك المظفّر الحجابة (٣٩٢ ـ ٣٩٦/ ١٠٠٢ ـ ١٠٠٦) وسارت الأحوال بقوة الاستمرار سيرا مقبولا . غير ان ولد المظفّر المسمى عبد الرحمن شنجول لم يقنع بأن تكون كل

السلطة في يده بينما الخليفة هشام المؤيد ابن الحكم المستنصر لا حول له ولا قوة ، بل فرض على المؤيد ان يكتب عهدا بالتنازل له عن الخلافة[1] . ولم يكن الأمويون ليرضوا بهذا الذي حدث فثار محمد بن هشام بن عبد الجبار بقرطبة ، وتلقب بالمهدي ، واشاع ان هشاما المؤيد قد مات واتخذ له جندا من العامة وأطراف الناس ، وقربهم وآثرهم على العبيد العامرية وعلى الطوائف البربرية[2] . عندئذ انشق الامويون على انفسهم وثار فريق آخر على المهدي بقيادة سليمان الذي تلقب بالمستعين . وكان اكثر الذين التفوا حول سليمان هم البربر متحالفين مع شانجة بن غرسية الذي أمدهم بجيش عظيم من النصارى فحاصر الجيشان المتحالفان قرطبة ، وكانت مناوشات ومعارك انتصر فيها سليمان المستعين بعد ان خرّب هو وجيوشه قرطبة ، وفر ابن عبد الجبار ثم عاد بجيش جديد يحاول استعادة المدينة . ذلك هو ما يسمى في التاريخ باسم الفتنة البربرية (٣٩٩ ــ ٤٠٢/١٠٠٩ ــ ١٠١٢) . وظل الأمر في قرطبة لسليمان حتى أخذها منه بنو حمود سنة ٤٠٦ . كل هذا كان يحدث حول قرطبة بينما كان فتيان العامريين يهربون منها ويحتل كل منهم بلدا ويعلن استقلاله فيها . فاستولى مجاهد العامري على دانية والجزائر ، واستولى مبارك ومظفّر العامريان على مدينتي بلنسية

(١) راجع هذا العهد في البيان المغرب ١ : ٤٣ ــ ٤٦ .
(٢) المصدر نفسه ١ : ٥١ .

وشاطبة ، واستولى خيران الصقلبي العامري على مدينة المرية ، وكوّن زهير الفتى العامري دولة امتدت الى شاطبة وبيّاسة وما وراءها من أعمال طليطلة[1] .

وظهر جليا بعد اخفاق المحاولات المتكررة لارجاع الخلافة الأموية ان الفتنة البربرية قد قضت على وحدة الاندلس كما قضت على عمران قرطبة[2] . وانتزى في كل منطقة رجل قوي اعلن استقلاله ، وهذا هو ما يسمى في تاريخ الاندلس بعصر ملوك الطوائف . ففي قرطبة بنو

---

(١) راجع اعمال الاعلام ١١٢ ــ ٢٤١ .

(٢) اتصلت العمارة بقرطبة في ايام بني أمية ثمانية فراسخ طولا ، وفي عرضها فرسخين (٢٤ ميلا × ٦) كل ذلك ديار وقصور وبساتين ومساجد وقيساريات وخانات وأسواق وحمامات بطول ضفة الوادي المسمى بالوادي الكبير ... وكان لقرطبة واحد وعشرون ربضا ... وبلغ عدد دورها في أيام المنصور ١١٣٠٧٧ دارا ، ومن المساجد ١٣٨٧٠ مسجدا ومن الحمامات ٣٩١١ حماما ، ومن الفنادق والخانات ١٦٠٠ لسكنى التجار والمسافرين والعزاب والغرباء وغيرهم ، ومن الحوانيت ٨٠٤٥٢ حانوتا . فخرب اكثر ذلك العمران في الفتنة . (راجع ذكر بلاد الاندلس الورقة ٢٤ ــ ٢٨ ، مخطوطة الرباط رقم ٨٥ ج لمؤلف مجهول) . ويقول البكري : « عقب الفتنة التي كانت على رأس اربعمائة من الهجرة واستمرت الى وقتنا هذا وهو سنة ستين واربعمائة من الهجرة عفت آثار هذه القرى وغيرت رسوم ذلك العمران ، فصار أكثرها خلاء يندب ساكنيه ، ويبابا يغص مبصريه وكذلك حكم الله في كل جديد ان يبليه ، وفي كل آهل ان يخليه » (المسالك والممالك ، مخطوطة الرباط ٤٨٨ ق . الورقة ٢٢٠) . وانظر حديث ابن حيان في الذخيرة عما أصاب قرطبة في هذه الفتنة ، فقد كان شاهد عيان لما يجري يومئذ (٢/١ : ١١١ ــ ١١٣) .

جهور[1] ، وفي اشبيلية بنو عبّاد[2] ، وفي بطليوس بنو الافطس[3] ، وفي طليطلة بنو ذي النون[4] ، وفي سرقسطة بنو هود[5] ، وفي غرناطة بنو زيري

---

(١) مؤسس هذه الدولة هو الوزير ابو الحزم بن جهور . وقد تولى الأمر بعد فرار هشام بن محمد ، المتلقب بالمعتد بالله ، سنة ١٠٣١/٤٢٢ . وكانت حكومته تبسط سلطانها على جيان وابذّة وبيّاسة والمدور وارجوانة واندوجر . وعرفت حكومة ابن جهور في صحف التاريخ الاسلامي « بحكومة الجماعة » . وتوفي ابن جهور ١٠٤٤/٤٣٥ ، وسقطت المدينة بأيدي بني عباد عام ٤٦٢/١٠٧٠ . (دول الطوائف ، عنان : ٢٠ — ٣٠) .

(٢) مؤسس هذه الدولة قاضي اشبيلية ابو القاسم بن عباد عام ١٠٢٣/٤١٤ . ثم تولى الأمر من بعده ابنه عباد بن محمد المعتضد بالله ، سنة ١٠٤٢/٤٣٣ ، فاستولى على لبلة وامارة ولبة وجزيرة شلطيش وامارة شنتمرية وباجة واركش ومورور ورندة وقرمونة . ومات المعتضد سنة ١٠٦٩/٤٦١ ، فتولى الامر من بعده ابنه المعتمد الذي استولى على قرطبة سنة ١٠٧١/٤٦٣ . وفي عهده سقطت الدولة العبادية على يدي يوسف بن تاشفين سنة ١٠٩١/٤٨٤ . (دول الطوائف : ٣١ — ٧٩) .

(٣) حكم بنو الافطس بطليوس نيفا وسبعين عاما ، وكان اول الملوك عبدالله بن محمد الملقب بالمنصور الذي استولى على الامر سنة ١٠٢٢/٤١٣ ، وآخرهم عمر بن محمد المتوكل ، وفي عهده سقطت بطليوس بأيدي المرابطين سنة ١٠٩٤/٤٨٨ . (دول الطوائف : ٨٠ — ٩٢) .

(٤) مؤسس هذه الدولة اسماعيل بن ذي النون الظافر (٤٢٧ — ١٠٣٦/٤٣٥ — ١٠٤٣) ، وقد سقطت الدولة على يدي الفونسو السادس سنة ١٠٧٥/٤٧٨ ، وذلك في عهد يحيى بن اسماعيل ابن يحيى القادر . (دول الطوائف : ٩٣ — ١١٦) .

(٥) مؤسس هذه الدولة المنذر بن يحيى التجيبي (٤٠٨ — ٤١٤ / ١٠١٧ — ١٠٢٣) . وقد احتلها المرابطون سنة ١١١٠/٥٠٣ في عهد عبدالملك بن احمد عماد الدولة . (دول الطوائف : ٢٤٥ — ٢٨٥) .

الصنهاجيون[1] ، وفي اركش بنو خزرون[2] ، وفي البونت بنو قاسم[3] ، وفي شلطيش وولبة البكريون[4] . ويطول الامر لو أردت تعداد كل تلك الدول ، وانما ذكرت هنا أشهرها . وتتمايز هذه الدول فيما بينها قوة وضعفا ، وضيقا واتساعا ، ولكنها تشترك معا في مظاهر محددة . فكل دولة تنفق على جيش تعده لمواجهة الخطر من الدولة المجاورة ، وبذلك تثقل الرعية بما تفرضه من ضرائب ، وكل دولة تدفع الضريبة السنوية لألفونس السادس (الاذفونش) لأنه اقوى من كل دولة منها على حدة وهي من جراء التنافس فيما بينها لا تفكر في مواجهته مجتمعة . ولذلك نستطيع ان نتبين في هذا العصر ثلاث مراحل ، المرحلة الاولى : مرحلة المحاولات المتكررة لانقاذ الاندلس باعادة الخلافة الاموية . وقد انتهت هذه المرحلة حوالي ١٠٣٠/٤٢١ . المرحلة الثانية : مرحلة البناء الداخلي في كل دولة على حدة ، وبخاصة الدول الكبيرة مثل دولة بني عبّاد وبني

---

(١) مؤسس هذه الدولة زاوي بن زيري (٤٠٣ ــ ١٠١٣/٤١٠ ــ ١٠١٩) . واستولى عليها المرابطون سنة ١٠٩٠/٤٨٣ في عهد عبدالله بن بلقين . (دول الطوائف : ١١٨ ــ ١٤٤) .

(٢) مؤسس هذه الدولة محمد بن خزرون عماد الدولة (٤٠٢ ــ ١٠١١/٤٢٠ ــ ١٠٢٩) ، وقد استولى بنو عباد عليها سنة ١٠٦٨/٤٦١ في عهد محمد بن محمد بن خزرون القائم . (دول الطوائف : ١٥٠ ــ ١٥٣) .

(٣) مؤسس هذه الدولة عبدالله بن قاسم (٤٠٠ ــ ١٠٠٩/٤٣١ ــ ١٠٣٩) . وقد استولى عليها المرابطون سنة ١١٠٢/٤٩٥ في عهد عبدالله بن محمد جناح الدولة . (دول الطوائف : ٢٤٩ ــ ٢٥١) .

(٤) مؤسس هذه الدولة عبد العزيز البكري عز الدولة (٤١٧ ــ ١٠٢٦/٤٣٣ ــ ١٠٤١) وقد استولى عليها المعتضد بن عباد . (دول الطوائف : ٤٠ ــ ٤١) .

الافطس وبني هود وبني جهور الخ. وقد انتهت هــذه المرحلة عندما سقطت طليطلة مركز بني ذي النون في يد الاذفونش عام ١٠٨٥/٤٧٨ . المرحلة الثالثة : مرحلة الخطر وانتقاض الامر في الاندلس . فان سقوط طليطلة كان يعني ان الاذفونش لن تقف به اطماعه عند هذا الحد ، لأن طليطلة هي مفتاح الاندلس من الشمــال . وجرَّ سقوطها الى استدعاء الصحراويين (او المرابطين او الملثمين) بقيادة يوسف بن تاشفين فكانت معركة الزلاقة (١٠٨٦/٤٧٩) كابحة لاطماع الشماليين . ولكن ما لبث يوسف نفسه ان طمع في الاستيلاء علــى الاندلس لرغبة الرعية فيه ، وبخاصة الفقهاء ، ولما رآه مــن شقاق وتنابذ بــين أمراء الطوائف ، فاستولى على تلك الدول واحدة واحدة ، ما عدا ناحيتين : دولة بني هود ، فقد ابقاها حدا فاصلا بينه وبــين قوى الشمال ، وبلنسية التي استولى عليهــا السيد الكنبيطور (١٠٩٢/٤٨٥) وامتدت دولته فيها حتى سنة ١٠٠٢/٤٩٥ .[1]

تلك صورة موجزة اشد الايجــاز لأنه ليس من همي ان ادرس الناحية السياسية الا بمقدار ما تلقي ضوءا على طبيعة الحياة اللغوية . واذا عدت الى تصور العلاقة بين هذه الأوضاع والنشاط العلمي عامة خرجت بالنتائج الآتية :

---

(١) راجع : أعمال الأعلام ، تحقيق بروفنسال : ٢٤١ ــ ٢٤٨ ،وراجع ايضا الاستقصا ٢ : ٣٠ ــ ٦٠ .

١ — قضت الفتنة البربرية على كثير من العلماء بالموت او بالهجرة من الاندلس الى خارجها ، او بمغـــادرة قرطبة الى مدن اندلسية اكثر اطمئنانا[1] .

٢ — اصبحت حياة العالم او الاديب في هذا العصر ، من ناحيتها المعاشية ، قائمة في الاكثر علـــى التجوال المستمر والاحتماء ببلاطات الأمراء .

٣ — لم تمتد فترة الاستقرار في هذا العصر طويلا بحيث تسمح للفرد أن يشعر بالأمن وان يصدر انتاجه في ظله . ولذلك نستطيع ان ننصف العلماء الاندلسيين انصافا حقيقيا اذا تصورنا أنهم أقبلوا علـــى هذا القدر مـــن التأليف في وقت تعمه الفوضى ويشتد فيه اليأس من العمل الايجابي .

٤ — كانت الصبغة الأدبية أغلب على هذا العصر مـــن سواها ، لحاجة كل أمير الى بطانة من الشعراء تشيد بمناقبه وتنتحل له مناقب أخرى ليست فيه . ومهما يقل عن التنافس بين أمراء الطوائف في تشجيع العلوم فانه ليس من الخطأ القول بان مـــا أثاره تشجيع الحكم وحده للكتب التي ألفت في مختلف الموضوعات يفوق ما أثاره أمراء الطوائف

---

(١) راجع أثر الفتنة البربرية في الحياة الأدبية في كتاب تاريخ الادب الاندلسي (عصر سيادة قرطبة) : ١٧٣ — ١٨٩ .

الافطس وبني هود وبني جهور الخ. وقد انتهت هـذه المرحلة عندما سقطت طليطلة مركز بني ذي النون في يد الاذفونش عام ١٠٨٥/٤٧٨ . المرحلة الثالثة : مرحلة الخطر وانتقاض الامر في الاندلس . فان سقوط طليطلة كان يعني ان الاذفونش لن تقف به اطماعه عند هذا الحد ، لأن طليطلة هي مفتاح الاندلس من الشمـال . وجرّ سقوطها الى استدعاء الصحراويين (او المرابطين او الملثمين) بقيادة يوسف بن تاشفين فكانت معركة الزلاقة (١٠٨٦/٤٧٩) كابحة لاطماع الشماليين . ولكن ما لبث يوسف نفسه ان طمع في الاستيلاء علـى الاندلس لرغبة الرعية فيه ، وبخاصة الفقهاء ، ولما رآه مـن شقاق وتنابذ بـين أمراء الطوائف ، فاستولى على تلك الدول واحدة واحدة ، ما عدا ناحيتين : دولة بني هود ، فقد ابقاها حدا فاصلا بينه وبـين قوى الشمال ، وبلنسية التي استولى عليهـا السيد الكنبيطور (١٠٩٢/٤٨٥) وامتدت دولته فيها حتى سنة ١٠٠٢/٤٩٥ .[١]

تلك صورة موجزة اشد الايجـاز لأنه ليس من همي ان ادرس الناحية السياسية الا بمقدار ما تلقي ضوءا على طبيعة الحياة اللغوية . واذا عدت الى تصور العلاقة بين هذه الأوضاع والنشاط العلمي عامة خرجت بالنتائج الآتية :

---

(١) راجع : أعمال الأعلام ، تحقيق بروفنسال : ٢٤١ ـ ٢٤٨ ، وراجع أيضا الاستقصا ٢ : ٣٠ ـ ٦٠ .

١ — قضت الفتنة البربرية على كثير من العلماء بالموت او بالهجرة من الاندلس الى خارجها ، او بمغــادرة قرطبة الى مدن اندلسية اكثر اطمئنانا[١] .

٢ — اصبحت حياة العالم او الاديب في هذا العصر ، من ناحيتها المعاشية ، قائمة في الاكثر علــى التجوال المستمر والاحتماء ببلاطات الأمراء .

٣ — لم تمتد فترة الاستقرار في هذا العصر طويلا بحيث تسمح للفرد أن يشعر بالأمن وان يصدر انتاجه في ظله . ولذلك نستطيع ان ننصف العلماء الاندلسيين انصافا حقيقيا اذا تصورنا أنهم أقبلوا علــى هذا القدر مــن التأليف في وقت تعمه الفوضى ويشتد فيه اليأس من العمل الايجابي .

٤ — كانت الصبغة الأدبية أغلب على هذا العصر مــن سواها ، لحاجة كل أمير الى بطانة من الشعراء تشيد بمناقبه وتنتحل له مناقب أخرى ليست فيه . ومهما يقل عن التنافس بين أمراء الطوائف في تشجيع العلوم فانه ليس من الخطأ القول بان مــا أثاره تشجيع الحكم وحده للكتب التي ألفت في مختلف الموضوعات يفوق ما أثاره أمراء الطوائف

---

(١) راجع أثر الفتنة البربرية في الحياة الأدبية في كتاب تاريخ الادب الاندلسي (عصر سيادة قرطبة) : ١٧٣ — ١٨٩ .

مجتمعين[1] .

٢ ـ العوامل الجديدة التي اثرت في الحركة اللغوية

على اي حـال كـان لهذا العصر خصائصه الفارقة مـن الناحية السياسية التي بعثت بدورها فروقا في الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية. ومن ثم وجدت عوامل محلية أثرت في توجيـه الحركة اللغوية في هذا العصر وجهتها التي سارت فيها ، بالاضافة الى ما كان هنالك من عوامل تقليدية من رحلة الى المشرق ، وهجرة للمشارقة والكتب المشرقية الى الاندلس ، وحلقات للتدريس والمناظرة ، وتشجيع على التأليف .

ا ـ الخصب اللغوي الذي اوجده القالي وتلامذته

وأول هذه العوامل الجديدة ذلك الخصب اللغوي الذي أوجده القالي وتلامذته . وكان لا بد ان يؤتي ثمراته على حسب قانون التطور الطبيعي في هذا العصر الذي اتحدث عنه . فما كنا لنرى رسوخ الدقة اللغوية ، والاتجاه الى شرح الامهات من كتب اللغة ، واعتماد الأصول ، واتساع مجال الثقافة اللغوية ، لولا تلك الحركة التـي أثارها القالي بشخصيته ، وتعليمه ، والكتب التي هاجر بها ، والتلامذة الذين تخرجوا على يديه . ولكن هذا العامل تشكل أثره أيضا بقوة العوامل الاخرى .

---

(١) تاريخ الادب الاندلسي ، عصر الطوائف والمرابطين : ٧٧ .

ب ــ تعدد المراكز الثقافية

وثاني تلك العوامل تعدد المراكز الثقافية علـى أصول الانقسام السياسي ، بحيث أصبحت كل عاصمة دولة مـن دول الطوائف مركزا من مراكز الأدب والعلم . وقد كنا نشير في العصر السابق اكثر ما نشير الى قرطبة التي كانت كالقطب المغناطيسي في اجتذابها للعلماء من مدن الاندلس وغير الاندلس ، اما في هذا العصر فلعل قرطبة لم تكن كبرى المراكز العلمية بل أصبح ينافسها كثير من المدن . واتصل هذا العامل بطبيعة امراء الطوائف انفسهم ، فقـد كـان الأمير هو الراعي الأول للحركة الثقافية ، وكان لون هذه الحركة يسير حسب ميول ذلك الأمير. فكان الميل الأدبي اغلب على بلاط اشبيلية وكان الميل العلمي اغلب على بلاطي بني ذي النون بطليطلة وبني هود بسرقسطة . وكـانت المباهاة بجمع اكبر عدد مـن العلماء المشهورين في مختلف العلـوم ، من فقه وحديث ولغة ، ميزة لبلاط العامريين في دانية . ومن الصعب ان نأخذ هذا القول مأخذا حاسما اذ ليس معنى غلبة الميل الخاص انعدام ضروب النشاط الأخرى ، ولكنني ما دمت اتحدث عـن ناحية التشجيع الذي يبذله الأمير فلا بد أن ألمح صعوبة في استبانة موضع العالم اللغوي من هذا التشجيع نفسه . ويزيد الأمر صعوبـة ذلك القلق السياسي الذي كانت تعيش فيه الجماعة الاندلسية وهو يؤثر بدوره على الفرد وعلى

مصادر معيشته . ولذلك لم يكن الشاعر وحده هو الذي يطلب رزقه بالتنقل بين بلاطات الأمراء ، بل وجد كذلك العالم اللغوي الذي يطلب رزقه معلما او عضوا في حاشية الأمير بالتنقل من بلد الى بلد . وأحيانا تكون النقلة استدعاء من قبل الأمراء أنفسهم اعتمادا على شهرة ذلك العالم وتنافسا بينهم في الاستئثار بالمشهورين من الأدباء والعلماء . ولنا في تنقل البكري وابن السيد وابن التياني وابن سيده وغيرهم أمثلة على التحرك المستمر في الالتحاق بأمير أو آخر . وما نزال نرى الامراء ينهجون منهج الحكم المستنصر في اقتراح الموضوع الذي يؤلف فيه العالم اللغوي ووضع حدود لمنهج التأليف . فالأعلم يقول في مقدمة كتابه الذي شرح به أبيات كتاب سيبويه : « هذا كتاب أمر بتلخيصه وتهذيبه وتخليصه المعتضد بالله المنصور بفضل الله ، ابو عمرو عبّاد ، ابن محمد بن عباد، أطال الله بقاه ، وأدام عزه وعلاه ، عناية منه بالأدب وميلا اليه، وتهمما بعلم لسان العرب وحرصا عليه ، أمر ، أدام الله عزه وأعزّ سلطانه ونصره ، باستخراج شواهد كتاب سيبويه ابي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، رحمة الله عليه ، وتخليصها منه وجمعها في كتاب يخصها ويفصلها عنه ، مع تلخيص معانيها وتقريب مراميها ... فانتهيت الى أمره العلي ، وسلكت فيه منهاج مذهبه الرفيع السني ، وأمليته على ما حدّ »[1] . وقد

(١) كتاب سيبويه ١ : ٣ ــ ٥ .

نرى العالم يطرّز كتابه باسم أمير تقربا اليه ، كما فعل ابو عبيد البكري حين كتب « التنبيه على اوهام أبي علي في أماليه » فانه أهداه للمعتمد ابن عباد . ويمثل تمام بن غالب التياني أنموذجا ثالثا هو انموذج العالم الذي لا يستبيح لنفسه تجاوز الحقيقة ، ولا يهمه ان يزيّن كتابه باسم عظيم من العظماء . فقد سأله ابو الجيش مجاهد العامري ان يكتب في صدر كتابه « انه مما الفه لأبي الجيش » وبعث اليه الف دينار اندلسية ، فرد الدنانير ، وأبى من ذلك ، وقال : والله لو بذلت لي الدنيا على ذلك ما فعلت ولا استجزت الكذب ، فاني لم أجمعه له خاصة لكن لكل طالب عامة »[1] . ولم تشتهر هذه الحكاية الدالّة على النزاهة والتعفف وعلو الهمة الا لأن امثالها كانت قليلة ، ولأنه كان من حسن حظ العالم ان يجد أميرا يرعاه فيزيّن كتبه باسمه .

فتنقل العلماء ظاهرة تفارق ما ألفناه في العصر السابق من استقرار العالم في بلد ، وارتحال الطلبة للأخذ عنه ؛ وغالبا ما يكون هذا البلد هو قرطبة . أما في هذا العصر فقد أصبح كثير من معلمي اللغة متنقلين ، واستغنى الطالب ، الى حد ما ، عن الارتحال الدائب من أجل الطلب . وفي تضاعيف هذا التنقل نلمح شيئا من الاستقرار النسبي ، نستطيع من خلاله ان نقرن بكل بلد علماء اشتهروا فيه على وجه التقريب . فكانت

(١) فهرسة ابن خير : ٣٦٠ ، جذوة المقتبس : ١٧٢ .

قرطبة مركزا لحلقتين كبيرتين من حلقات العلم اللغوي ، حلقة ابن الافليلي ، وحلقة ابن سراج . وانضاف اليهما ابن السيد الذي لم يكن ليغادر قرطبة لولا خوفه على حياته من بعض وزرائها . فلما حل في بلنسية اصبحت له مقاما دائما وعاش فيها حتى ادرك العصر التالي . وفي **اشبيلية** وجد اثنان من كبار علماء اللغة هما ابو الحجاج الاعلم الشنتمري ، وابو عبيد البكري ، وهما أيضا مهاجران الى اشبيلية وليسا من أهلها أصلا ، وقد اطمأن الثاني منهما الى المقام في اشبيلية في ظل المعتمد بن عباد وظل فيها الى ان توفي عام ٤٨٧/١٠٩٤ . وأما الاعلم فانه بعد ان طلب العلم في قرطبة سكن اشبيلية ، وظل فيها أيضا حتى توفي عام ٤٧٦/١٠٨٣ . وكذلك استقر في اشبيلية ابن دحيم أستاذا اللغة والنحو[١] . ونستطيع ان نقرن ابن التياني بمرسية ، الا انه استدعي الى المرية ليدرس فيها بعض ابناء الوزراء[٢] . وفي ظل بني صمادح بالمرية أيضا ، عاش محمد بن معمر اللغوي المعروف بابن أخت غانم منتقلا اليها من مالقة . وهو شارح كتاب النبات لابي حنيفة في مجلدات عديدة[٣] . وفي ظل مجاهد العامري وابنه اقبال الدولة قضى ابن سيده أكثر ايامه ، ووجد في دانية بيئة صالحة تمكنه من التفرغ للعلم والتأليف . فقد استطاع مجاهد بميله الى العلم وتشجيعه للعلماء ان يجمع حوله نخبة من

(١) الصلة : ٢١٩ .
(٢) فهرسة ابن خير : ٣٦٠ .
(٣) انظر ترجمة ابن اخت غانم في المغرب ١ : ٤٣٣ ، وبغية الوعاة : ١٠٦ .

العاملين في الميادين العلمية ، لا في ميدان اللغة فحسب . فقد قصده صاعد الاندلسي نفسه قبل ان يرتحل عن الاندلس الى صقلية[١] ، وعاش في بلاطه ابن عبد البر النمري احد كبار فقهاء المالكية في عصره[٢] . وقصد مملكته ابن حزم الاندلسي . وفي ميورقة ، وهي جزيرة تحت حكمه ، نشأت المناظرة بين ابن حزم وابي الوليد الباجي[٣] . أما من اللغويين عدا صاعد وابن سيده فقد قصده ثابت الجرجاني ، فأكرم وفادته الى مدينة دانية ، وفيها شرح ثابت كتاب الجمل للزجاجي . والى ثابت ارتحل ابو تمام النحوي من بلدة قطين بميورقة ، وسكن دانية ، ودرس عليه[٤] . وفي طليطلة استقر سعيد بن عيسى بن الاصفر يعلم اللغة وهو مؤلف شرح كتاب الجمل[٥] . كما كان أبو الوليد الوقشي يدرس فيها اللغة الى جانب تدريسه للهندسة والعدد وعلوم الأوائل . ومن معلمي اللغة الذين استقروا في طليطلة ابراهيم بن لب بن ادريس التجيبي وأصله من قلعة أيوب ، سكن طليطلة وأدب بالعربية في سقيفة الجامع بتلك المدينة مدة من الزمن ثم ذكر لأبي الوليد الوقشي أن ابراهيم حريص على تعلم الهندسة فقال له : خذ فيه ، فقرأ عليه كتاب اقليدس وأحكمه وتدرج منه الى قراءة غيره حتى برع في هذا العلم وأخذ يقرئه للناس وتخلى عن

---

(١) وفيات الاعيان ٢ : ١٨١ .
(٢) الصلة : ٦٤٢ .
(٣) التكملة : ٣٩١ ، وانظر نفح الطيب ٢ : ٢٨٢ .
(٤) الصلة : ٤٤٩ .
(٥) المصدر نفسه : ٢١٨ .

تدريس العربية[1] .

جـ ـ الاهتمام بانشاء المكتبات

كان من أثر الفتنة البربرية ان بيع ما كان بمكتبة الحكم من كتب ومحفوظات بأوكس الأثمان[2] فانتشرت تلـك الكتب في مدن الاندلس المختلفة ، وزاد اقبال الناس على القراءة بعد ان كانت فائدة هذه الكتب مقصورة على قرطبة او على العلماء والدارسين المقربين من الحكم . وقد حكى ابن سعيد انه رأى كتبا منها في طليطلة[3] ، اي بعدما يقرب من قرنين ونصف من خراب هذه المكتبة . وقضت الفتنة أيضا ببيـع تلك المكتبة الكبيرة التي كانت تنافس مكتبة الحكم في ما احتوته من أصول اعني مكتبة القاضي عبد الرحمن بن فطيس . ودام اخراج الكتب وبيعها منها مدة عام كامل . وأخذ ورثة ابن فطيس ثمنا لما باعوه اربعين الف دينار قاسمية[4] . واندفع كثير من المثقفين الـى اقتناء الكتب وانشاء مكتبات خاصة بهم في المدن الاندلسية . فكـان من اصحاب المكتبات في قرطبة محمد بن يحيى الغافقي المعروف بابن الموصّل (ـ ٤٣٣/١٠٤٢) . قال فيه ابن الابار « كان جمّاعا لدفاتر العلم من لدن صباه منتقيا لكرائمهـا

(١) التكملة : ١٦٦ .
(٢) طبقات صاعد : ٦٧ .
(٣) مقالة ريبيرا : ٩٦ (مجلة معهد المخطوطات المجلد الخامـس ١٩٥٩) .
(٤) الصلة : ٢٩٩ .

بصيرا بخيارها عارفا بخطوطها يحتكم اليه في ذلك ، مؤثرا لها على كل لذة ، حتى اجتمع منها عنده ما لم يجتمع مثله لأحد بالاندلس بعد الحكم الخليفة . وكان عنده اصلاح المنطـق بخط ابي علي القالي ، والغريب المصنف اصل ابي علي ، ونوادر ابن الاعرابي بخط ابي موسى الحامض، وتاريخ ابي جعفر الطبري بصلة الفرغاني بخط ابن ملول الوشقي . بيع هذا كله في تركته وأغلي فيها حتى لقوّمت الورقة في بعضها بـربـع مثقـال »[1] . ومن هؤلاء القرطبيين جعفر بـن محمد بن مكي القيسي اللغوي تلميذ ابي مروان عبد الملك بن سراج ، فقد جمع عددا كبيرا من الكتب[2] . كذلك أسس الامير هشام حفيد عبد الرحمن الثالث مكتبة عظيمة اشتراها الخليفة سليمان المستعين من بعده[3] . واهتم مسلمة بن سعيد الانصاري بجمع الكتب في رحلته ، وكـان كلما اجتمع له منها مقدار صالح نهض به الى مصر ، فأدخل الاندلس ثمانية عشر حملا من الكتب في كل فن مـن فنون العلم[4] . وهنـاك أمثلة أخرى كثيرة عن القرطبيين الذين كونوا مكتبات خاصة ذكر منها ريبيرا أمثلة في مقالته ، وأشار الى كثرة عدد النساخ ، وصيرورة الوراقة حرفة معتمدة .

اما في اشبيلية فلعل اكبر اثنين من جمّاعي الكتب هما : الفقيه ابن

---

(١) التكملة : ٣٨٧ .
(٢) الصلة : ١٢٩ .
(٣) مقالة ريبيرا : ٧٦ .
(٤) المصدر نفسه .

حزم ، والعالم ابو عبيد البكري ، وسأتحدث عند الكلام على ابي عبيد عن مدى اهتمامه بالكتب وحرصه عليها .

ولم تكن مدينة المرية تقل عن قرطبة في الاهتمام بجمع الكتب وأشهر من نال صيتا في هذه الناحية وزير الفتى زهير العامري أعني أبا احمد جعفر بن عباس ، فقد عرف هذا الرجل بانه بذّ اهل زمانه في اربعة اشياء : المال والعجب والبخل والمهارة في الكتابة . وزعموا انه لم يجتمع عند أحد من نظرائه من المال والكتب والآنية والاثاث ما اجتمع عنده[1] . وقد اجتمع في مكتبته ما يربو على اربعمائة الف مجلد عدا الاوراق والكراسات التي ملأت قصره[2] . وقال لسان الدين : كان جامعا للدواوين العلمية معتنيا بها مغاليا لها نفاعا بها من خصه لا يستخرج منها شيئا لفرط بخله بها الا لسبيلها حتى لقد أثرى كثير من الوراقين والتجار معه فيها وجمع منها ما لم يكن عند ملك[3] .

وفي بطليوس عرف المظفّر بن الافطس صاحبها باقتناء مكتبة عظيمة ، اعتمد عليها هذا الامير في تأليف كتابه« المظفّر » في خمسين مجلدا ، تناول فيها الأدب والتاريخ[4] .

---

(١) انظر : الذخيرة ٢/١ : ١٥١ وما بعدها .
(٢) مقالة ريبيرا : ٨٠ .
(٣) الاحاطة ١ : ١٢٩ .
(٤) انظر البيان المغرب ٣ : ٢٣٦ ، ويقول ابن سعيد في المغرب ١ : ٣٦٤ : « انه كان في نحو مائة مجلد » .

وليس حظ طليطلة بأقل من حظ غيرها في العناية بالكتب فقد كان اصحابها بنو ذي النون من الحريصين على جمعها يقول ريبيرا : « دفعهم حبهم للكتب الى الاستيلاء عنوة علـى مكتبات خاصة فنهبوا مكتبـة العروشي حيث أتيح للناس ان يشهدوا أمرا عجيبا عندما شبت النار في حي الفرائين ولم يهتم احد بأن ينقـذ منها سوى حجرات ابن ميمون ، جمّاع الكتب ، حيث كان يحفظ مكتبته التي اشتهرت باحتوائها على الكتب الصحيحة »[1] . وهذه أمثلة فحسب ، ومن تتبع الأخبـار عن جمع الكتب في مدن أندلسية اخرى وجدها متناثرة في كتب التراجم .

وكلما كبرت هذه الصورة عن انشاء المكتبـات الخاصة زادت في تصورنا للجو الثقافي في المدن الاندلسية ، اذ ان الاندلس لـم تعرف المكتبات العامة الا مجموعات يسيرة من الكتب التي كانت توقف على المساجد ليفيد منها الطلبة في دراستهم[2] . وفي هذا الجو الثقافي كان للغـة والكتب اللغوية مقامها الذي لا ينكر وبخاصة لاهتمام الاندلسيين باللغة وعلومها اهتماما يفوق ما كانوا يولونه من عناية لغير ذلك من العلوم[3] .

د ـ التسامح النسبي

ومن تلك العوامـل التسامح النسبي الذي ظهر في عصر ملـوك

---

(١) مقالة ريبيرا : ٨٢ .
(٢) المصدر نفسه : ٧٧ .
(٣) انظر هذا الكتاب ، المقدمة : ٤١ وما بعدها .

الطوائف بالنسبة لدراسة العلوم القديمة . وقد يكون من المستغرب ان نجعل هذا العامل واحدا من العوامل الفعالة في الحركة اللغوية . ولكن الاستقراء يدلنا على أنه أثر بطريقة غير مباشرة في الحركة اللغوية عندئذ. ونستطيع ان نتصور هذا التسامح من قول القاضي صاعد عند حديثه عن خراب مكتبة الحكم : « وانتشرت تلك الكتب بأقطار الاندلس . ووجد في خلالها أعلاق من العلوم القديمـــة كانت أفلتت من أيدي الممتحنين بحركة الحكم أيام المنصور بن أبي عامر ، وأظهر أيضا كل من كان عنده من الرعية شيء منها ما كان لديه منها فلم تزل الرغبة ترتفع من حينئذ في طلب العلم القديم شيئا فشيئا »[1] . كما نستطيع ان نلمحها من أسماء تلك الاعلام التي عملت في الحقل الفلسفي والعلمي في هذا العصر . وآية هذا الذي اعتقده من أثر لانتشار هذه العلوم في الحركة اللغوية أن أبرز العاملين في حقــل اللغة في هذا العصر كانوا مــن المشتغلين بالفلسفة والمنطق . فقد كان ابن سيده ، اكبر عقلية اندلسية عملت في فن المعاجم، ممن عني بعلوم المنطق عناية طويلة . قال القاضي صاعد : « وألّف فيها تأليفا كبيرا مبسوطا ذهب فيه الى مذهب متّى بن يونس ، وهو بعد هذا أعلم أهل الاندلس قاطبة بالنحو واللغة والاشعار ، وأحفظهم لذلك حتى انه يستظهر كثيرا من المصنفات فيها ، كغريب المصنف ، واصلاح المنطق

(١) طبقات الامم : ٦٧ .

الخ .. »[1] . ويتحدث ابن سيده في معرض الفخر بما يحسنه من العلوم فيقول : « وذلك اني اجد علم اللغة اقــل بضائعي وايسر صنائعي اذا اضفته الى ما انا به من علم حقيق النحو وحوشي العروض وخفي القافية وتصوير الاشكال المنطقية والنظر في سائر العلوم الجدلية التي يمنعني من الاخبار بها نبو طباع أهل الوقت ، وما هم عليه من رداءة الاوضاع والمقت »[2] . وكان ابن السيد ذا ثقافة فلسفية الى جانب ثقافته اللغوية النحوية . وقد ألّف في هذا الباب كتابه « الحدائق في المطالب العالية الفلسفية »[3] . وذكرت له المصادر أيضا كتاب « شرح الخمسة المقالات الفلسفية »[4] . ولما تناول أدب الكتاب لابن قتيبة بالشرح لم يستطع ان يتصور كيف ان عالما لغويا يعيب على الاديب في عصره دراسة الفلسفة والمنطق فقال : « وقد روى ان الذي دعاه الى الطعن عليهم في كتابه هذا انه كان متهما بالميل الى مذاهبهم واعتقادهم ، فاراد ، رحمه اللــه ، ان ينفي الظنة عن نفسه بثلبهم والطعن عليهم »[5] . وكان ابو الوليد الوقشي الطليطلي « من المتفننين في العلوم المتوسعين في ضروب المعارف من أهل الفكر الصحيح والنظر الناقد والتحقّق بصناعة الهندسة والمنطق »[6] .

(١) المصدر نفسه : ٧٧ .
(٢) المحكم ١ : ١٦ .
(٣) طبع بمصر عام ١٩٤٦ .
(٤) انظر بروكلمان (ط ليون) ، الملحق ١ : ٧٥٨ ، والمخطوط موجود في فهرست بريل ٤٦٤ .
(٥) الاقتضاب : ١٨ .
(٦) طبقات الامم : ٧٤ .

وكانت لسعيد بن الاصفر أحد علماء اللغة مشاركة في المنطق[1] . اما ابن حزم فانه وان لم تصلنا تصنيفاته الوافرة التي أشار اليها صاعد في « علم النحو واللغة »[2] فان ما تناثر في كتبه من آراء نافذة في اللغة يجعله ، فيما أرى ، من علمائها المقدمين . وقد كان ابن حزم من اشد الناس اهتماما بالمنطق في عصره ، متحملا في ذلك اتهام الفقهاء له بقراءة كتب تؤدي الى الالحاد . وقد ألّف في المنطق كتابه « التقريب لحد المنطق والمدخل اليه » واراد ان يبسّطه لغة وأمثالا كي يقرّبه من الدارسين ، وبذلك يضع في أيديهم ميزانا صحيحا للفهم والبرهان . ولا ننس أبا الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني فانه كان عالما في اللغة مشتغلا بعلوم الاوائل وخاصة المنطق ، وكانت تجري بينه وبين ابن حزم مناظرات في بعض الموضوعات الفلسفية وعليه أطلق ابن حزم صفة « الملحد »[3] . ولا تحدثنا المصادر بشيء عن ثقافة ابن الافليلي المنطقية الفلسفية ، ولكنها تقول ان ابن الافليلي لحقته تهمة في دينه مع آخرين من الأطباء . وسأبين عند الحديث عن هذا العالم اللغوي ان هذه التهمة في الدين ربما لم تعن شيئا سوى اتهامه بدراسة المنطق والفلسفة . كذلك لا تحدثنا المصادر بشيء عن تحصيل البكري لثقافة فلسفية ، ولكننا ان وسعنا

---

(١) الصلة : ٢١٨ .
(٢) طبقات الامم : ٧٧ ، « ولأبي محمد بن حزم بعدها تصنيف وافر في علم النحو واللغة » .
(٣) الفصل ١ : ١٧ .

مدلول هذا المصطلح قليلا وجدنا البكري عالما يدرس المصادر القديمة فيعتمد على بطليموس في المجسطي والجغرافيا ويستمد أخبارا من كتاب هروشيوش (اوروسيوس)[1] .

فنحن اذن ازاء ظاهرة لافتة للنظر هي هذا الترابط بـين الثقافة العلمية الفلسفية ، وبين الاتجاه اللغوي[2] . وليس من اليسير ان تتبين مدى التأثير المتبادل بـين هذين الاتجاهين ، ولكـن من المسلم به ان الدراسة المنطقية والعلمية قد منحت الاتجاه اللغوي دقة وشمولا وهيأت الجو للبحث النظري في اللغة . ولكن عوامل جديـدة حالت أولا دون الامعان في هذا اللون مـن الدراسات ، وحالت أيضا دون التوفر على النظرية اللغوية . فلم يكن للاندلس في هذا المجال الا التماعات جزئية . وقد أشار صاعد الى هذه العوامل مجتمعة تحت مفهوم القلق السياسي الذي كانت تتعرض له الاندلس فقال : « الى ان زهد الملوك في هذه العلوم وغيرها ، لكن[3] اشتغال الخواطر بما دهم الثغور ... قلّل طلاب

(١) مقالة الدكتور مؤنس ، الجغرافيا والجغرافيون في الاندلس ، العدد ٨٧ من صحيفة معهد الدراسات : ٣٢٩ ، ٣٣١ .

(٢) لم يكن هذا وقفا في الاندلس على المشتغلين بالعربية بل تميز به بعض العلماء اليهود كذلك ومنهم مروان بن جناح بسرقسطة وكان من أهل العناية بصناعة المنطق مع التوسع في علم لساني العرب واليهود (طبقات الامم : ٨٩) واسحاق بن قسطار (ــ ١٠٥٦/٤٤٨) الذي خدم مجاهدا العامري وابنه اقبال الدولة فكان بصيرا بالمنطق متقدما في علم اللغة العبرانية (المصدر نفسه) والصلة بين النحو والمنطق في المشرق أمر لا يحتاج الى برهان .

(٣) لعل الاصوب ان تقرأ « فان » .

العلم وصيّرهم أفرادا بالأندلس »[1] . وكلام صاعد معناه تعرض ملـوك الطوائف للاخطار الخارجية ثـم انشغالهم عن تشجيـع العلم والأدب بمحاولة ردّ العدوان داخليا كان او خارجيا ، ثم عدم اطمئنان العلماء واضطرارهم الى الجلاء المستمر ، وكل ذلك لا ينطبق على العلوم العقلية فحسب ، بـل يصيب انـواع الدراسات جميعها التـي تزدهر في ظل الاستقرار والأمن .

٣ ـ الظاهرة النظرية في حياة اللغة

ولهذا اكتفى الاندلسيون بما يسد الحاجة العملية في دراسة اللغة، ولم يلتفتوا كثيرا الى المحاكمات النظرية الا ما كان من بعض الآراء التي عرض لهـا ابن حزم في سياق حديثه في النواحي الشرعيـة والجدلية الدينية . وكان لمذهبه الظاهري وأصول المنطق أثرهما في كل ما جاء به من نظرات ، ذلك أن الظاهرية يعتمدون اعتمادا كبيرا على الدقة اللفظية في استخراج الاحكام كما ان اللغة لدى ابن حزم ذات منطق خاص لا بد من ادراكه تماما للوصول الى البرهان الصحيح .

أ ـ البحث في أصل اللغة

واول المشكلات التي تعرض لها هي مشكلة كيفية ظهور اللغات :

---

(١) طبقات الامم : ٦٧ .

أعن توقيف ام عن اصطلاح . وقد ذهب ابن حزم الى انها توقيف ، وأدلته على ذلك ان الكلام لو كان اصطلاحا لما جاز ان يصطلح عليه الا قوم قد كملت اذهانهم وتمت علومهم ، وليست هـذه هي صفة الانسان في دوره الاول اذ يحتاج الى سنوات طويلة حتى يبلغ هذا المستوى . ولو ان الناس اصطلحوا على لغة لمضى عليهم وقت قبل ان يصطلحوا عليها ، فكيف كانوا يتفاهمون اثناء ذلك الوقت ؟ ثم لو انهم شاءوا أن يصطلحوا على لغة ، لكان هذا مستدعيا لغة يتفاهمون بها على وضع ذلك الاصطلاح . ولكن اللغة الاولى كانت توقيفية في رأي ابن حزم ثم اصطلح الناس بعد ذلك على اصطلاح لغات شتى من هذه اللغة . فما هي تلك اللغة الاصلية ؟ قال قوم : هي السريانية ، وقال آخرون : هي اليونانية ، وقال فريق ثالث : هي العبرانية ، وقال آخرون : هي العربية. ويرجح ابن حزم ان تكون السريانية اصلا للعبرانية والعربية ولكنه لا يقطع ان تكون هي اللغة التوقيفية الاولى .

ومن هذه المشكلة تطرق ابن حزم الى السؤال ، اي اللغات افضل ؟ فقال : ان كل قوم ذهبوا الى تفضيل لغتهم وهذا لا معنى له لأن الله قد كلّم كل اناس بلغتهم ، فليس هناك تفاضل بين لغة وأخرى[1] .

---

(١) فيما يتعلق بآراء ابن حزم هذه انظر ، الاحكام ١ : ٢٩ ــ ٣٥ .

ب ـ مشكلة الاشتقاق

وتصدى ابن حزم ايضا لمشكلة الاشتقاق ، وانما دعاه الى التصدي الى هذه المشكلة انه رأى بعض اللغويين يتحدث عن اشتقاق اسماء الله تعالى مثل ابي جعفر النحاس الذي ألف كتابا في ذلك ، ووجد بعضهم يتمحّل في تبيان دلالات اللفظ فيقول ان الجن مأخوذ من الاجتنان اي الستر ، ويقول الزجاجي : العشقة نبت يخضر ثم يصفر ثم يهيج ، ومنه سمي العاشق عاشقا . وهذا الموقف أدى بابن حزم الى ان يقول : « ان الاشتقاق كله باطل ، حاشا اسماء الفاعلين من أفعالهم فقط واسماء الموصوفين المأخوذة من صفاتهم الجسمية والنفسانية ، وهذا ايضا لا ندري هل اخذت الاسماء من الصفات او اخذت الصفات من الاسماء ، الا اننا نوقن ان احدهما اخذ من صاحبه ، مثل ضارب من الضرب ، ومثل آكل من الاكل ، ومثل ابيض من البياض ، وغضبان من الغضب ، وما اشبه ذلك . وأما سائر الاسماء الواقعة على الاجناس والانواع كلها ، فلا اشتقاق لها أصلا ، وليس بعضها قبل بعض بل كلها معا . وقد كنت أجري في هذا مع شيخنا ابي عبدة حسان بن مالك ، رحمه الله ، وكان اذكر من لقينا للغة ، مع شدة عنايته بها وثقته وتحريه في نقلها ، فكان يقول لي : قد قال بهذا الذي تذهب اليه كبير من اهل اللغة قديم ، وسماه لي ، وشككت الآن في اسمه لبعد العهد ، واظن انه نفطويه »[1] .

---

(١) الاحكام ٤ : ١٣ ، ٨ : ٩٣ .

ج ـ بطلان العلل النحوية

ولعل أجرأ الآراء التي جاء بها ابن حزم ابطاله العلل النحوية . فقد قال في كتاب « التقريب » : « واما علم النحو فالى مقدمات محفوظة عن العرب الذين تزيد معرفة تفهمهم للمعاني بلغتهم ، واما العلل فيه ففاسدة جدا »[1] . فقوله بفساد العلل لمحة تقضي على اكثر أجزاء النحو ، ولكنه لم يفسّر كيف يمكن ان يكون هناك نحو دون تلك العلل . وما كان ابن حزم في هذا الا متأثرا بموقفه الظاهري من أهل القياس وابطاله لأحكام العليّة جميعها في الشرائع[2] . اما الحملة على العلل النحوية والقياس فسوف تغدو موضوع ابن مضاء في كتابه « الرد على النحويين » لكن ابن مضاء يمثل عصرا آخر غير هذا الذي اتحدث عنه[3] .

د ـ الصلة بين اللغة والشريعة

واهتم ابن حزم ، خضوعا لمذهبه الظاهري ، بتحديد معاني الالفاظ ، وخاصة الالفاظ التي تدور بين اهل النظر كالفاظ الحد والرسم والعلم والاعتقاد والبرهان والدليل والاقناع والصدق والحق والقياس والعلة وما الى ذلك ، لأن هذه الالفاظ تدور في المناظرة ، وعدم الوضوح في

---

(١) التقريب : ٢٠٢ .
(٢) الاحكام ٨ : ٧٦ وما بعدها .
(٣) الرد على النحويين ، نشره الدكتور شوقي ضيف ، القاهرة، ١٩٤٧ .

تحديدها يورّط المتناظرين في اللجاج .

وخضوعا لمذهبه ايضا ، رأى ان الالفاظ انما تحمل على العموم ، وناقش القائلين بان الالفاظ لا تحمل الا على الخصوص ، اي حملها على بعض ما يقتضيه الاسم في اللغة دون بعض ، الا اذا قام الدليل على انها مخصوصة [1] . « فاذا قرأنا قوله تعالى « فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا » (النور : ٣٣) وجدنا ان لفظة الخير في اللغة تقع على الصلاح في الدين وعلى المال ، فلا يجوز ان نخص بهذا النص بعض ما يقع عليه دون بعض الا بنص ، فلما قال تعالى « فيهم » ولم يقل « معهم » ولا قال تعالى « عندهم » علمنا انه انما أراد اهل الدين فقط ، فلذلك قلنا انه لا يجوز مكاتبة كافر لانه لا خير فيه البتة »[2] .

فاذا نظرنا الى الكلام من زاوية العموم والخصوص وجدناه اقساما ثلاثة :

(أ) خصوص يراد به الخصوص مثل زيد وعمرو .

(ب) عموم يراد به العموم أي يحمل على كل ما يقتضيه لفظه كاسم

---

(١) قال : الواجب حمل كل لفظ على عمومه وكل ما يقتضيه اسمه دون توقف ولا نظر لكن ان جاءنا دليل يوجب أن نخرج عن عمومه بعض ما يقتضيه لفظه صرنا اليه حينئذ . وهذا قول جميع أصحاب الظاهر ... وبهذا نأخذ وهو الذي لا يجوز غيره . (الاحكام ٣ : ٩٧) .
(٢) الاحكام ٣ : ١٥٩ .

الجنس مثل الخيل والبغال .

(ج) عموم دلّ نص القرآن والسنة على أنه قد استثني منه شيء فكان ذلك المستثنى مخصوصا من الحكم الوارد .

وزاد آخرون قسما رابعا وهو « خصوص يراد به العموم » وخطأهم ابن حزم وقال ان هذا غير موجود في اللغة[1] .

وقد بين ابن حزم أيضا وجوه نقل الأسماء عن مسمياتها التي وضعت لها أصلا ، وقال ان ذلك يتم بأربعة أوجه :

١ ــ نقل الاسم عن بعض معناه الذي يقع عليه دون بعض وهذا هو العموم الذي استثني منه شيء ما كقوله تعالى « الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم » (آل عمران : ١٧٣) . فكلمة « الناس » الثانية تدل على بعض الناس .

٢ ــ نقل الاسم عما وضع له في اللغة بالكلية وتعليقه على شيء آخر كلفظ « الصلاة » فقد نقل من معنى الدعاء وحده الى حركات محدودة من قيام وركوع وسجود الخ ... وكذلك هي ألفاظ « الزكاة » و « الكفر » ومن هذا الباب الاستعارة والمجاز في الشعر والكلام عامة .

٣ ــ نقل خبر عن شيء ما الى شيء آخر اكتفاء بفهم المخاطب كقوله

---

(١) انظر الاحكام ٣ : ١٢٧ ــ ١٣١ .

تعالى « واسأل القرية » (يوسف : ٨٢) والمراد : أهل القرية .

٤ ـ نقل لفظ عن كونه حقا موجبا لمعناه الى كونه باطلا محرفا وهو النسخ[١] .

وقد تنبه ابن حزم الى ان التخليط في فهم هذه الوجوه هو أصل كل خطأ وقع في الشرائع وهو من أقوى اسباب الاختلاف بين الناس . ومعنى هذا أنه قرّر الأصول اللغوية التي أدت الى الخلاف في بناء الاحكام .

وتناول ابن السيد هذا الموضوع نفسه في رسالته : « الانصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم »[٢] . ولكن ابن السيد لم يطلع ، فيما يبدو ، على ما كتبه ابن حزم ، اذ كان يتصور وهو يكتب رسالته أنه قد جاء بشيء « يشبه المخترع وان كان غير مخترع ، ينتمي الى الدين بأدنى سبب ويتعلق من اللسان العربي باقوى سبب ويخبر من تأمل غرضه ومقصده بأن الطريقة الفقهية مفتقرة

(١) الاحكام ٣ : ١٣٥ ـ ١٣٦ .

(٢) ذكر اسم هذا الكتاب في صور مختلفة فهو التنبيه على الأسباب الموجبة للخلاف بين المسلمين (كشف الظنون : ٤٨٨) والتنبيه على الاسباب الموجبة لاختلاف الأمة (الصلة : ٢٨٢ والديباج المذهب : ١٤١ وشذرات الذهب ٤ : ٦٥ وانباه الرواة ٢ : ١٤٢) والتنبيه على السبب الموجب لاختلاف العلماء (أزهار الرياض ٣ : ١٠٧) وسبب اختلاف الفقهاء (بغية الوعاة : ٢٨٨) .

الى علم الأدب ، مؤسسة على أصول كلام العرب »[1] . وقد حصر ابن السيد الأسباب الموجبة للخلاف في ثمانية أمور :

(١) اشتراك الألفاظ والمعاني
(٢) الحقيقة والمجاز
(٣) الافراد والتركيب
(٤) الخصوص والعموم
(٥) الرواية والنقل
(٦) الاجتهاد فيما لانصّ فيه
(٧) الناسخ والمنسوخ
(٨) الاباحة والتوسيع

وواضح أن اكثر هذه الاوجه يمكن ردّها الى ما ذكره ابن حزم من قبل ، وبعضها من قبيل التوسع في مدلولات التراكيب ، أو في عملية الاستدلال نفسها ، او في الخطأ المترتب على جهل بالاعراب ، أو على التصحيف وما اشبه . ولنمثل على بعض هذه الوجوه لتوضيح الموقف اللغوي الذي يقفه المؤلف :

فمن أمثلة الخلاف العارض بسبب وقوع اللفظة على اكثر من معنى كلمة « القرء » وهي تعني الحيض كما تعني الطهر ، وكلمة « أعفوا » في

---

(١) الانصاف : ٨ .

قوله « وأعفوا اللحى » فهي تعني وفروا وكثـروا كما تعني انقصوا وقصروا . ولتعدد الدلالة في اللفظة الواحدة يكون الحكم المبني موضعا للاختلاف بين الفقهاء . ومن أمثلة هذا في التـركيب قول عليّ « أيها الناس تزعمون أني قتلت عثمان ! ألا وان الله قتله وانا معه » أراد أن الله قتله وسيقتلني معه ، وفهم قوم منها أنه شارك في قتله[1] .

ولست أريد أن اتتبع أمثلة ابن السيد على كل وجه من الوجوه الثمانية ، وانما اكتفي بهذا القـدر لأدلّ على هذا البـاب من الاتجاه اللغوي الذي فتحه ابن حزم وارتبطت فيه اللغة بالتشريع ارتباطا وثيقا .

٤ ــ صلة اللغة بالواقع العملي

فاذا تركنا هذه المناقشات النظرية في طبيعة اللغة والاشتقاق وما الى ذلك ، وجدنا مشكلات عملية جديدة تواجه وضع معلم اللغة في ميدان التعليم ، ووضع اللغة بين العلوم من ناحية ، وصلتها بالحياة العملية من ناحية أخرى .

أ ــ أما من حيث وضع معلم اللغة في ميدان التعليم فاننّا اذا تأملنا ما كان يتم في العصر السابق، وجدنا ان معلم العربية ، مثل القالي وغيره ، كان يدرس الشعر والأدب ، ويعلـق عليهما الى جانب تـدريسه للغة

---

(١) الانصاف : ٢٤ .

والغريب . ولم يكن استمرار هذه الحال طبيعيا ،فان معلم اللغة قد يحسن الاطلاع بتفسير المعاني القريبة ولكنه ربما لم يحسن عمليـة النقد او الكشف عن النواحي البلاغية في النص الذي يدرسه . وهنا نشأت مشكلة جديدة ، هي : هل يحسن معلمو العربية تعليم البيان ؟ وتفرع عن هذه المشكلة مسألة أخرى ، هي : هل البيان شيء يمكن تعليمه ؟ وحمل لواء هذه المشكلة من الناحية الادبية ابن شهيد،فهاجم جماعة النحويين ومعلمي اللغة هجوما عنيفا فقال : « وقوم من المعلمين بقرطبتنا ممن اتى علـى أجزاء من النحو ، وحفظ كلمات من اللغة ، يحنون على اكباد غليظة وقلوب كقلوب البعران ، ويرجعون الى فطن حمئة ، واذهان صدئة لا منفذ لها في شعاع الرقة ، ولا مدب لها في انوار البيان ، سقطت اليهم كتب في البديع والنقد ، فهموا منها ما يفهمه القرد اليماني من الرقص على الايقاع ، والزمر على الالحان ... »[1] . وقد تكون هذه الظاهرة في اول امرها وليدة الخصومة الشخصية بين ابن شهيد وابن الافليلي وغيره من معلمي اللغة ، ولكنها ، على اي حال ، أثارت التساؤل حول العلاقة بين تعليم اللغة والنقد الادبي . وكان من شأن هذه الحركة ان تحدد للنقد وجهة مستقلة أوجزها ابن شهيد بقـوله « واصابة البيان لا يقوم بها حفظ كثير الغريب ، واستيفاء مسائل النحو ، بل بالطبع مع وزنه من

(١) الذخيرة ١/١ : ٢٠٥ .

هذين » . غير ان ابن شهيد امعن في اعطاء المشكلة طابعا ذاتيا ، واكثر من التهكم بطبقة المعلمين عامة ، وبابن الافليلي خاصة .

وقد زادت هـذه المشكلة وضوحا من وجهتها العملية عندما عين ابن الافليلي ، شيخ معلمي اللغـة ، كاتبا لدى محمد بن عبد الرحمن المستكفي « فوقع كلامه جانبا من البلاغة لانه كان على طريقة المعلمين المتكلفين ، فلم يجر في اساليب الكتاب المطبوعين ، فزهد فيه . »

ب — وأما من حيث وضع اللغة بـين العلوم فقد رأينا كيف ان العصر السابـق عرف معنى التخصص الدقيق في ميـدان اللغة . فلما حلّ القرن الخامس جدّت ظروف معاشية وغيرها استدعت اثارة هذا السؤال : ما هو القدر مـن اللغة الذي ينفع غـير المتخصص ؟ وكان الباعث الأول على تحديد نطاق الدراسة اللغوية هو الاشفـاق من ان تطغى على ما عداها من علـوم ، وبخاصة العلوم الدينية . وكان ابن حزم من أول المبادرين للاجابة على هذا السؤال . وبما أنه كان يعتقد أن العلوم جميعا ليست الا عناصر مساعدة في سبيل فهم الشريعة فاننا نراه يحدد القدر اللازم من اللغة والنحو لطلاب هذين العلمين بقـوله : « واقل ما يجزىء من النحو كتاب الواضح للزبيدي ، او ما نحا نحـوه كالموجز لابن السرّاج وما أشبه هذه الاوضاع الحقيقية . وأما التعمق في علم النحو ففضول لا منفعة بها بل هي مشغلة عن الأوكد ومقطعـة

دون الأوجب والأهم ... فمن يزيد في هذا العلم الى احكام كتاب سيبويه فحسن ، الا ان الاشتغال بغير هذا اولى وافضل لانه لا منفعة للتزيد على المقدار الذي ذكرنا الا لمن أراد ان يجعله معاشا ، فهذا وجه فاضل لانه باب من العلم على كل حال . والذي يجزىء من علم اللغة كتابان : أحدهما الغريب المصنّف لأبي عبيد ، والثاني مختصر العين للزبيدي ، ليقف على المستعمل بهما وليكون ما عدا المستعمل منهما عدة لحاجة ان عنَّت يوما ما في لفظ مستغلق فيما يقرأ من الكتب . فان اوغل في علوم اللغة ، حتى يحكم خلق الانسان لثابت ، والفرق له ، والمذكر والمؤنث لابن الانباري ، والممدود والمقصور والمهموز لابي علي القالي ، والنبات لابي حنيفة احمد بن داود الدينوري ، وما أشبه ذلك ، فحسن ، بخلاف ما قلنا في علل النحو ، لان اللغة كلها حقيقة وذات اوضاع صحاح وعبارات عن المعاني . ولو كانت اللغة اوسع حتى يكون لكل معنى في العالم اسم مختص ، لكان ابلغ للفهم وأجلى للشك وأقرب للبيان »[1] .

وبنحو من هذا تحدث ابن السيد عما يحتاجه أصناف الكتاب من ثقافة نحوية ولغوية فقال : « يحتاج كل واحد منهم الى أن يتمهر في علم اللسان حتى يعلم الاعراب ويسلم من اللحن ويعرف المقصور والممدود

(١) رسائل ابن حزم : ٦٤ ــ ٦٥ .

والمقطوع والموصول والمذكر والمؤنث ويكون له بصر بالهجاء فان الخطأ في الهجاء كالخطأ في الكلام وليس على واحد منهم أن يمعن في معرفة النحو امعان المعلمين الذين اتخذوا هذا الشأن صناعة وصيروه بضاعة ولا امعان الفقهاء الذين ارادوا بالاغراق فهم كـلام الله تعالى وكلام رسوله وكيف تستنبط الاحكام والحدود والعقائد بمقاييس كلام العرب ومجازاتها »[1] . وبينا نجد ابن السيد يسمي عمل الفقهاء امعانا ، نجـد ابن حزم يدعو الى القصد ، والى حد ادنى من المعرفة اللغوية .

جـ — وأما من حيث صلة اللغة بالحياة العملية فان الاشفاق من قلة التحصيل هو الذي نبه الى تفهم تلك العلاقة . وقد كانت هناك شواهد واقعية من تسوّر الجهـال على المعرفة وانتصابهم للاقراء او التدريس وهم يجهلون ابسط الأصول التي لا بد منهـا لمثل من يمتهن مهنتهم . فقد روى لنا ابن حزم كيف ان احد القراء الثلاثة الذين كانوا يقرأون للعامة بقرطبة لم يكن يحسن النحو ، وكان ذات يوم يقرىء احدهم : « وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد » (ق ١٩) ولم يخطىء التلميذ في القراءة فرد عليه معلمه قائلا : « تحيد » بالتنـويـن[2] . وروى أيضا كيف ان خطيبا قال يوم الجمعة : « لقد جاءكم رسول من

---

(١) الاقتضاب : ٦٦ — ٦٧ .
(٢) الاحكام ٤ : ١٦٣ .

انفسكم عزيز عليه ما عنتم (التوبة : ١٢٨) »[1] . ولذا ألح على أن الفقيه لا بد أن يتعلم اللغة والنحو لكي يتمكن من فهم القرآن والحديث والفقه عامة . فقال : « ففرض على الفقيه ان يكون عالما بلسان العرب ليفهم عن الله عز وجل وعن النبي صلى الله عليه وسلم ، ويكون عالما بالنحو الذي هو ترتيب العرب لكلامهم الذي نزل به القرآن ، وبه يفهم معاني الكلام التي يعبر عنها باختلاف الحركات وبناء الالفاظ . فمن جهل اللغة وهي الالفاظ الواقعة على المسميات ، وجهل النحو ، الذي هو علم اختلاف الحركات الواقعة لاختلاف المعاني ، فلم يعرف اللسان الذي به خاطبنا الله تعالى ونبينا عليه السلام ، ومن لم يعرف ذلك اللسان ، لم يحل له الفتيا فيه ، لانه يفتي بما لا يدري »[2] .

وما كان في امكان احد أن يكبح جماح تلك الموجة الطاغية من الخطأ والبعد باللغة عن صفائها وشدة التحرّي فيها بالدعوة الى النقاء الدقيق الذي دعا اليه الزبيدي من قبل في « لحن العوام » ، فمع الزمن أخذت تتفشى الأخطاء في الكتابة ، حتى عند المدققين الذين يتحرون وجه الصواب ، وما ذلك الا لأن العامية الاندلسية كانت تزاحم الفصحى مزاحمة شديدة ، من حيث هي لغة محكية ، وتضطر الكاتب أو الاديب الى أن ينتحل وضعا جديدا حين يكتب أو يؤلف ، وأن ينتقل من منزلة

(١) المصدر نفسه ٤ : ١٦٤ .
(٢) المصدر نفسه ٥ : ١٢٦ .

الى منزلة ، وحسبنا مثالا على ذلك أن نرجع الى تعقب الفقيه ابن العربي لأخطاء ابن السيد في شرحه على سقط الزند ، فنجده يقول : في بعض ردوده : « المعلوم أن (الخافقان) جانبا الأرض من الهواء » فيتصدى ابن السيد له قائلا : « رفعت الخافقين وهما منصوبان بأنّ ثم صححت عليهما فكان تصحيحك على اللحن أشدّ من اللحن »[1] . ويقول في موضع آخر : « وهو قول بقدم الاعراض أو مجاز لا يعدم (انتقاض) » فيرد ابن السيد بقوله : « وهذا كلام أول ما ننتقد فيه فساد الاعراب بترك نصب الانتقاض ووجهه الانتصاب »[2] . وقد تقول ان هذا كله نوع من التعسف بين عالمين يحمل أحدهما على الآخر ، ومن طلب وجه التخريج وجده ، ولكن دلالته على هذه الظاهرة الخطيرة واضحة . ولو قد تتبعنا هذا النوع في مستعمل الكلام وضروب الترسل لوجدنا الجانب اللغوي فيه أبين من الجانب النحويّ ، وان كانت قدرتنا فيه على الحكم أصعب لبعدنا نحن اليوم عن تلك السلامة اللغوية التي كان يتشبث بها علماء اللغة المحافظون على نقائها .

وكان مما يزيد الموقف حدة منح اللغة العامية الاندلسية مكانة أدبية . صحيح ان هذه اللغة كانت موجودة ــ بقدر أو بآخر من البعد عن الاصول العربية الصحيحة مختلطة ببعض الالفاظ الاعجمية ــ

---

(١) الانتصار : ٧ .
(٢) المصدر نفسه : ٤١ .

ولكنها انما كانت تمثل نشاطا شعبيا لا يتعدى الشئون اليومية وبعض الاغاني الشعبية ، فيما أقدّر ، أما في هذا القرن الخامس فانها اتخذت من الزجل ندّاً للشعر ، واعترف الاندلسيون بهذه الأزجال واستمعوا اليها ولحنوها وأجازوا ناظميها . في هذا القرن ظهر ابن نماره وابن راشد وغيرهما ممن يسميهم ابن قزمان ـ وارث طريقتهم وامام الزجل في عصره ـ باسم « المتقدمين » ويثني من بينهم على ابن نماره بقوله : « ولم أر أسلس طبعا وأخصب ربعا ومن حجوا اليه وطافوا به سبعا أحق بالرياسة في ذلك والامارة من الشيخ أخطل بن نماره فانه نهج الطريق وطرّق فأحسن التطريق ... »[1] . أما ابن راشد فقد ذكره صفي الدين الحلّي وسماه « يخلف » وقال : « وكان هو امام الزجل قبل أبي بكر بن قزمان وكان ينظم الزجل القوي من الكلام فلما ظهر ابن قزمان ونظم السهل الرقيق مال الناس اليه وصار هو الامام بعده ، ونظم ينكر عليه قوة النظم زجلا مطلعه :

زجلك يا بن راشد قوي متين　　　وان كان هو للقوة فالحمالين

يريد ان كان النظم بالقوة فالحمالين أولى به من أهل الأدب »[2] .

اما تقدير الناس لهذه الازجال واعتناؤهم بها فقد أشار اليه ابن قزمان أيضا في مقدمته وهو يتحدث عما عرفه في نشأته أواخر هذا القرن

(١) مقدمة ديوان ابن قزمان ، وانظر ايضا الزجل في الاندلس : ٥٣ .
(٢) العاطل الحالي : ١٦ .

فقال : « ولقد كنت أرى الناس يلهجـون بالمتقدمين ويعظمون أولئك المقدمين يحلونهم في السماك الاعزل ويرون لهـم المرتبة العليا والمقدار الأجزل »[1] . والعيب الكبير لقدامى الزجالين ــ في رأي ابن قزمان ــ هو تورطهم في « الاعراب » ، فكأن الطريـق باللغة أصبحت طريقين فاما اعراب تام واما بعد عنه الى أقصى حدّ .

ولم تكن هذه المكانة الادبية التي بلغتها العامية قاصرة على الزجل وحده ، بل ارتفعت درجة أخرى حين تدخلت في صميم بناء الموشح . وقد حدثنا ابن بسام أن الوشاح « يأخذ اللفظ العامي والعجمي ويسميه المركز ويضع عليه الموشحة »[2] ولا يعني « اللفظ » هنا استعمال لفظـة واحدة بل استعمال قفل كامل أصبح يسمى « الخرجة » ، وهـذا هو الذي جعل ابن سناء الملك يشترط حين تحدث ــ من بعد ــ عن أصول نظم الموشح : أن تكـون الخرجة عامية حادة ظريفة[3] ، وقـد كـان الاندلسيون يؤثرون البعد عـن الموشح الشعري ويأخذون في تجزئة أقفال الموشح وغصونه الى وحدات صغيرة ، وقد لحظ الدكتور عبّاس هذه الناحية في الموشح وعلق عليها بقوله : « اننا نقول حقا ان الموشح معرب ولكن الاسكان بالوقف في التجزئات القصيرة واختيار الالفاظ

---

(١) مقدمة ديوان ابن قزمان ، وانظر الزجل في الاندلس : ٥٢ .
(٢) الذخيرة ١/٢ : ١ .
(٣) دار الطراز : ٣٣ . وانظر كذلك توشيع التوشيح : ٢٧ ــ ٢٩ .

التـي لا تظهر حركات الاعراب في أواخرها أمران يجعـلان العلاقات الاعرابية ضعيفة ويحيلان الموشح الى مستوى قريب من مستوى الكلام الدارج »[1] ، ولم تجد كثيرا محافظة المحافظين الذيـن أحبوا الازجال والموشحات في مظهرها الشفوي" وأبـوا أن يدونوها في كتبهم ، فان حركة التساهل غلبت من بعد ، وأصبحت هـذه أدبا معترفا به قراءة وتدوينا .

وعلى الطرف الآخر تقـوم حركة مضادة تعتمـد الدقة اللغوية الخالصة وتعد ثمرة مـن ثمرات ذلك الجو العلمي الذي هيأه القالي وتلامذته ورسخوا أصوله بعون مـن الحكم المستنصر ، ومدار هذه الحركة على التحري الشديد والضبط والمقارنة بـين النسخ واعتمـاد الأصوب . وقد كان القالي نفسه وهو « المعلم الاول » للاجيال اللغوية بالاندلس أول هدف لسهام هذه الحركة . وليس في هذا نكران لجميل القالي او تنكر لفضله ولكن يشبه أن يكون القالي نفسه هو الذي دفع الى ذلك ، فقد زوّد الاندلسيين بمصادر متباينة المنزع وأطلعهم علـى الكتب الأمهات ووضع بين أيديهم الأصول الموثقة ، وكان هو بصري" المنزع في الرواية ، ولم يكن الخريجون من بعد يحفلون بالتمسك برواية دون أخرى فجمعوا بين أقوال العلماء جمعا وأحلّوها مقاما واحدا من

(١) تاريخ الادب الاندلسي ــ عصر الطوائف والمرابطين : ٢٤٤ .

الاعتبار ، وكان في ذلك ردّ ضمني على القالي أو ان شئت فقل كان ذلك توسيعا للأخذ لم يقف دونه ايثار لمدرسة لغوية على أخرى . وشيء آخر دعا الى ذلك التعقب هو الوهم الناشىء عن الحفظ ، وخاصة في كتاب « النوادر » وهو مما أملاه القالي من حفظه ، والحفظ يتفاوت ، والوهم فيه أمر غير بعيد ،فهذان عاملان أوجدا للغويين مجالا لتصحيح القالي نفسه.

أما العامل الأول وهو انفتاح الدارس اللغويّ على مختلف الروايات وأخذها جميعا بمقدار واحد من التقدير فيظهر على وجهه الواضح في كتاب الاقتضاب لابن السيد البطليوسي . فالقسم الثاني من هذا الكتاب[1] ارشاد وتنبيه لما وقع من خطأ ، وفي هذا القسم « مواضع وقعت غلطا في رواية أبي علي البغدادي المنقولة الينا فلا أعلم أهي غلط من ابن قتيبة أم من الناقلين عنه »[2] . وقد كان ابن السيد في هذا الكتاب اما متشبثا من الرواية بالعودة الى أصلها في النصّ المنقول واما عارضا لروايات علماء آخرين ، وواضح أنّه في الكشف عن أخطاء ابن قتيبة انما يخطىء جوانب من رواية القالي ، فكأنه يرد على أبي علي في أكثر المواطن ، تضمينا أو تصريحا . ومن أمثلة ذلك :

---

(١) القسم الأول منه شرح لخطبة أدب الكاتب والقسم الثالث : دراسة وتخريج للشواهد التي وردت في كتاب ابن قتيبة .
(٢) الاقتضاب : ١٠٦ .

(أ) أنشد ابن قتيبة :

يقلن لقد بكيت فقلت كلا وهل يبكي من الطرب الجليد

قال : « هكذا نقل الينا عن أبي نصر هارون بن موسى عن ابي علي البغدادي رحمة الله عليهما والصواب فقلن بالفاء لأن قبله : « كتمت عواذلي ... » وأنشده ابو علي في النوادر : « فقالوا » — بتذكير الضمير وهو غير صحيح أيضا لان الضمير عائد على العواذل ، والمراد بهن النساء ... »[1] .

(ب) قال ابن قتيبة : ومن ذلك الاري ، يذهب الناس الى أنه المعلف . قال المفسر : هكذا رواه أبو علي — بكسر الميم وفتح اللام — وجعله بمنزلة الآلات وقال هو شيء منسوج من صوف يمدونه بين أيدي خيلهم . ووجدته مقيدا عن علي بن حمزة والسكري « معلف » — بفتح الميم وكسر اللام — لأنه مكان للاعتلاف ، وكل فعل على وزن فعل يفعل — بفتح العين من الماضي وكسرها من المستقبل — فان اسم المكان والزمان منه مفعل — بكسر العين — كالمضرب والمغرس[2] .

(ج) وقولهم أسود مثل حلك الغراب ، قال الاصمعي : سواده ، وقال غيره : أسود مثل حنك الغراب وقال : يعني منقاره . قال المفسر : وقع في كتاب أبي علي البغدادي أسود من حنك

(١) المصدر نفسه : ١٠٧ .
(٢) المصدر نفسه : ١١٦ .

الغراب وهو غلط ، لأن هذا يجري مجرى التعجب ، فكما لا يقال : ما أسوده فكذلك لا يقال هو أسود من كذا ، وقال أبو العباس ثعلب : هو أشد سوادا من حلك الغراب وحنك الغراب ، وهذا صحيح على ما يوجبه القياس[1] .

الى أمثال ذلك في غير موضع من كتابه ، وهذا لا يمنع أن يستأنس ابن السيد برأي القالي في الردّ على غيره من العلماء وخاصة على مؤلف الكتاب ، ابن قتيبة .

واما العامل الثاني وهو عامل الوهم الناشىء عن الحفظ فقد أثمر كتابا سمّاه مؤلفه أبو عبيد البكري « التنبيه على أوهـام أبي علي في أماليه » . ويمكن ان نردّ الوهم لدى القالي ــ فيما يرى البكري ــ الى مظاهر عدة منها :

١ ــ الخطأ في التفسير : فقد أنشد القالي :

ان الذئاب قد اخضرت براثنها والناس كلهم بكر اذا شبعـوا

فقال : يريد أن الناس كلهم عدو لكم اذا شبعوا كبكر بـن وائـل . قال البكري : لم يرد الشاعر هذا المعنى لأن الناس كلهم لم يكونوا عدوا لبني تميم ولا أقلهم وانما يريـد أن الناس اذا شبعوا هاجت أضغانهم وطلبوا الطوائل والترات في أعدائهم فكانوا لهم كبكر بن وائل لبني

(١) المصدر نفسه : ١٢٠ .

تميم[1] .

٢ — خطأ في الروايـة : أنشد أبو علي « وأهلك مهر أبيـك » ـ بفتح الكاف ـ وانما هو بكسرها لأن الحديث موجه الى أسمـاء في البيت السابق :

أأسماء لم تسألي عن أبيك والقوم قد كان فيهم خطوب[2] .

٣ — حين يجهل قائل الشعر ، ينسبه الى أعرابي ، من ذلك أبيات للأحوص الذي لم يدخل البادية أبدا[3] .

٤ — خلط شعر بشعر آخر لاتحادهما في الوزن والروي[4] .

٥ ـ نسبة الشعر الى غير قائله الاصلي[5] .

٦ — الخطأ في بعض اسماء الاعلام والأماكن كأن يقول سلمى في من اسمـه سلمي ، والثدي ـ بكسر الدال ـ في مـا اسمه الثدي ـ بفتحها[6] ـ . أو في النسبة : كقوله مالك بن الريب المزني وهو المازني[7].

٧ — خطأ في تفسير اللغة ، مثل قوله في تفسير « جافل » من قول الشاعر :

(١) التنبيه : ١٨ .
(٢) المصدر نفسه : ٢٠ .
(٣) المصدر نفسه : ٢٧ .
(٤) المصدر نفسه : ٣١ .
(٥) المصدر نفسه : ٣٧ .
(٦) المصدر نفسه : ٣٩ ، ٥٢ .
(٧) المصدر نفسه : ٥٥ .

كريـــم اذا لاقيته متبسما واما تولّى أشعث الرأس جافله

الجافل : الذاهب ، قال البكري : وهــذا تفسيــر لا يســوغ في هذا البيت ولا يجوز وأي مدخل للذهاب ها هنا ، وانما الجافل هنا مــن الجفال وهو الشعر الكثير[1] .

وقد تتبع البكري هذه الأخطاء وأمثالها حيثما وردت حسب ترتيب « النوادر » ولم يعن بتصنيفها تحت موضوعات محددة .

ولكن هذا التعقب لا يعنــي أن منزلة القالي قد نزلت في نفوس الاندلسيين ، فهناك دائما مجال للاعتذار عن الخطأ بالسهــو والوهم والنسيان ، وهذه هي طريقة أبي عليّ في الدقة العلميــة ، ولو ظهرت هذه الكتب في الردّ عليه وهو حيّ لسرّ من تنائج توجيهه وتدريسه . يقول البكري في مقدمته معتذرا عن التعقب على القالي : « وأبو علي ـ رحمه الله ـ من الحفظ وسعة العلم والنبل ومن الثقــة في الضبط والنقل بالمحل الذي لا يجهل ، وبحيث يقصر عنه من الثناء الأحفل ولكن البشر غير معصومين عن الزلل ولا مبرئين من الوهم والخطل ، والعالم من عدت هفواته وأحصيت سقطاته »[2] .

(١) المصدر نفسه : ٩٩ .
(٢) المصدر نفسه : ١٥ .

٥ — العوامل التقليدية وأثرها في الحركة اللغوية

قد عرضت في كل ما تقدم العوامل الجديدة التي أثرت في حياة اللغة ، وما تمخض عنها من مظاهر ومواقف تلبية للحاجتين النظرية والعملية . وتشكل هذه المظاهر والمواقف قضايا ثارت وتطلبت أجوبة . فماذا كان نصيب العوامل التقليدية من هجرة من الاندلس واليها ، ومن حلقات تدريسية ، ومن نشاط في التأليف ، اعني الثمرة العملية لكل تلك العوامل مجتمعة ، جديدة كانت او قديمة ؟

أ — لست أبعد عن الصواب حين أقرر أن الهجرة الى الاندلس في هذا العصر قد ازدادت عن ذي قبل رغم ما كانت تمنى به البلاد من قلق ومخاوف من الناحية السياسية . فقد تدخلت عوامل جديدة غير الحوافز المألوفة للهجرة والارتحال فجعلت الاندلس هدفا لطوائف مختلفة من المهاجرين . وفي مقدمة هذه العوامل الأحداث السياسية التي حلّت بمناطق أخرى من العالم الاسلامي يومئذ . فقد هاجمت قبائل العرب الهلالية مدينة القيروان عام ٤٤١/١٠٤٩ وقضت على عمرانها في أيام المعزّ بن باديس من بني زيري الصنهاجيين . وتشتت القيروانيون وطلبوا الملجأ حيث وجدوه ، ومنهم من لجأ الى صقلية ومنهم من هاجر الى الاندلس . ومن مشهوري المهاجرين الى الاندلس ابو الحسن الحصري وابن شرف القيرواني . وفي عام ٤٦٤/١٠٧٢ أخذ النورمان يهاجمون

جزيرة صقلية فطلب كثير من اهلها النجاة بأنفسهم ولجأ العدد الاكبر منهم الى الاسكندرية . غير ان بعضهم توجه الى الاندلس ، ومن مشهوري هؤلاء الشاعران ابن حمديس وابو العرب . ونلحظ انّ هؤلاء المهاجرين الذين لمعت اسماؤهم في الاندلس انما كانوا أشدّ اهتماما بالشعر والأدب والنقد منهم باللغة . ولكننا لا نعدم ان نجد بين المهاجرين جماعة اولوا اللغة وتدريس المعاني اهتماما ملحوظا . وهؤلاء أهم من نعرفهم من المهاجرين :

١ — اسماعيل بن أحمد بن زيادة الله التجيبي القيرواني[١] صاحب شرح المختار من شعر بشار . قراه في مالقة عام ٤٠٦/١٠١٥ وقد ألم به مرض تركه طريحا مدة من الزمن يمرّضه اثنان من رفاقه ، واذا جن الليل خفقت من حوله في احياء مالقة اوتار العيدان والطنابير والمعازف من كل ناحية[٢] . ويبدو انه أقام متنقلا في البلدان الاندلسية مدة من الزمن وقرأ عليه بعض أهلها كتاب « أدب الكتاب » لابن قتيبة . ولكن صفحات شرح المختار تدل بما اقتبسه من أشعار لأهل الاندلس على أن الاندلس أثرت فيه أكثر مما أثر فيها .

٢ — عثمان بن ابي بكر الصدفي السفاقسي[٣] . دخل الاندلس سنة ست وثلاثين واربعمائة (١٠٤٥ م) ، وفي هذا التاريخ نفسه دخل

---

(١) ترجمته في التكملة : ١٨٩ .
(٢) المختار من شعر بشار : ١٤ — ١٥ .
(٣) الصلة : ٣٨٧ ، جذوة المقتبس : ٢٨٥ .

قرطبة وأسمع الناس بها ، ثم تجول في بلاد الاندلس مدة سنتين وعاد الى قرطبة . قال ابن بشكوال : « وكان حافظا للحديث وطرقه ، واسماء رجاله ورواته منسوبا الى معرفته وفهمه . وكان يملي الحديث من حفظه ويتكلم على اسانيده ومعانيه ، وكان عارفا باللغة والاعراب ، ذاكرا للغريب والآداب ، ممن عني بالرواية وشهر بالفهم والدراية يجمع الى ذلك حسن الخلق ، وأدب النفس ، وحلاوة الكلام ، ورقة الطبع »[1] . وهذا الصدفي هو أوّل من أدخل كتاب غريب الحديث للخطّابي الى الاندلس . وكان في رحلته في المشرق قد لقي ابا العلاء المعري وروى عنه خطبة الفصيح[2] .

٣ ــ عليّ بن ابراهيم التبريزي المعروف بابن الخازن[3] . دخل الاندلس سنة ٤٢١/١٠٣٠ وبلغ طليطلة في السنة التالية . وكان من أهل العلم بالآداب واللغات ، سمع منه جماعة من علماء الاندلس .

٤ ــ محمد بن الحسن الحضرمي المرادي[4] . دخل قرطبة سنة ٤٨٧/١٠٩٤ ، وروى عنه بعضهم كتاب « فقه اللغة » لابي منصور الثعالبي مشافهة .

---

(١) المصدر نفسه : ٣٨٨ .
(٢) الجامع في اخبار ابي العلاء ١ : ٤٦٦ .
(٣) ترجمته في الصلة : ٤٠٦ .
(٤) ترجمته في الصلة : ٥٧٢ .

٥ ــ ابو الفضل الوزير محمد بن عبد الواحد التميمي البغدادي[١] . خرج من بغداد رسولا عن الخليفة القائم بأمر الله الى المعز بن باديس وفي طريقه مرّ بأبي العلاء ، وروى عنه السقط . ويسميه ابن السيد « شيخنا في شعر ابي العلاء »[٢] . وقد دخل الاندلس بعد اختلال الحال في القيروان ويقول الحميدي انه حظي عند ملوك الاندلس بأدبه وعلمه واستقر بطليطلة[٣] .

٦ ــ احمد بن الصنديد العراقي . روى عن المعري شعره ، وشرحه ودخل الاندلس ومدح الرؤساء والاكابر وكان اكثر مقامه عند بني طاهر[٤] .

٧ ــ عبد الدائم بن مرزوق بن جبر القيرواني ، ابو القاسم[٥] . وهو الشيخ الثاني لابن السيد في رواية شعر المعري . وقد توفي عبد الدائم بطليطلة سنة ٤٧٢/١٠٨٠ .

٨ ــ ولعل ابعد هؤلاء المهاجرين أثرا في الاندلس أبو الفتوح

(١) ترجمته في جذوة المقتبس : ٦٨ ، فهرسة ابن خير : ٤١٢ ، نفح الطيب ٤ : ١٠٨ ، وانظر : الجامع في اخبار ابي العلاء للجندي : ٤٦٩ ، الذخيرة ٤/١ : ٦٧ ،وابو العلاء وما اليه لعبد العزيز الميمني ٢٠٤ .

(٢) الانتصار : ٢١ .

(٣) جذوة المقتبس : ٦٩ .

(٤) ارشاد الاريب ٣ : ٨٦ ، بغية الوعاة : ١٣٥ .

(٥) انظر : بغية الملتمس : ٣٨٦ ، والانتصار : ٢٣ ، فهرسة ابن خير : ٤١٢ .

ثابت بن محمد الجرجاني[1] . فقد دخلها مبكرا عام ١٠١٥/٤٠٦ وكان يوم وصلها عالما ناضجا قد درس على مشاهير الشيوخ المشارقة كابن جني والربعي وابن السيرافي ، مشاركا في عدة علوم أبرزها بعد اللغة الفلسفة والمنطق كما كان حاذقا في حمل السلاح وأنواع الجندية والفروسية[2] . واتصل بأبي الجيش مجاهد العامري ، وخرج معه في غزوة الى سردانية، ثم عاد يطوف البلاد ويدرس العربيـــة ، فأملى في دانية كتابا في شرح الجمل للزجاجي ، كما درّس أيضا اختيار فصيح الكلام لثعلب ، أخذه عنه محمد بن هشام المصحفي . وكان الكتاب الذي يستعمله في التدريس بخط ابن خالويه . قال ابو الفتوح : « قابلت كتابي هــذا من الفصيح بخط ابن الكوفي وكان نسخ كتابه من خط ابن الانباري وقابله به »[3] . وروى المصحفي عنه أيضا شرح ابيات اصلاح المنطق لابن السيرافي ، وشرح ابيات الالفاظ له أيضا ، وشرح أبيات الغريب المصنف ، وكل هذه الكتب رواها ابو الفتوح عن ابن السيرافي ، وكان يقول : انه اعلم من ابيه باللغة والفقه والشعر والنحو[4] . وكذلك قرأ عليه كتاب الجمهرة لابن

---

(١) ترجمته في جذوة المقتبس : ١٧٣ ، الصلة : ١٢٧ ــ ١٢٨ ، والذخيرة ٤/١ : ٩٦ وبغية الوعاة : ٢١٠ ، والاحاطة ١ : ٢٨٥، معجم الادباء ٧ : ١٤٥ ــ ١٤٨ ، كشف الظنون : ٦٠٤ .

(٢) الاحاطة ١ : ٢٨٥ .

(٣) فهرسة ابن خير : ٣٣٨ .

(٤) المصدر نفسه : ٣٤٣ .

دريد [١] . وقرأ أيضا عليه شعر أبي الطيب المتنبي [٢] . وقد أخذ عن ثابت كثير من الاندلسيين وشهد له علماؤها ومؤرخوها بالتقدم فيما كان يحسنه من علوم فقال فيه أبو مروان بن حيان : « ولم يدخل الاندلس أكمل من أبي الفتوح في علمه وأدبه » [٣] . وقال ابن زيدون : « لقيته بغرناطة فأخذت عنه أخبار المشارقة وحكايات كثيرة وكان غزير الأدب قويّ الحفظ للغة نازعا الى علم الاوائل من المنطق والنجوم والحكمة له بذلك قوة ظاهرة » [٤] . ومما قرأه عليه ابن زيدون نفسه الحماسة في أشعار العرب روايته لها عن عبد السلام البصري [٥] .

غير أن طموح ثابت جعله ينغمس في حياة الأندلس السياسية وكانت نهايته أن قتله باديس صاحب غرناطة سنة ٤٣١/١٠٤٠ [٦] (فتكون اقامته بالاندلس قرابة ربع قرن) .

ولم تكن الاندلس قبلة المعلمين وحدهم بل أصبحت مطمح الدارسين من أقطار أخرى . فنجد بعض المهاجرين الى الاندلس يتتلمذون على علماء الاندلس في اللغة ، من ذلك : العزّ بن محمد [٧] (— ٤٨٨ /

(١) المصدر نفسه : ٣٤٩ .
(٢) المصدر نفسه : ٢٠٤ .
(٣) الاحاطة ١ : ٢٨٥ .
(٤) المصدر نفسه .
(٥) المصدر نفسه ١ : ٢٨٦ .
(٦) جاء خبر مقتله مفصلا في الاحاطة ١ : ٢٨٦ — ٢٨٨ .
(٧) الصلة : ٤٢٩ .

١٠٩٥) ، وأصله من العدوة . فانه أخذ كثيرا من كتب اللغة والآداب عن ابي القاسم بن الافليلي . كذلك المبارك بن سعيد البغدادي المعروف بابن الخشاب[١] (بعد ٤٩٠/١٠٩٧) فانه بعد ان قدم الاندلس تاجرا سنة ٤٨٣/١٠٩٠ جلس يسمع كتاب النوادر للقالي من ابي مروان بن سراج .

ب — أما في الهجرة من الاندلس ، فان اللغويين الذين ذكرتهم المصادر قلما قرنت بهم خبرا عن الرحلة الا في النادر ، وربما دل هذا على الاكتفاء الذاتي في علم اللغة ، وسهولة وصول الكتاب المهاجر بدلا من الرحلة في لقاء العلماء . ولعل ابرز ما نقف عنده من أخبار رحلة الاندلسيين الى المشرق ذلك الاهتمام الذي أبداه الاندلسيون بابي العلاء المعري ومؤلفاته فقد كان كثير ممن يرحل حريصا على لقائه والرواية عنه[٢] . ومؤلفات المعري مصدر هام للغة مثلما هي زاد ادبي أيضا . وقد سرد ابن عبد الغفور الكلاعي اسماء كتب ابي العلاء التي هاجرت في هذا العصر الى الاندلس في كتابه « احكام صنعة الكلام » ، فعدّ منها كتاب القائف والصاهل والشاحج وشرحه ، والفصول والغايات ، والسجع السلطاني ، ورسالة الغفران ، ورسالة الفلاحة ، ورسالة الاغريض ، وسقط الزند ، واللزوميات ، وكتاب الاستغفار الخ[٣] . وقد اصبحت هذه

(١) المصدر نفسه : ٥٩٩ .
(٢) راجع اسماء بعض هؤلاء الاندلسيين في : جامع اخبار ابي العلاء: ٤٥٨ وما بعدها .
(٣) انظر : احكام صنعة الكلام:١٣٨ — ١٣٩ ،وتعريف القدماء :٤٥٣ .

الكتب نموذجا أدبيا رفيعا مثلما غدت مجالا للدراسة والشرح والتعليق.

جـ — واذا قارنا بين هذا العصر والعصر السابق وجدنا ان المظاهر الثلاثة الكبرى التي تحدثنا عنها ، أعني : التدريس والمناظرة والتأليف ، قد تضاءل فيها المظهر الثاني ، وكانت أبرز نشاطات هذا العصر ذاهبة في تيارين هما التدريس والتأليف . ولعل انشغال الأذهان بنشوء دعوة ابن حزم الظاهرية ووفود بعض المذاهب الكلامية ، كالمذهب الأشعري ، بقوة الى الاندلس قد قوّيا المناظرات المذهبية والكلامية ، وحجبا عنا ، أو أضعفا ، المناظرات اللغوية .

وقد رأينا كيف تعددت المراكز العلمية فكثر عدد المدرسين وظهر بوضوح المدرس المتجوّل مثل : ابراهيم بن ابي الفضل بن صواب (ـ ٥٠٦/١١١٢) تلميذ ابن سيده ، الذي كان يتجول في البلاد معلما بها[1] ومثل كثيرين غيره .

واذا كنّا نميّز بعض العلماء بالشهرة في التأليف على الرغم من عملهم في التدريس مثل :ابن سيده وابن السّيدفان من الحق ان نميّز كبار الاساتذة المدرسين الذين تخرج على ايديهم اكبر عدد من طلاب هذا العصر . ولعل الذين ذهبوا بأكثر الشهرة في هذا الميدان أربعة هم :

---

(١) التكملة : ١٤٠ .

١ ــ ابن الافليلي ، ٢ ــ ابن سراج ، ٣ ــ ابو الوليد الوقشي ، ٤ ــ الأعلم الشنتمري .

١ ــ اما ابن الافليلي فهو ابراهيم بن محمد بن زكرياء بن مفرج ابن يحيى بن زياد بن عبدالله بن خالد بن سعد بن ابي وقاص القرشي الزهري[1] . ويبدو من هذا ان ابراهيم بن محمد يعود في نسبه الى أصل عربي صحيح وأن جدّه الصحابي القائد سعد ابن أبي وقاص .

ويرى بعض المؤرخين ان لقبه هــذا ، ابن الافليلي ، قد ورثه عن بلدة في الشام يرجع أصله اليها[2] . ولا يذكر المؤرخون مــن هــو الجد الذي انتسب اليه ، والذي كان يسكن افليلا .

وابن الافليلي من أهل قرطبة ، ولم يذكر واحد مــن المؤرخين ، الذين راجعت مؤلفاتهم ، صراحة ، ان ابن الافليلي ولد فيقرطبة ، ولكنّ ذلك يفهم من اجماعهم على انه « قرطبيّ » وانه كــان متصدرا للعلم ببلده ، أي قرطبة . فقد ولد فيها عام ٣٥٢/٩٦٣ وطلب العلم على مشاهير

---

(١) انظر ترجمته في : الصلة : ٩٤ ــ ٩٥ ، بغية الملتمس : ١٩٩ ، انباه الرواة ١ : ١٨٣ ــ ١٨٤ ، وفيات الاعيان ١ : ٣٣ ــ ٣٤ ، بغية الوعاة : ١٨٦ ، معجم البلدان ١ : ٢٣٢ ، معجم الادباء ٢ : ٤ ــ ٩ ، شذرات الذهب ٣ : ٢٦٦ (حوادث سنة ١٠٤٩/٤٤١).

(٢) والافليلي ــ بكسر الهمزة ، وسكون الفاء ، وكسر اللام ، وسكون الياء المثناة من تحتها ، وبعدها لام ثانية ــ هذه النسبة الــى الافليل ، وهي قرية بالشام كان أصله منها . انظر : وفيات الاعيان ١ : ٣٤ ، وانظر أيضا : الصلة ١ : ٩٤ ، شذرات الذهب ٣ : ٢٦٦ .

الشيوخ فيها ، فكان تلميذا للزبيدي وابن ابي الحباب واحمد بن أبان ابن سيّد ، وهم أبرز تلامذة القالي . فدرس عليهم وعلى غيرهم من العلماء يومئذ ، فأخذ كتاب معاني الحروف واقسامها عن الحسين بن الوليد النحوي المعروف بابن العريف ، وكتاب الكامل وكتاب الغريب المصنف وكتاب الالفاظ ليعقوب عن ابن سيّد ، وكتاب ادب الكتاب وكتاب فائت الفصيح عن ابن ابي الحباب ، وكتاب لحن العوام عن الزبيدي[1] . واستكثر من الدراسة على هؤلاء الاعلام حتى غدا حجة فيما وقف له جهده ، وحتى قال فيه ابن بسام : « بذّ اهل قرطبة في علم اللسان العربي والضبط لغريب اللغة في ألفاظ الاشعار الجاهلية والاسلامية ، والمشاركة في بعض معانيها . وكان غيورا على ما يحمل من ذلك الفن كثير الحسد فيه ، راكبا رأسه في الخطأ البين اذا تقلده او نشب فيه ، يجادل عليه ، ولا يصرفه عنه صارف »[2] . ومع هذا الاطلاع الواسع ، ظلّ مفتقرا الى علم كان بحكم مهنته في اشد الحاجة اليه ، وذلك هو علم العروض[3] . وكان يزيد من حاجته الى هذا العلم أنّه لم يكتف بتدريس اللغة ، بل تصدّى للنقد والكلام في أقسام البلاغة ، اي تصدّى لتعليم البيان[4] . وهذا هو الذي أثار ثائرة ابن شهيد وجعله

---

(١) فهرسة ابن خير : صفحات متفرقة .
(٢) الذخيرة ١/١ : ٢٤٠ .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) بغية الملتمس : ١٩٩ ، انباه الرواة ١ : ١٨٣ .

يتخذ من ابن الافليلي محطا لسخريته ، بل يصوره بصورة مضحكة في رسالة التوابع والزوابع . ولا ريب في ان ابن شهيد لم ينصف ابن الافليلي في هذه الحملة ، فقد شهد له بعض معاصريه بأنه كان عظيم السلطان على شعر حبيب الطائي وابي الطيب المتنبي ، وأنّه كان اشدّ الناس انتقاء للكلام ومعرفة برائعه[1] . وحسبك بهذا شهادة على ان الرجل لم يكن يحسن تدريس اللغة فحسب وانما كان يجمع الى ذلك ذوقا أدبيا مسعفا على النقد .

وقد ظل ابن الافليلي قطبا لحلقة تجمع كثيرا من الطلبة في قرطبة الى ان حدثت الفتنة البربرية فقضت على كثير من العلماء بالتشرد ، وعلى مجالس العلم بالكساد . ويبدو أن شيئا من هذا أصاب ابن الافليلي فأخذ يبحث عن رزقه بالتقرب لامراء بني حمّود في قرطبة ، او كما يقول ابن بسام ، « فازدلف الى الامراء الى ان نال الجاه »[2] . ثم عادت الخلافة الاموية الى قرطبة في شخص المستكفي فاتخذ ابن الافليلي كاتبا عنده . وكانت هذه الحادثة امتحانا عمليا لما كان يدرسه ابن الافليلي نظريا ، فسقط في الامتحان « لأنه كان على طريقة المعلمين المتكلفين »[3] .

وبعد المستكفي تولّى أمر قرطبة في هذه الفترة القلقة هشام

(١) الصلة : ٩٤ .
(٢) الذخيرة ١/١ : ٢٤١ .
(٣) المصدر نفسه ، ومعجم الادباء ٢ : ٧ .

المعتد[3] . ويبدو ان هشاما هذا تقرب الى قلوب العامة بمطالبة بعض المفكرين مثل ابن عاصم والبسباسي والحمار ، وكان ابن الافليلي واحدا من هؤلاء المطلوبين فأخذ وسجن . ويدل نص ابن بسام حين يقول : « ولحقته تهمة في دينه » ، على ان الأمر كان متصلا بشيء من دراسة الفلسفة او المنطق . وهؤلاء الذين يسميهم ابن بسام « الاطباء » لا يمكن ان نفهم سبب تتبعهم الا ان فهمنا ان اللفظة تعني الفلاسفة او المشتغلين بعلوم الاوائل ،اذ لم يحدث ابدا ان كان الأطباء محط تهمة،او هدفا لاضطهاد الحكام . ولا بد ان تكون هذه التهمة كذلك ، اعني ذات صلة بالدراسات الفلسفية ، والا لما استطعنا ان نوفق بين معنى التهمة في الدين وبين قول فقيه محدث مثل ابن بشكوال في الثناء على ابن الافليلي : « وكان صادق اللهجة حسن الغيب صافي الضمير حسن المحاضرة مكرما لجليسه »[1] .

تطاول العمر بابن الافليلي فتجاوز به فترة القلق في حياة قرطبة ، وعاش حتى شهد بلده يعيش في ظل الحكومة الثورية التي أوجدها الجهوريون ، وتوفي عام ٤٤١/١٠٤٩ .

هل تجاوز نشاط ابن الافليلي ميدان التدريس ؟ يبدو ان ابن شهيد اتخذ ابن الافليلي نموذجا لمعلمي اللغة ، فاتهمهم جميعا بانهم يعجزون عن التأليف فقال : « ومن دليل تقصير عصابة المعلمين انهم لا

(١) الصلة : ٩٤ .

يقدمون ان يجعلوا ما يحملون من المعرفة تصنيفا ، ولا تغزر مادتهم ان ينشئوها تأليفا »[1] . ورسخت هذه التهمة في ذهن ابن بسّام فتأتّى اليها بقوله : « وما بلغني أنّه ألّف في شيء من فنون المعرفة الا كتابه في شعر المتنبي لا غير »[2] . والحق ان شرح ابن الافليلي لديوان المتنبي هو أشهر ما عرف له ، وقد اثنى عليه الذين ترجوا له بالجودة[3] .

وتخرج على يدي ابن الافليلي تلامذة كثيرون منهم : ابو مروان عبد الملك بن زيادة الله الطبني ، والعلاء بن ابي المغيرة بن حزم ، وابن سراج[4] .

٢ ــ ابو مروان عبد الملك بن سراج[5] (ــ ٤٨٩/١٠٩٦) . شهر عن بني سراج انهم من موالي الأمويين ، ولكن ابا مروان كان ينكر ذلك ويقول انهم من العرب صليبة ، من كلب بن وبرة . وقال ابن بسام : من كلاب بن ربيعة ، وانما أصابهم سباء في القديم . وكانت عائلتهم متصلة الشهرة والنباهة في الاندلس على الرغم من ابتعادهم عن خدمة الدولة ، واقتصارهم على سياسة ضياعهم المغلّة . وربما تضعضعت حالهم بعض الشيء في الفتنة البربرية فعادوا بعدها الى التماسك . وفي عهد الفتنة

---

(١) الذخيرة ١/١ : ٢٠٩ .
(٢) المصدر نفسه ١/١ : ٢٤١ .
(٣) انظر : انباه الرواة ١ : ١٨٣ ، معجم الادباء ٢ : ٥ .
(٤) بغية الملتمس : ١٩٩ ، الصلة ١ : ٩٥ .
(٥) ترجمته في : الذخيرة ١/٢ : ٣٠٧ ، الصلة : ٣٤٦ ، المغرب ١ : ١١٥ ، الديباج المذهب : ١٥٧ ، انباه الرواة ٢ : ٢٠٧ .

نفسها ولد عبد الملك ونشأ في قرطبة فلم يشهد من عمرانها السابق ولم يعلم عنه الا ما كان يحدثه به أهله ، فانصرف الى العلم على بقية الشيوخ يومئذ كابن الافليلي والمؤرّخ ابي مروان بن حيان . وأطاعته ملكته في ميدان اللغة فتفوق فيها تفوقا ملك اعجاب معاصريه . وكان يجمع الى علمه متانة في دينه ، وسماحة في خلقه ، وبعدا عن العجب والخيلاء ، وقدرة على الافهام . وبذلك اجتذب اليه الدارسين من كل صوب . وعاش تسعا وثمانين سنة ، وظل الى آخر حياته حسن البنية ، سليم الحواس ، متوقد الذهن ، سريع الخاطر ، يقرأ دقيق الخط ، ويثابر على المطالعة[1] . وقال فيه احد تلامذته : « كان بحر علم ، عالما بالتفاسير ومعاني القرآن ومعاني الحديث ، أحفظ الناس للسان العرب ، واصدقهم فيما يحمله ، واقومهم بالعربية والاشعار والاخبار والانساب والايام ، عنده يسقط حفظ الحفاظ ، ودونه يكون علم العلماء ، فاق الناس في وقته ، وكان حسنة من حسنات الزمان ، وبقية من الأشراف والاعيان »[2].

واذا كنا قد وجدنا لابن الافليلي نشاطا في التأليف يسيرا فان المصادر تسكت عن ذكر اي مؤلف لابن سراج . وكل ما نعرفه من جهوده ، سوى التدريس ، قول ابن بسّام : « واحيى كثيرا من الدواوين الشهيرة الخطيرة ... واستدرك فيها اشياء من سقط واضعيها ، ووهم

(١) الذخيرة ١/٢ : ٣١٠ .
(٢) الصلة : ٣٤٦ .

مؤلفيها ككتاب البارع لابي علي البغدادي ، وشرح غريب الحديث للخطابي وقاسم بن ثابت السرقسطي ، وكتاب أبيات المعاني للقتبي ، وكتاب النبات لابي حنيفة ، وغير ذلك من الكتب مما لم يحضرني ذكره، ولم يمكن حصره ، اذ كانت قبل فتحها عليه ، واصلاحها بين يديه ، طامسة الاعلام ، مختلّة النظام ، وقد سدّ التصحيف طرقها ، وعوّر التبديل نسقها ، ففتح مستغلقها ، ونظم مفترقها ، وعانى خللها ، وأزاح عللها ، وقيدّ مهملها »[1] . وواضح ان ابن بسام يذهب في كلامه مذهب التهويل ، والا فان هذه الكتب قد تداولها العلماء ودرسها الطلبة قبل ابن سراج ، ولم تكن طامسة الاعلام ، او مختلّة النظام ، وانما الذي يهمنا في هذا النص دلالته على أنّ ابن سراج كان مهتما بالاستدراك على كتب من سبقه . وأيّا كان الأمر فان أمثال ابن سراج انما يؤثرون في مجال العلم بعناصر شخصياتهم اكثر مما يؤثرون بمؤلفاتهم . وقد شهد له عارفوه بأنه كان « وقور المجلس مهيبا متواضعا على اتساع علمه »[2] ، فكانت الرحلة في ذلك الوقت اليه حتى عدّ امام اللغة في الاندلس غير مدافع[3] . وقد سرد لنا ابن خير قائمة طويلة بالكتب التي أخذها ابن سراج عن أستاذه أبي سهل الحراني وقائمة أخرى بالكتب التي درسها عليه تلميذه أبو علي الغساني[4] ، وكلها من كتب الشعر .

---

(١) الذخيرة ٢/١ : ٣٠٩ — ٣١٠ .
(٢) الصلة : ٣٤٦ ، انباه الرواة ٢ : ٢٨٠ .
(٣) الصلة : ٣٤٦ .
(٤) فهرسة ابن خير : ٣٩٧ .

٣ – ابو الوليد هشام بن أحمد الوقشي[1] (– ١٠٩٦/٤٨٩) ينسب الى وقّش ، وهي قرية بخارج طليطلة ، بينهما اثنا عشر ميلا . ولم تكن معارفه قاصرة على اللغة والنحو بل كان واسع الاطلاع على فنون المعارف والعلوم في عصره . فهو كما وصفته المصادر من أعلم الناس بالنحو واللغة ، ومعاني الاشعار ، وعلم العروض ، وصناعة البلاغة ، بصير بأصول الاعتقادات وأصول الفقه ، نافذ في علم الشروط والفرائض ، متحقق بعلم الحساب والهندسة والمنطق ، مشرف على آراء الحكماء . ويجمع الى هذا الاطلاع الواسع حسن المعاشرة ولين الكنف وصدق اللهجة . وفي دولة المأمون بن ذي النون أصبح قاضيا لمدينة طلبيرة ، من ثغور طليطلة . ذلك هو ما تحدثنا به المصادر ، دون ان تضيف اي شيء يتصل بوجهته في التأليف او بتلامذته الآخذين عنه .

٤ – أبو الحجاج يوسف بن سليمان الأعلم الشنتمري[2] (– ١٠٨٣/٤٧٦) ، وهو منسوب الى شنتمرية الغرب ، هاجر من بلده الى قرطبة عام ١٠٤٢/٤٣٣ فدرس فيها على ابن الافليلي وعلي ابي سهل الحراني : درس على هذا الثاني الاشعار الستة الجاهلية وأخذ عنه أيضا شعر السليك وقصيدة عمرو بن كلثوم وقصيدة لقيط بن معمر الايادي

---

(١) ترجمته في الصلة : ٦١٧ ، المطرب : ٢٢٣ ، بغية الملتمس : ٤٧٠ ، طبقات الأمم : ٧٤ .
(٢) ترجمته في الصلة : ٦٤٣ – ٦٤٤ وبغية الوعاة : ٤٢٢ .

وشعر الاسود بن يعفر وشعر حاتم وشعر زيد الخيل[1] ، حتى أحكم اللغة واقبل بالاهتمام على معاني الشعر خاصة ، ثم استدعاه المعتضد الى اشبيلية وفي ظله ألّف اكثر المؤلفات ، فهو يذكر في مقدمة شرحه لأبيات سيبويه أنه ألفه بطلب من المعتضد ، كذلك يذكر ابن عذاري أنه الف له شرح الحماسة وشرح الاشعار الستة[2] .وكانت الرحلة في وقته اليه ، ويبدو أنه ظل مقيما باشبيلية الى آخر أيام حياته ، وكف بصره في آخر عمره وكانت سنه يوم توفي تناهز الثالثة والستين ، ومن أشهر تلامذته ، وهم عديدون ، أبو علي الغساني .

---

(١) فهرسة ابن خير : ٣٩٨ .
(٢) البيان المغرب ٣ : ٢٨٤ ، وانظر ايضا فهرسة ابن خير ٣١٤ — ٣١٥ ، الذي اضاف ، المخترع في النحو ، وكتاب المسألة الرشيدة والمسألة الزنبورية ، وجزء فيه مختصر الانواء .

الفصل الخامس

حركة التأليف اللغوي ووجهاته في هذا العصر

اولا ــ صورة عامة

لا يقل هذا العصر عن العصر السابق غنى في المؤلفات ، وان كانت هذه أقل تنوعا . وفي سبيل أن نرسم صورة تصلح للمقارنة بالعصر السابق أدرج ها هنا ثبتا باسماء المؤلفين ومؤلفاتهم في هذا العصر :

١ ــ ابن الافليلي[1] (ــ ٤٤١/١٠٤٩)

١ ــ شرح ديوان المتنبي[2] . وصفه بعضهم بأنه حسن او

---

(١) انظر ما سبق من هذا الكتاب ص : ٣٠٣ .

(٢) مخطوطة برلين ٧٥٦٩ ، مكتبة القرويين بفاس ١٣٤٨ ، المتحف البريطاني ثاني : ١٠٤١ ، الرباط ٣٢٤ ، قطعة منه بمكتبة داود بالموصل ٢٣ رقم ٩. (انظر بروكلمان ٢ : ٨٩) .

مشهور او جيد .

٢ ـ الحسن بن محمد بن عليم البطليوسي[١] .

٢ ـ شرح كتاب أدب الكتاب لابن قتيبة .

٣ ـ الحسن بن علي بن محمد الطائي المرسي[٢] (ـ ٤٩٨/١١٠٥)

٣ ـ المقنع في شرح كتاب ابن جني .

٤ ـ سعيد بن عيسى الأصفر[٣] (ـ حوالي ٤٦٠/١٠٦٨)

٤ ـ شرح كتاب الجمل للزجاجي .

٥ ـ ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري[٤] (ـ ٤٨٧/١٠٩٤)

٥ ـ اللآلي في شرح الأمالي[٥] .

٦ ـ فصل المقال في شرح كتاب الامثال[٦] .

٧ ـ التنبيه على أوهام ابي علي في أماليه[٧] .

---

(١) درس ببلدة بطليوس على ابن الغراب وغيره ، وكان مقدما في علم اللغة والأدب والشعر (الصلة : ١٣٧) .
(٢) مرسي عرف بالفقيه الشاعر (الصلة : ١٣٧) .
(٣) من ساكني طليطلة ، كان عالما بالنحو واللغة والاشعار (الصلة : ٢١٨) .
(٤) انظر ثبت تراجمه في ما يلي من هذه الرسالة (اتجاهان كبيران في التأليف) .
(٥) نشره عبد العزيز الميمني ـ القاهرة ١٩٣٦ .
(٦) حققه الدكتور احسان عباس والدكتور عبد المجيد عابدين ـ الخرطوم ١٩٥٨ .
(٧) طبع في مصر ١٩٢٦ ، ط . دار الكتب المصرية .

٨ _ صلة المفصول في شرح ابيات الغريب المصنف لأبي عبيد[١] .

٩ ـ اشتقاق الاسماء[٢] .

١٠ ـ شفاء عليل العربية[٣] .

٦ ـ عبدالله بن محمد بن السيد[٤] .

١١ ـ شرح سقط الزند .

١٢ ـ الاقتضاب في شرح ادب الكتاب .

١٣ ـ اصلاح الخلل الواقع في الجمل[٥] .

يمتدح ابن السِّيد[٦] كتاب الزجاجي لانه « نزع به المنزع الجميل» و « حذف الفضول واختصر الطويـل » . غير انه يذم فيـه افراطه في الايجاز والاختصار ، كما انه يأخذ عليه عدم الدقة ، والقاء القول دون تفحص ، وقبول الآراء بغير مناقشة ، وسوء العبـارة احيانا . ولم يكن ابن السِّيد اول من اعترض واتنقد ، بل سبقه غيره « الى الاعتـراض

(١) فهرسة ابن خير : ٣٤٣ .
(٢) بغية الوعاة : ٢٨٤ .
(٣) كشف الظنون : ١٠٥٠ .
(٤) انظر ثبت تراجمه فيما يلي منهذا الكتاب (اتجاهـان كبـيران في التأليف) .
(٥) منه نسخة في برلين : ٦٤٦٣ ، ليدن ١٤٢ ، القاهرة ثاني ٢ : ٧٦ (انظر ، بروكلمان ٢ : ١٧٤) . وقد اورد حاجي خليفة وصفا للكتاب ، كشف الظنون : ٦٠٣ .
(٦) مخطوطة دار الكتب المصرية .

عليه وتخطئته في بعض ما نحا اليه ... » .

ويقف ابن السيد عند حدود التنبيه على الغلط واكتشاف الاختلال ، وهو لا يحاول ان يستوفي النقص في كلام الزجاجي و « ما لم يذكره من انواع هذا العلم واقسامه »[1] . ويستغرق هذا التتبع في مخطوطة دار الكتب المصرية بين الورقة ٢/و الى آخر الورقة ٧٦/و .

من خصائص الكتاب :

أ — يبدأ بذكر المسألة التي يعترض عليها ، ثم يأتي الجواب بعد عبارة : « قال المفسّر » .

ب — قلّ ان يذكر اسماء النحويين او يشير الى كتبهم .

ج — غلبت على الكتاب الشواهد الاصطناعية .

د — جاءت آراؤه جازمة تبرز شخصيته واعتداده بنفسه : « .. هذا التقسيم خطأ .. والصحيح .. » .

هـ — لما كان القصد من الكتاب تتبع اخطاء الزجاجي فقد تتبعه في عبارات ليست خاطئة ، او هي تحتمل اكثر من تفسير واحد .

١٤ — الحلل في شرح أبيات الجمل[2] .

---

(١) راجع مقدمة المخطوطة .
(٢) كشف الظنون : ٦٠٣ . ومن الكتاب نسخة في ، القاهرة ثاني ٢ : ١٠٤ ، راغب ١٣١٩ (انظر ، بروكلمان ٢ : ١٧٤) .

لما انتهى ابن السِّيد من كتابه « اصلاح الخلل » اراد ان يتم عمله بكتاب ثان يتناول فيه اعراب ابيات جمل الزجاجي ، وشرح معانيها ، وذكر اسماء قائليها . وقد قصد من ذلك ان يصل « كل بيت منها ما يتصل به ليكون ابين لغرض قائله ومذهبه » . وابن السِّيد يحس بانه يستطيع ان يكون ذا نفع ، برغم ان غيره قد تحدث في هذا المجال ، فقد يكون لكلامه « مزية على سواه وزيادة فائدة لمن وقف عليه ورآه .. »[1].

ويستغرق هذا الكتاب الثاني (وقد سماه الحلل) من مخطوطة دار الكتب المصرية بين الورقة ٧٦/ظ الى آخر ١٥٠/و ، وهي آخر الكتاب .

من خصائص الكتاب :

أ — يرد الشاهد لصاحبه ، ويذكر ، اذا تعددت الروايات في نسبة البيت ، اسماء الشعراء الذين ينسب البيت اليهم .

ب — ينتقل الى التفسيرات اللغوية والتحقيقات النحوية حين يرد ما يستوجب ذلك من اشارة او كلمة او اسم او غير ذلك .

ج — يستشهد بالقرآن والاحاديث والشعر القديم .

د — يروي عن العلماء ويذكر اسماء الكتب التي يأخذ عنها .

ه — يرصف الآراء المختلفة دون ان يكون له شخصية مميزة في هذا الجانب من الكتاب .

(١) مخطوطة دار الكتب المصرية : ورقة ٧٦/ظ وما بعدها .

١٥ — شرح ديوان الشعراء الستة[١] .

١٦ — شرح ديوان المتنبي[٢] .

١٧ — المسائل المنثورة في النحو[٣] .

١٨ — كتاب في الحروف الخمسة : السين والصاد والضاد والظاء والدال ، جمع فيه كل غريب[٤] .

١٩ — المثلث في اللغة ، ذكرت المصادر انه يقع « في مجلدين اتى فيه بالعجائب ودلّ على اطلاع عظيم . فان مثلث قطرب في كراسة واحدة ، واستعمل فيه الضرورة وما لا يجوز ، وغلط في بعضه »[٥] . غير ان المخطوطة[٦] التي راجعتها اظهرت ما يلي :

يقع الكتاب ، وهو بخط اندلسي انيق ، جيد الضبط ، مشكول في معظمه ، في تسع وخمسين ورقة من القطع الكبير . والنسخة مبتورة ومخرومة ، وفيها الحروف التالية : الألف ، الباء ، التاء ، الثاء ، الجيم ،

---

(١) مخطوطة فيض الله رقم ٩٤٠ (بروكلمان ، ١ : ٨٨) .
(٢) بغية الوعاة : ٢٨٨ .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) شذرات الذهب ٤ : ٦٥ ، ومنه نسخة في مكتبة راغب ١٤٣١ (بروكلمان ، ط . ليدن ، الملحق ١ : ٧٥٨) .
(٥) وفيات الاعيان ٢ : ٢٨٢ ، وانظر شذرات الذهب ٤ : ٦٥ ، وفهرسة ابن خير : ٣٦٢ . ومن الكتاب نسخة مخطوطة في مكتبة عاطف افندي : ٢٧٥٤ ، ولالي : ٣٦١٦ ، والقاهرة ثاني : ٣٤ ، (انظر بروكلمان ، ط . ليدن ، الملحق ١ : ٧٥٨) .
(٦) نسخة بدار الكتب المصرية : مجاميع ش ٣ .

الحاء ، الخاء ، الدال ، الذال ، الراء ، الزاي ، الطاء ، الظاء ، الكاف ، اللام ، الميم ، النون ، الصاد ، الضاد ، العين . والحرفان الاول والاخير غير تامين .

وهو من كتب المثلثات ، صنفه ابن السِّيد على حروف المعجم وفق الترتيب المغربي . وصنف المفردات داخل كل حرف في قسمين ، وسمى الحرف بابا . فصار منهجه كما يلي :

١ — قسَّم كتابه الى ابواب وفق الحروف

٢ — جعل كل باب في قسمين :

أ — الواحد لما اتفقت معانيه

ب — والآخر لما اختلفت معانيه

مثال : « حرف التاء :

باب المثلث المتفق المعاني . كلمة . يقال : ابي قائلها بـ لا تَما وتِما وتُما . قال الراعي يصف ابلا :

حتى وردن لتِمٍّ خمس بائص   جُدا تعاوره الريــاح وبيلا

باب المثلَّث المختلف المعاني . وهو ست كلمات . التَّرب والتِّرب والتُّرب . التَّرب بفتح التـاء مصدر تربت الرجل اذا ضربت ترائبـه ، وتربتُ الكتاب اذا وضعتُ عليـه تراباً . والتِّرب بكسر التاء اللدة . والتُّرب بالضم التراب .. الخ . » .

ومن خصائص هذا الكتاب :

أ — كثرة التحقيقات اللغوية والنحوية فيه .

ب — الاستشهاد بالشعر القديم والقرآن والحديث .

جـ — نقل آراء اللغويين والتمثل بأقوالهم وذكر اسمائهم .

د — شخصية المؤلف واضحة ، فهو لا يكتفي بالنقل ، بل يناقش الآراء المختلفة ، ويرجح منها ما يراه موافقا لقواعد اللغة ومأثور النصوص .

٣٠ — كتاب المسائل والاجوبة[1] . وهو يشتمل على مسائل كان ابن السيد قد سئل عنها فكتب اجوبته وألف من مجموع الاجوبة كتابا ضخما يتناول ما ينيف على مائة مسألة . ويبدو ان الكتاب كان مجموعة لمسائل قليلة عرضت لابن السيد في مناقشاته ومجالسه ، ثم لما اخذت هذه المسائل تعظم وتكثر فكر في جمعها وجعلها في كتاب ، غير انه أدرك ان هناك مزيدا من المسائل ستبرز مع الايام فقال : « وهذا التأليف معرض للزيادة فيه ، اذ كان السؤال يوجب ذلك ويقتضيه ولا تمام له ولا انقضاء حتى يشارف العمر الانتهاء »[2] .

وتغلب على الكتاب الناحية اللغوية ، وطريقته فيه لا تختلف عما اخذ به كتابيه شرح سقط الزند والاقتضاب . والحكم الدقيق غير متيسر ، اذ ان

(١) نشر جزء من المسائل مع رسائل اخرى لمؤلفين اخرين بتحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي (بغداد ١٩٦٤) . ومنه نسخة بالاسكوريال رقم : ١٥١٨ ونسخة أخرى بعنوان « الاسئلة » في القرويين رقم : ١٢٤٠ (بروكلمان : الملحق ١ : ٧٥٨) .

(٢) رسائل في اللغة : ١١٤ .

المنشور ثلاث مسائل فقط من أصل مائة مسألة .

٢١ ـ الاسم والمسمى[1] .

٢٢ ـ ابيات المعاني[2] .

٢٣ ـ التنبيه على الاسباب الموجبة لاختلاف الامة[3] . وفي هذا الكتاب مباحث لغوية .

٢٤ ـ التذكرة الادبية[4] .

٢٥ ـ رد ابن السيد على اعتراضات ابن العربي عليه في شرح شعر المعري[5] .

٧ ـ ابن سيده

٢٦ ـ الانيق في شرح الحماسة[6] .

٢٧ ـ شرح ديوان المتنبي[7] .

---

(١) منه نسخة مخطوطة في مكتبة فيض الله : ٢١٦١ (انظر بروكلمان ، ط . ليدن ، الملحق ١ : ٧٥٨) .

(٢) انظر خزانة الادب ١ : ٩ ، (وقد ذكره بروكلمان ، ط ليدن الملحق ١ : ٧٥٨) .

(٣) الصلة ١ : ٢٨٢ ، الديباج المذهب : ١٤١ . وقد طبع الكتاب في القاهرة سنة ١٩٠٢/١٣١٩ ، ومنه نسخة مخطوطة في مكتبة شهيد علي : ١١١٤ ، وفيض الله : ٢١٦١ ، (انظر بروكلمان ط ليدن الملحق ١ :٧٥٨) .

(٤) انباه الرواة ٢ : ١٤٢ .

(٥) فهرسة ابن خير : ٤١٩ . وقد طبع الكتاب بمصر بتحقيق الدكتور حامد عبد المجيد عام ١٩٥٥ تحت اسم « الانتصار ممن عدل عن الاستبصار » .

(٦) الصلة : ٣٩٦ ، الديباج المذهب : ٢٠٤ .

(٧) سماه بروكلمان : شرح مشكل ديوان المتنبي ، ومنه مخطوطة في القاهرة اول ٤ : ٢٧٣ ، والقاهرة ثاني ٣ : ٢١٨ ، ومكتبة المجلس في طهران ١٩٩ (انظر بروكلمان ٢ : ٨٩) .

٢٨ ـ المحكم في اللغة .

٢٩ ـ المخصص في اللغة .

٣٠ ـ الوافي في أحكام القوافي[١] .

٣١ ـ شرح ابيات الجمل للزجاجي[٢] .

٣٢ ـ أرجوزة ما اسمك يا أخا العرب[٣] .

مرتبة على حروف المعجم حتى حرف الزاي ومن بعده على السياق الآتي : ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش ه و ي . « وموضوعها في الاصل لغوي تخيل فيها الناظم ان ركبا من رجال المشرق قادهم الاغتراب نحو المغرب . وسئلوا عن اسمائهم ، وآبائهم ، وقبائلهم ، واخوالهم ، وبلدانهم ، ومراكبهم ، ومعادن قسيهم ، وسهامهم ، وما يقتنصون من الوحش والطير ، وما يأكلون منها ، وما يهدون الى حبائبهم ، واسم حبيبة كل منهم ، والبيت الذي يقال لها عند الاهداء ، وما كانت تنشده هي في الجواب . كل ذلك بألفاظ مبدوءة بنفس الحرف الذي تداوله من حروف المعجم كل رجل منهم في دوره »[٤] .

٨ ـ احمد بن محمد المرسي[٥] (ـ حوالي ٤٦٠/١٠٦٨)

٣٣ ـ شرح الغريب المصنف لأبي عبيد .

---

(١) المحكم ١ : ١٠ .
(٢) الديباج المذهب : ٢٠٥ .
(٣) راجع مجلة المشرق ، السنة السادسة والثلاثون ١٨١ ـ ١٩١ .
(٤) المشرق : ١٨١ ـ ١٨٢ .
(٥) كان عالما بالنحو واللغة والآداب ، وكان يقرىء العربية (التكملة : ٢٠) .

٣٤ ــ شرح اصلاح المنطق لابن السكيت .

٩ ــ اسحق بن الحسن الزيات[1] (ــ بعد ٤٨٨/١٠٥٦)

٣٥ ــ شرح كتاب الجمل للزجاجي .

٣٦ ــ كتاب في المبني والمعرب .

١٠ ــ خلف بن فتح المعروف بابن ابي الموتى[2] (ــ بعد ٤٣٣/١٠٤٢)

٣٧ ــ كتاب الناهج في شرح ما أشكل من الجمل للزجاجي .

١١ ــ ابن التياني ، تمام بن غالب[3] (٣٤٦/١٠٤٥)

٣٨ ــ تلقيح العين في اللغة[4] .

١٢ ــ يوسف بن سليمان الشنتمري المعروف بالاعلم[5] (٤٧٦/١٠٨٣)

---

(١) قرطبي الأصل ، هاجر من بلده مضطرا اثناء الفتنة البربرية ، فأقرأ العربية بسرقسطة (التكملة : ١٩٢) ، وقد ذكره بروكلمان (ط ليدن ، الملحق ٢ : ١٠٢٦) .

(٢) خلف بن فتحون الجودي القيسي . من أهل يابرة وسكن قرطبة . اتخذ من داره في قرطبة مكانا يمارس فيه مهنة التعليم (التكملة : ٢٩٦) .

(٣) كان اماما في اللغة ثقة في ايرادها ، مذكورا بالديانة والعفة والورع ، وله كتاب تلقيح العين في اللغة لم يؤلف مثله اختصارا او اكثارا . قال عنه ابن بسام (الذخيرة ١/٤ : ١١) انه كان أحد أعضاء ديوان الندماء في زمن المنصور بن ابي عامر . وانظر ترجمته في : جذوة المقتبس : ١٧٢ ، بغية الملتمس : ٢٣٦ ، الصلة : ١٢٤ ، انباه الرواة ١ : ٢٥٩ ــ ٢٦٠ ، وفيات الاعيان ١ : ٩٧ ، بغية الوعاة : ٢٠٩ ، روضات الجنات : ١٤٠ ــ ١٤١ ، معجم الادباء ٧ : ١٣٥ ــ ١٣٨ ، كشف الظنون : ٤٨١ .

(٤) فهرسة ابن خير : ٣٥٩ ــ ٣٦٠ .

(٥) انظر ثبتا بتراجم الاعلم ص : ٣١٠ من هذا الكتاب .

٣٩ ــ شرح الاشعار الستة الجاهلية[١] .

٤٠ ــ شرح اشعار الحماسة[٢] .

٤١ ــ شرح ابيات كتاب سيبويه ، وقد سماه : تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب[٣] .

٤٢ ــ النكت في كتاب سيبويه[٤] .

٤٣ ــ المخترع في النحو[٥] .

٤٤ ــ المسألة الرشيدة[٦] .

٤٥ ــ جزء فيه الفرق بين المسهب والمسهب[٧] .

٤٦ ــ المسألة الزنبورية[٨] .

٤٧ ــ جزء فيه مختصر الانواء[٩] .

٤٨ ــ شرح ديوان زهير[١٠] .

---

(١) فهرسة ابن خير : ٣٨٨ ، ويوجد منه نسخة في الرباط : ٣١٣ ، (انظر بروكلمان ط . ليدن ، الملحق ١ : ٥٤٢) .
(٢) فهرسة ابن خير :٣٨٨ .
(٣) منه نسخة في القاهرة ثالث : ٤٤ ، ورامبور ١ : ٥٨٠ (انظر بروكلمان ط . ليدن ، الملحق ١ : ٥٤٢) .
(٤) فهرسة ابن خير : ٣١٤ ــ ٣١٥ .
(٥) المصدر نفسه .
(٦) فهرسة ابن خير : ٣١٤ ــ ٣١٥ .
(٧) المصدر نفسه .
(٨) المصدر نفسه .
(٩) المصدر نفسه .
(١٠) نشره لندبرغ ــ ليدن ١٨٨٩ ، وطبع بالقاهــرة ١٣٢٣/١٩٠٦ ، (انظر بروكلمان ١ : ٩٦) .

٤٩ ـ شرح ديوان علقمة الفحل[١] .

٥٠ ـ شرح ديوان النابغة[٢] .

٥١ ـ شرح ابيات الجمل[٣] .

١٣ ـ ابو الفتوح ثابت الجرجاني[٤] .

٥٢ ـ شرح كتاب الحماسة[٥] .

٥٣ ـ شرح جمل الزجاجي .

١٤ ـ ابو بكر عاصم بن ايوب البلوي[٦] (ـ ٤٩٤/١١٠٠)

٥٤ ـ شرح أشعار الحماسة[٧] .

٥٥ ـ شرح كتاب الاشعار الستة الجاهلية[٨] .

٥٦ ـ شرح ديوان امرىء القيس[٩] .

١٥ ـ ابو علي الحسن بن علي النمري .

٥٧ ـ شرح كتاب معاني ابيات الحماسة[١٠] .

* * *

(١) نشر بالقاهرة ١٢٩٣/١٨٧٦ ، ١٣٢٤/١٩٠٧ ، ونشره ابن شنب في الجزائر ١٩٢٥ (انظر بروكلمان ١ : ٩٧) .

(٢) مخطوطة الامبروزيانا ثاني : ١٣٢ (انظر بروكلمان ١ : ٨٩) .

(٣) يوجد منه نسخة في مكتبة لاللي : ٣٢٥٥ (انظر بروكلمان ٢ : ١٧٤).

(٤) انظر ثبتا بتراجم ابي الفتوح في ص : ٢٩٩ من هذا الكتاب .

(٥) مخطوطة الاسكوريال ثاني : ٢٨٩ (انظر بروكلمان ١ : ٧٩) .

(٦) كان من اهل المعرفة بالآداب واللغات ضابطا لهما . وعليه درس ابن السيد البطليوسي (الصلة : ٤٢٧ ، وانظر بروكلمان ط . ليدن ، الملحق ١ : ٥٤٣ ، ويسميه البطليوسي) .

(٧) فهرسة ابن خير : ٣٨٨ .

(٨) المصدر نفسه : ٣٨٩ ، ومن الكتاب نسخة في مكتبة فيض الله : ١٦٤٠ ، (انظر بروكلمان ط . ليدن ، الملحق ١ : ٥٤٣) .

(٩) طبع بمصر ١٢٨٢/١٨٦٥ ، ١٣٠٧/١٨٩٠ ، ١٣٢٤/١٩٠٧ .

(١٠) فهرسة ابن خير : ٣٨٨ .

ثانيا ــ اتجاهان في التأليف كبيران

هذا عدد من الكتب يتحدث عن طبيعة التأليف الغالبة على اللغة والنحو في هذا العصر . واذا استثنينا بعض المؤلفات الصغيرة وجدنا هذا التأليف يمثل اتجاهين كبيرين : اتجاه لشرح الكتب التي اصبحت عمدة دارسي النحو واللغة ، وهي ثلاثة انواع : ١ ــ شروح لدواوين شعرية ، كديوان المتنبي والمعري ، ٢ ــ شروح لمجاميع ، كديوان الحماسة والاشعار الستة ، ٣ ــ شروح « للمقررات » النحوية واللغوية مثل الجمل للزجاجي والنوادر للقالي وأدب الكتاب والغريب المصنف واصلاح المنطق . اما الاتجاه الثاني فهو التأليف المعجمي . وهو من حيث الكم أقل بكثير من الاتجاه الأول . واذا كان ابو عبيد البكري وابن السيد ابرز من يمثل الاتجاه الاول ، فان ابن سيده يعتبر اكبر من يمثل الاتجاه الثاني وان شارك بعض مشاركة في الاول . وهذا موضع التوجه الى دراسة ممثلي هذين الاتجاهين ودراسة اهم مؤلفاتهم .

(١) الاتجاه الى الشرح

١ ــ أبو عبيد البكري وكتاباه « فصل المقال » و « اللآلي »

أ ــ شيء من سيرة البكري

ينتسب عبدالله بن عبد العزيز[١] ابو عبيد الى اسرة من الامراء كانت

(١) ترجمته في : الذخيرة القسم الثاني : ٩٧ مخطوطة بغداد، والصلة : ٢٧٧ ، والحلة ٢ : ١٨٠ ، القلائد : ١٩١ ، الوافي بالوفيات ٦ : ٢١٨ . وانظر ما جمعه الاستاذ الميمني من تراجمه في صدر سمط اللآلي .

تحكم ولبة وشلطيش واونبة ولبلة في عصر ملوك الطوائف ، الى ان تغلب عليها المعتضد بن عباد من يد والد ابي عبيد اي عبد العزيز البكري فلحق الاب بقرطبة ومعه عائلته جميعا ، ويصف ابن حيان هذا الحادث بقوله : « وبوشر منه رجلا سريا عاقلا عفيفا أديبا يفوق صاحبه ابن يحيى جلالا وخلالا الى زيادة عليه ببيت السرو والشرف ، وبابن له بذ الاقران جمالا وبهاء وسروا وأدبا ومعرفة يكنى ابا عبيد »[1] . وعاش ابو عبيد في قرطبة بعد لجوء اهله اليها . ويقول الدكتور حسين مؤنس : « ولا ندري كم اقام ابو عبيد في قرطبة ، ولكن الثابت انه لم يغادرها الا بعد ان ذاع صيته بالعلم ورغب بعض أمراء النواحي في ان ينتقل الى بلادهم »[2] . وفي هذه الفترة اتصلت الاسباب بينه وبين بعض شعراء قرطبة فنراه يمدح الوزير المعروف بابن السقاء ولكن شعره لا يدل كثيرا على تمكن في الشاعرية . ويرى الدكتور مؤنس انه الف في هذه الفترة كتابه التنبيه على اوهام ابي علي في أماليه ، لأن الكتاب يحمل طابع الشباب والرغبة في الظهور عن طريق تعقب شيخ من شيوخ الادب كأبي علي القالي[3] . ولكني اعتقد ان هذا الاستنتاج غير صحيح ، اذ تدل مقدمة الكتاب على انه الفه للمعتمد بن عباد ، وهذا يعني انه متصل بفترة اقامته في اشبيلية لا في قرطبة . وأيا كان

(١) الذخيرة ، القسم الثاني الورقة : ٩٧ ــ ٩٨ ، مخطوطة بغداد ، الحلة السيراء ٢ : ١٨٢ .
(٢) صحيفة معهد الدراسات الاسلامية مجلد ٧ ، ٨ ص : ٣١١ .
(٣) المقالة السابقة : ٣١٢ .

الامر فان ابا عبيد أخذ يتنقل معرجا على امراء الطوائف . ويذكر ابن الابار في الحلة انه صار الى محمد بن معن صاحب المرية ، فاصطفاه لصحبته وآثر مجالسته والأنس به ورفع مرتبته ووفر طعمته[1] . وكان ابن صمادح هو صاحب المرية ، ويبدو ان ابا عبيد لم يطل الاقامة في كنفه ،وانما آثر الارتحال الى اشبيلية في كنف المعتمد بن عبّاد ، وظل فيها الى ان ادركته منيته سنة ٤٨٧/١٠٩٤ . ويورد له النويري شعرا يهنىء به المعتمد بفتح تمّ سنة ٤٧٧/١٠٨٤[2] .

وتطنب المصادر في سرد الفضائل العلمية لدى ابي عبيد فتقول انه « كان من اهل اللغة والآداب الواسعة ، والمعرفة بمعاني الاشعار والغريب والانساب والاخبار ، متقنا لما قيده ضابطا لما كتبه ، جميل الكتب متهيما فيها ، كان يمسكها في سباني الشرب وغيرها اكراما لها وصيانة »[3]. ويقول فيه ابن بسام : « كان بأفقنا آخر علماء الجزيرة بالزمان ، واولهم بالبراعة والاحسان ، وابعدهم في العلوم طلقا ... ولولا تأخر ولادته وعهدة في زيادته ، لأنسى ذكر كنيه المتقدم الأوان (ابي عبيد بن سلاّم) »[4] . وبلغ من الشهرة حدا ان كان ملوك الاندلس يتهادون مصنفاته[5] .

---

(١) الحلة السيراء ٢ : ١٨٦ ، وأنظر الوافي بالوفيات ٦ : ٢١٨ .
(٢) نهاية الارب ١ : ٤٣ .
(٣) الصلة : ٢٧٧ .
(٤) الذخيرة القسم الثاني الورقة : ٩٧ مخطوطة بغداد .
(٥) الوافي بالوفيات ٦ : ٢١٨ .

وقد تحدثت المصادر عن ولعه بالخمر ، واتهمه الفتح في القلائد بانه « كـان مباكرا للراح لا يصحو مـن خمارها ولا يمحو رسم ادمانه مـن مضمارها »[1] . ولكني اؤيد الدكتور مؤنس في ما ذهب اليه من شك في هذه المبالغة ، اذ ان مـن الف هذا القدر من الكتب لا يمكن ان يكـون مدمنا . وكل مـا نستطيع ان نقوله ان ابا عبيد كـان يشرب الخمر متأثرا بضياع ملك ابيه ، وبالوضع الذي كانت عليـه الاندلس ، فكان شربه لها ضربا من التسلية والتماسا للسلوان[2] .

ولما توفي ابو عبيد كان قد نيف على الثمانين . وقد رآه الفتح وهو في سن كبيرة ، ووصفه بقوله « رأيته ، وانا غلام ما أقمر هلالي ولا نبع في الذكاء كوثري ولا زلالي ، في مجلس ابن منظـور ، وهو في هيئـة كأنما كسيت بالبهاء والنور ، وله سبلة يروق العيون ايماضها ، ويفوق السواد بياضها وقد بلغ سن ابن محلم وهو يتكلم فيفوق كل متكلم »[3] .

وقد درس ابو عبيد كثيرا من الأصول اللغوية التي جلبها القالي الى الاندلس وقد تقدم الخبر عـن شدة غرامه باقتناء الكتب ، لذلك كـانت ثقافته شديدة التنوع . وقد عد له الاستاذ الميمني اثني عشر مؤلفا ، بعضها في الجغرافيا وبعضها في النبات وفي اعلام النبوة . ومن الطريف ان

---

(١) قلائد العقيان : ١٩١ .
(٢) انظر مقالة الدكتور مؤنس : ٣١٥ .
(٣) القلائد : ١٩١ ، والاشارة الى عوف ابن محلم ، الذي يقول :
ان الثمانين وبلغتها   قد احوجت سمعي الى ترجمان

تكون ثقافته اللغوية أساسا هاما في الاتجاه المعجمي الذي سار فيه . فكتابه « معجم ما استعجم » هو استخراج لأسماء الأماكن من الاخبار والحديث والتواريخ والاشعار . وكتابه في النبات ذو صلة وثيقة أيضا باللغة . وكان ابو عبيد من القادرين على ان يوجه جهوده في الاتجاه المعجمي اللغوي لما اوتي من سعة في الاطلاع ، ولكنه آثر الشرح والتعقب لأمهات الكتب المشرقية . ولعل ذلك انما يعود الى اكتفائه بالعين والبارع واضرابهما في الناحية المعجمية . فمن كتبه التي تمثل الاتجاه الى الشرح :

ب ـ فصل المقال في شرح كتاب الامثال لأبي عبيد القاسم بن سلام

لقي كتاب ابي عبيد اهتماما في المشرق والمغرب واعتنى به الاندلسيون أنفسهم في دور مبكر فلخصه ابن عبد ربه في كتاب العقد . ثم كان من جملة الكتب التي ادخلها القالي أيضا الى الاندلس ، وتلقاه عنه تلامذته . ويعد كتاب « فصل المقال » من أهم الشروح والتعليقات الاندلسية عليه . وكتاب ابي عبيد البكري معرض لسعة اطلاع مؤلفه ، فقد اشار فيه الى ما يقرب من ثلاثين كتابا نقل عنها[1] . ورجع الى مؤلفين في الامثال ممن لم يشر اليهم ابو عبيد القاسم في كتابه ومن هؤلاء :

عبيد بن شرية ، وعلاقة بن كرشم الكلابي ، وأبو عمرو بن العلاء (ـ حوالي ١٥٤/٧٧١) ، واللحياني : علي بن حازم ، كما ان هناك

(١)مقدمة فصل المقال : ك .

مصنفات اخرى هامة استفـاد منها البكري ، صنفت بعـد وفاة ابي عبيد القاسم ، ومن اصحابها : ابن الاعرابي (ــ ٢٣١/٨٤٦) الذي الف كتابـا عنوانه « تفسير الامثال » ، ويعقوب ابن السكيت (ــ ٢٤٤/٨٥٨)،وله كتاب في الامثال ، والجاحظ (ــ ٢٥٥/٨٧٠)وله كتاب في الامثال ــ وقد اورد الجاحظ كذلـك مجموعة من الامثـال في كتابيه الحيوان والبيـان والتبيين ، من المحتمل ان يكون البكري قد استفاد منها ــ وابو محمد عبدالله بن قتيبة (ــ ٢٧٦/٨٨٩) ، وله كتاب « حكم الامثال » ، غير ان البكري لم يورد اسم الكتاب بـل اورد اسم الكاتب فقط ، والمفضل بن سلمة المتوفى (حوالي ٢٩٠/٩٠٣) ، وكتابه « الفاخر في الامثال » مـن الكتب التي وصلتنا[١] ، واحمد بن يحيى ثعلب (ــ ٢٩١/٩٠٤) وله كذلك كتاب في الامثال[٢] .

وقـد أوجز البكري منهجه في الكتاب وغايته منـه في المقدمة حيث قال : « فاني تصفحت كتاب الامثال لابي عبيد القاسم بن سلام فرأيته قد أغفل تفسير كثير من تلك الامثال ، فجاء بها مهملة ، واعرض أيضا عن ذكر كثير من اخبارها ، فأوردها مرسلة . فذكرت مـن تلك المعاني ما أشكل ، ووصلت من تلك الامثال بأخبارها ما فصل ، وبينت ما أهمل ، ونبهت على ما ربما أجمل ، الى ابيات كثـيرة غير منسوبة نسبتها ، وامثـال جمة غير

(١)طبع بليدن عام ١٩١٥ ومصر عام ١٩٦٠ .
(٢)انظر مقدمة المحققين على كتاب فصل المقال .

مذكورة ذكرتها ، **والفاظ عدة من الغريب فسرتها[1] .**

وانما قام البكري بهذا العمل لأن الكتاب المشروح اعتمد الايجاز اسلوبا له ، ووقع مؤلفه في الوهم أحيانا ، وهذا أتاح للبكري ان يشن هجوما قويا على بعض الهنات في مواضع كثيرة من الكتاب ،مثلما فعل في باب « صيانة الرجل الحر نفسه عن خسيس المكاسب »[2] :

« قال ابو عبيد : وقال الشاعر :

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه　　اذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

قال : وهذا البيت يقول بعضهم انه لعثمان بن عفان .. » فيرد البكري قائلا :

« كيف جهل أبو عبيد ان هذا البيت من شعر الابيرد اليربوعي ، وهو أشهر في الناس من ان يجهله احد .. وانما روي عن عثمان .. انه قال البيت متمثلا » .

وقد تتبع البكري ابا عبيد القاسم في غير ذلك من الاوهام ، في النسب وفي صحة الاسماء وفي الشرح والتوجيهات اللغوية .

ولم يكن البكري منصفا أبدا في احكامه ، وكان ، في مرات كثيرة ، يجانب الصواب . فقد فسر ابو عبيد القاسم المثل « عند فلان من المال عائرة عين » بان لديه من كثرة المال ما يملأ العين حتى يكاد يعورها ، فقال

---

(١) مقدمة البكري : ٣ .
(٢) فصل المقال : ٢٣٥ .

البكري : « قبح الله كل مال يكـاد يفقأ العين حين النظر » . والواقع ان علماء آخرين قبلوا هذا التفسير ، ولم يزد البكري علـى ان اختار توجيه ابي عبيدة في فهم المثل[1] . كما ان البكري وقع في كثير من الاحيان فيما لام فيه ابا القاسم ، كأن يورد اشعارا دون نسبتها الى اصحابها[2] .

ولا ريب في أن الكتاب قيم من الناحية اللغوية ، أولا : بما احتواه من تحقيق في الأصول والأخبار وتدقيق في الروايات الشعرية ، وثانيا : في ما اعتمد ابو عبيد شرحه من الالفاظ اللغوية . وهو يمثل مع « اللآلي » جهدا علميا في استكمال أصلين من أصول اللغة ، فهما أشبه شيء بتذييل ملحق عليهما للتوسيع والتصويب ، ولا يحسن مثل هـذا العمل الا لغوي واسع الاطلاع كالبكري .

جـ ـ اللآلي في شرح امالي القالي

قال البكري في مقدمة كتابه : « هذا كتاب شرحت فيه من النوادر التي املاها ابو علي اسماعيل بن القاسم القالي ما اغفل ، وبينت من معاني منظومها ومنثورهـا ما اشكل ، ووصلت من شواهدها وسائر اشعارها ما قطع ، ونسبت من ذلك الى قائليه ما اهمل ، وكثيرا ما يرد البيت المفرد ، والشعر الغفل المجرد .. وذكرت اختلاف الروايات فيما نقله ابو علي ذكر مرجح ناقد ، ونبهت على ما وهم فيه تنبيه منصف لا متعسف ولا معاند ،

(١) المصدر نفسه : ٢٢٧ والتعليقات .
(٢) المصدر نفسه : ٢١٢ .

محتج على ذلك بالدليل والشاهد .. »[1] .

وأول ما نلحظه في هـذه المقدمة ذلك التقارب بينها وبين خطبته في فصل المقال . فكلتاهما ترسم منهج البكري رسما واضح الحدود والسمات.

لقد كان الاستقصاء ميزة مهمة من ميزات البكري ساعدته على هذا النوع من التأليف . وهـذا الاستقصاء لا يتمثل بتتبع الاخطاء فحسب ، وانما يظهر واضحا أيضا بالبحث في الصحيح وايراد الروايات المختلفة فيه وشرح جوانبه الغامضة ، سواء أكانت نثرا أم شعرا .

ونستطيع ان نجد مثلا على شرح البكري في حديثه عن المهلهل . فلقد جاء في الكتاب[2] :

« وانشد ابو علي لمهلهل :

فلو نبش المقابر عن كليب ... »

بدأ البكري شرحه بنسب المهلهل فقال :

« مهلهل اسمه امرؤ القيس بن ربيعة بن الحارث من بني تغلب بن وائل .. » وقد أورد النسب ولاحظ ان هناك اكثر من رواية في اسمه فقال : « وقيل اسمه عدي » . وأورد شاهدا على هذا الاسم الاخير ، والشاهد قول المهلهل نفسه :

---

(١) اللآلي في شرح الامالي ، المقدمة : ٤ .
(٢) المصدر نفسه : ١١١ .

ضربت صدرها الي وقالت　　　　يا عديا لقــد وقتك الاواقي

ثم اورد ايضا شاهدا تأييدا لقول من قال ان اسم المهلهل امرؤ القيس :

ضربت صدرها الي وقالت　　　　يا امرأ القيس حان وقت الفراق

ثم فسر سبب تسمية امرىء القيس بالمهلهل فقال :

« وانما لقب مهلهلا لأنه اول من هلهل الشعر اي رققه » . ثم اورد قول الطوسي : « سمي مهلهلا ببيت قال لزهير بن جناب :

لما توعَّر في الكراع هجينهم　　　　هلهلت أثأر جابرا او صنبلا »

ثم انتقل من الحديث عن الشاعر الى الحديث عن أخيه ولقبه وعن شعر المهلهل فيه :

« شاعر جاهلي ، وهذا الشعر يقوله لما ادرك بثأر اخيــه كليب ، واسم كليب وائل وكنيته ابو الماجــدة ، وانما لقب كليبا بالجرو الذي اتخذه ، قال مهلهل :

فلو نبش المقابر عن كليب　　　　فيخبر بالذنائب ايّ زيــر

بيــوم الشعثمين لقر عينا　　　　وكيف اياب من تحت القبور

باني قد تركت بواردات　　　　بجيرا في دم مثــل العبــير

وهمَّام بن مرة قــد تركنا　　　　عليه القشعمان من النسور »

والبكري يأخذ على القالي احيانا انه لا يدقق فيما يرويه . من ذلك، مثلا ، حين ينقل عن القالي البيت التالي[1] :

(١) المصدر نفسه : ١٣٠ .

فما ذقت طعم النوم منذ هجرتكم ولا ساغ لي بين الجوانح ريق

فيعلق البكري قائلا :

« هكذا رواه ابو علي ، وما يجمع بين الاروى والنعام ، كيف يقر على نفسه بالهجران وهو يدعي من شدة الوجد وزفرات الحب ما يدعيه. والرواية الصحيحة :

فما ذقت طعم النوم منذ نأيتم ... »

ومن ذلك ايضا : « وقال ابو علي ان أصل المثل في قولهم : سبق السيف العذل ، للحارث بن ظالم ، وهذا وهم ، وانما اصله لضبة بن أدّ والمقتول الحارث بن كعب »[1] .

غير ان البكري لم يكن دائم التوفيق في استقصائه واعتراضاته ويؤخذ عليه في هذا المجال ملاحظات منها :

١ ــ انه اخذ على القالي في كثير من الاحيان وقوعه في اوهام يعود « اكثرها .. على اشياخ القالي كابن دريد وغيره »[2] .

٢ ــ وهناك أمثلة كثيرة على خلاف البكري مع القالي ، في غير موضع للخلاف ، حين يختار البكري رواية ما ويرفض الرواية التي اختارها القالي مع ورود الروايتين وجوازهما .

(١) المصدر نفسه : ٣٢٤ .
(٢) مقدمة الميمني : س .

٣ ــ والبكري يتهم القالي في مواضع كثيرة بالخلط بين شعرين مختلفين او بتركيب بيت من شطرين متباعدين أو خلاف ذلك من الاوهام التي مرّت بنا حين تحدثنا عن كتاب البكري الذي جعله بعنوان « التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه » . وقد اعترضت البكري ابيات لم يستطع تخريجها وردها الى اصحابها ، او لم يستطع تفسيرها وذكر مناسباتها . وكان في مثل هذه الاحوال يترك فراغا ليدل به على ان هناك خللا لم يستطع ان يصلحه او لم يتسن له ذلك . ومثل هذا نجده في النسخة المطبوعة حيث نلقى العبارة التالية : « **بقي كلام المؤلف هنا قدر** سطرين مبيض في الأم »[١] .

ورغم ما قد يؤخذ على البكري من حماسة ومن شطط احيانا في معالجته لعمل القالي ، ورغم ما قد يكون في شرحه من غرور ونقص وخطأ احيانا أخرى،فانهقد بذل مجهودا عظيماوتقصىواعطانافوائد كثيرة، بما بيّن من غوامض الاحداث ، وبما شرح من شتى المناسبات . وكان على الغالب امينا في عمله ، صابرا في تتبع شوارد العلم والادب والتاريخ واللغه .

٢ ــ ابن السيد البطليوسي[٢] وكتاباه «شرح السقط» و « الاقتضاب »

(١) اللآلي : ٤٤٨ .
(٢) انظر ترجمته في الصلة ١ : ٢٨٢ ، وفيات الاعيان ٢ : ٢٨٢ ، قلائد العقيان : ١٩٣ ، غاية النهاية في طبقات القراء ، ابن الجزري ١ : ٤٤٩ ، معجم البلدان ٢ : ٤٤٧ ، بغية الوعاة : ٢٨٨ ، كشف الظنون : ٤٨ ، شذرات الذهب ٤ : ٦٤ ، الديباج المذهب : ١٤٠ ، ازهار الرياض ٣ : ١٠١ ــ ١٠٢ .

١ ــ سيرة ابن السيد

هو عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي نسبة الى بطليوس . ولد فيها سنة أربع وأربعين وأربعمائة (١٠٤٨ م) .

ومع ان بطليوس هي المدينة التي ولد فيها وانتسب اليها ، الا انها لم تكن أساسا مقاما للاسرة فان « شلب بيضته ، ومنها كانت حركة أبيه ونهضته ، وفيها كان قرارهم ، ومنها نمّ آسهم وعرارهم ، ونسب الى بطليوس ، لمولده بها »[1] . على أية حال ، لسنا نملك من الاخبار ما يعيننا على استكشاف نشأة ابن السيد ، لذلك لا نستطيع ان نحدد متى ترك بطليوس ، ولماذا تركها . وقد توجه أوّل الأمر الى مدينة قرطبة وسكنها لفترة من الزمن أيام محمد بن الحاج[2] . غير انه ورّط نفسه بهوى ثلاثة صبيان من اولاد أحد المتنفذين ، وخاف على نفسه منه ففر من قرطبة وخرج الى بلنسية[3] . ويبدو ان المقام في بلنسية كان اكثر هدوءا واستقرارا ، فلم يضطر الى الانتقال الى بلد جديد ، بل مكث هناك ، « وألف بها تواليفه الى ان توفي »[4] . وكانت وفاته سنة احدى وعشرين وخمسمائة (١١٢٧ م) .

---

(١) ازهار الرياض ٣ : ١٠٥ .
(٢) انباه الرواة ٢ : ١٤٢، بغية الوعاة : ٢٨٨ .
(٣) انباه الرواة ٢ : ١٤٢ ــ ١٤٣ ، بغية الوعاة : ٢٨٨ .
(٤) انباه الرواة ٢ : ١٤٣ .

ودرس ابن السيد في اول الامر على أخيه علي بن محمد[1] . ثم كان له اساتذة آخرون فقد روى عن ابي بكر عاصم بن ايوب الأديب ، وعن ابي سعيد الوراق ، وابي علي الغساني وغيرهم[2] . وقرأ على عبدالله بن محمد بن خلف الداني[3] .

وقد درس عليه تلامذة كثيرون وعرف بانه « كان حسن التعليم جيد التلقين ثقة ضابطا ، أخذ الناس عنه وانتفعوا به »[4] ، وشهر بالاستاذية في النحو والعربية فكان الناس يقصدونه « ويقرأون عليه ويقتبسون منه »[5] .

وقد امتدحه كثيرون وقالوا عنه انه « النحوي اللغوي صاحب التصانيف والشعر »[6] ، وانه « الامام المشهور في اللغة والعربية »[7] وانه « كان عالما بالآداب واللغات مستبحرا فيهما ، مقدما في معرفتهما واتقانهما »[8] . غير ان آخرين بالغوا في المديح واطنبوا في الثناء فجاء في

---

(١) الصلة ١ : ٢٨٢ ، الديباج المذهب : ١٤٠ .
(٢) الصلة ١ : ٢٨٢ ، الديباج المذهب : ١٤٠ ـ ١٤١ .
(٣) غاية النهاية ١ : ٤٤٩ .
(٤) الديباج المذهب : ١٤١ .
(٥) وفيات الاعيان ٢ : ٢٨٢ .
(٦) معجم البلدان ٢ : ٤٤٧ .
(٧) غاية النهاية ١ : ٤٤٩ .
(٨) الصلة ١ : ٢٨٢ ، وفيات الاعيان ٢ : ٢٨٢ ، الديباج المذهب : ١٤١ ، انباه الرواة ٢ : ١٤١ ، شذرات الذهب ٤ : ٦٤ ـ ٦٥ ، بغية الوعاة : ٢٨٨ .

كتاب المقري التلمساني انه « الفقيه الحافظ ، الامام الاوحد »[1] ، وانه « من حيث كان فقد طبق الأرض علما ، وملأها ذكاء وفهما »[2] . وقال عنه ابن خاقان : « شيخ المعارف وامامها ومن في يديه زمامها ، لديه تنشد ضوالّ الاعراب وتوجد شوارد اللغة والاعراب الى مقطع دمث ومنزع في النفاسة غير منتكث ... وقد نصب نفسه لاقراء علوم النحو وقنع بتغييم جوه بعد الصحو . وله تحقق في العلوم الحديثة والقديمة وتصرّف في طرقها القويمة ، ما خرج بمعرفتها عن مضمار شرع ولا نكب عن أصل للسنة ولا فرع »[3] . وواضح ان ابن خاقان يخلط هنا بين علم ابن السيد وأخلاقه ، ويحاول ان يبرز معرفته بالعلوم الحديثة دون ان يورّطه بتهمة التنكب عن الدين . ومن اقتباستنا السابقة نستطيع ان ندرك ان اللغة والدراسات اللغوية هي التي استأثرت باهتمام ابن السيد ، ولكنه كان مكثرا من الشعر والترسل ، ودراسة هذا القدر الكثير الذي تبقى من أدبه يخرجنا الى غير ما قصدنا له في هذا الكتاب .

ب ـ شرح سقط الزند *

ذكرت فئة من المترجمين هذا الكتاب[4] ، وامتدحه بعضهم وقالوا ان

---

(١) أزهار الرياض ٣ : ١٠٥ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) قلائد العقيان : ١٩٤ .
* انظر تعليق الاستاذ محمد سليم الجندي على هذا الشرح : الجامع في اخبار ابي العلاء المعري وآثاره : ٧٧٠ ، ط ١٩٦٣ .
(٤) وفيات الاعيان ٢ : ٢٨٢ ، شذرات الذهب ٤ : ٦٥ ، انباه الرواة ٢ : ١٤٢ ، بغية الوعاة : ٢٨٨ ، كشف الظنون : ٩٩٢ .

ابن السيد « شرح سقط الزند لابي العلاء المعري شرحا استوفى فيه المقاصد وهو أجود من شرح ابي العلاء صاحب الديوان الذي سماه ضوء السقط »[1] .

١ ـ وقد رتب ابن السيد قصائد المعري حسب ترتيب المغاربة لحروف الابجدية [2] . وهذا الترتيب الذي اتبعه أخرجه احيانا عن ديوان السقط لعدم توفر القوافي التي تسد الحروف كلها . وفي ذلك يقول : « فاحتجت لذلك ان أزيد فيه ما يفي بالغرض »[3] ؛ وكان لا بد لكي يفي بالغرض ان يزيد القوافي التالية : الثاء ، الخاء ، الذال ، الشين ، الضاد ، الظاء ، الغين ، الهاء من غير سقط الزند . ومع ذلك فانه لم يشرح كل ما شرحه الاخرون من ديوان السقط بل ترك أحيانا مقطوعات دون شرح كما هو الحال في المقطوعة التي مطلعها[4] :

اعارض مزن اورد البحر ذوده فلما تروّت سار شوقا الى نجد

٢ ـ ويمتاز اسلوب ابن السيد في شرحه انه يعتمد السجع والترادف في العبارات . غير ان هذا السجع ليس متكلفا مستثقلا ، وانما

(١) وفيات الاعيان ٢ : ٢٨٢ . وانظر أيضا : كشف الظنون : ٩٩٢ ، شذرات الذهب ٤ : ٦٥ .
(٢) ان نشر هذا الشرح مع شرحين آخرين اقتضى من المحققين اعتماد اقدم الشروح وبذلك اضطرب الترتيب الذي اختاره المؤلف (انظر مقدمة التحقيق ص : ل) .
(٣) شرح سقط الزند ١ : ١٥ .
(٤) المصدر نفسه ١ : ٣٩٠ ـ ٣٩١ .

يأتي مقبولا اذا قارناه بأساليب الكثيرين من تلك العهود . يقول في شرح هذا البيت :

وتوق أمر الغانيات فــانه أمر اذا خالفته لم تندم

« أخسّ الفوارس همة من لا غرض له الا أخذ المغانم ، واعلاهم همة من غرضه اقتناء المكارم ، فلا ترض لنفسك الا بأعلى المراتب ، ولا تكسب الا أسنى المكاسب . واحذر امر النساء ، فان الميل اليهن يعوق عن الترقي الى الرتب السامية ، ونيل الخطط العالية »[١] .

٣ ــ ويذهب ابن السيد كثيرا الى المقارنة بــين ابيات ابي العلاء وما يقابلها من أبيــات المتنبي ، فالمتنبي ماثل أبدا لعينيه ولهذا سببان أولهما أن ابن السيد قام بشرح ديوان ابي الطيب . وثانيهما أن أبا العلاء نظم سقط الزند وهو ما يزال تحت تأثير المتنبي وطريقته الشعرية[٢] . غير انه لا يكتفي بعرض السقط على ديوان المتنبي بل يذهب الى مقارنتــه بأشعار شعراء آخرين كلما وجد المعــاني متقاربة أو يجعل بعض شعره مفسرا لبعضه الاخر وبذلك يظهر اطلاعه وتعمقه في رواية الشعر[٣] .

٤ ــ وكان لا بد لهذا الشرح مــن ان يعكس صورة ابن السيد

---

(١) المصدر نفسه ١ : ٣٢٧ ــ ٣٢٨ .
(٢) انظر اعتماد ابن السيد على المقارنة بالمتنبي في ص : ٩٩ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ، ٢٠٨ وغيرها كثير .
(٣) انظر أمثلة من ذلك : ١٦٣ ، ١٦٦ ، ٢٢١ ، ٢٣٩ ... الخ .

النحوي اللغوي ، اذ تكثر فيـه المسائل النحوية والتعرض للتحقيقات اللغوية . مثال ذلك ، حين يشرح بيت ابي العلاء :

ويضحي والحديد عليه شاك   وتكفيه مهابته النـزالا

فانه يقـول : « يقـال رجـل شـاك في السـلاح ، منقوص على وزن قاض ، وشاك بضم الكاف والتخفيف ، وشاك بضم الكاف والتشديد . فمن كسر الكاف وجعله منقوصا مثل قاض ففيه وجهـان : أحدهما ان يكون مقلوبا من شاكك كما قالوا جرف هار ، وأصله هائر . والثاني ان يراد به شائك ، وهو فاعل من الشكة ، فأبدلت الكاف الثانية ياء ، ثـم أعلّ كما أعلّ قاض ... »[1] .

٥ ـ ومن الطبيعي ان يعتمد كل شارح على الاستشهاد بما يقوّي رأيه أو موقفه ولذا فان شرح السقط كغيره مـن كتب الشروح مملوء بالشواهد الموضحة من آيات واحاديث وامثال وتفسيرات لفظية واختلاف في الآراء حول اللفظة الواحدة أحيانا ، مع ذكر لصاحب الرأي المعتمد . الا أن نسبة الآراء الى قائليها قليلة لديه ، ومن هذه المواضع النـادرة قوله : « .. والبرود الثياب . وقال ابو حاتم : لا يقـال لها برود حتى يكون فيها وشي »[2] ، وقوله : « والعرمرم : الجيش الكثير ، في قـول الاصمعي ، والشديد ، في قول ابي عبيدة .. »[3] .

---

(١) شرح سقط الزند ١ : ٦٦ . وانظر كذلـك : ١ : ١٣٤ ، ١٦٤ ، ٢١٧ ، ٢٦٠ ، ٢٦٣ ، ٢٧٩ ، ٢٩١ ، ٣٣٠ الخ ...
(٢) المصدر نفسه ١ : ٣٠٥ .
(٣) المصدر نفسه ١ : ٣٣١ ، وانظر ١ : ٣٤١ ومواضع أخرى .

جـ ـ الاقتضاب في شرح ادب الكتاب

ذكر اكثر الذين ترجموا لابن السيد كتابه « الاقتضاب في شرح أدب الكتاب »، وقالوا عنه انه « شرح مفيد جدا »[1]. وقد عرفه بعضهم باسم « الاقتضاب في شرح آداب الكتاب »[2] أو « شرح أدب الكاتب »[3]. وقد كان ابن السيد أحد شراح اندلسيين كثيرين تناولوا كتاب ابن قتيبة بالشرح، ولا ندري كم أفاد من شروح من سبقه ولكن ابا عبد الله بن خلصة النحوي كتب رسالة ناقض فيها البطليوسي واتهمه بانه أغار على شرح لابن بلال المرسي واتنحله لنفسه وسماه بالاقتضاب[4]. ولسنا نعلم مبلغ الانصاف في هذا القول ولكن يبدو آنه من قبيل المغايرة بين المتعاصرين. ويقع الكتاب في ثلاثة اقسام :

١ ــ « تفسير خطبة الكتاب الموسوم بأدب الكتاب وذكر اصناف الكتبة ومراتبهم وجلّ ما يحتاجون اليه في صناعتهم »[5].

٢ ــ « والجزء الثاني في التنبيه على ما غلط فيه واضع الكتاب او الناقلون عنه وما منع منه وهو جائز »[6]. وفي هذا الجزء يتحدث في « نكت من هذا الديوان يجب التنبيه عليها والارشاد اليها »[7].

---

(١) كشف الظنون : ٤٧ .
(٢) الديباج المذهب : ١٤١ .
(٣) بغية الوعاة : ٢٨٨ .
(٤) التكملة : ٢٠ .
(٥) الاقتضاب ٢ : ٢ ــ ١٠٥ .
(٦) المصدر نفسه ٢ : ١٠٦ ــ ٢٨٦ .
(٧) المصدر نفسه .

٣ ــ والجزء الثالث في شرح أبياته . وهو ها هنا يتحدث في « مشكل اعراب ابياته ومعانيها وذكر ما يحضر ... من أسماء قائليها »[١] .

ويبدو واضحا في هذا التقسيم الهدف التعليمي للمؤلف ممزوجا بعلم عالم لا يكتفي بالشرح وانما يتتبع الخطأ حيث وجده محاولا الوصول الى الصواب . كما تبدو ، في القسم الثاني ، رغبة ابن السيد في اظهار فضله وعلمه على ابن قتيبة .

وهذه هي ضروب الخطأ التي تعقبها :

١ ــ المواضع التي غلط فيها ابن قتيبة فنبه هو عليها . ففي باب « ومن المصادر التي لا افعال لها »[٢] يقول ابن السيد : « ترجمة هذا الباب مخالفة للكثير مما تضمنه لأنه ذكر فيه مصادر لها أفعال مستعملة. فمنها قوله : رجل غمر أي لم يجرب الامور بين الغمارة من قوم أغمار . وهذا له فعل مستعمل ، يقال : غمر الرجل غمارة على مثال قبح قباحة»[٣]. « ومنها قوله كلبة صارف بينة الصريف وناقة صروف بينة الصريف ، فهذا له فعل مستعمل أيضا ، يقال : صرفت الكلبة »[٤] . مثال آخر على ذلك نجده حين يتتبع تفسير ابن قتيبة لبيت عمرو بن قميئة :

---

(١) الاقتضاب ٢ : ٢٨٧ ــ ٤٧٧ .
(٢) المصدر نفسه : ١٨٢ .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) المصدر نفسه .

« بودك ما قومي على ان تركتهم   سليمى اذا هبت شمال وريحها

وقال معناه على ودك »[١] يقول ابن السيد : « كذا قال يعقوب في كتاب المعاني ومنه نقل اكثر هذه الابواب . وقد غلط يعقوب في معنى البيت واتبعه ابن قتيبة على غلطه . وليس في هذا البيت حرف ابدل من حرف ، ولا ما فيه زائدة على ما قال . انما الباء ها هنا بمعنى القسم وما استفهام في موضع رفع على الابتداء ، وقومي خبره . والمعنى بحق المودة التي بيني وبينك اي شيء قومي في الكرم والجود عند هبوب الشمال ،يريد زمان الشتاء ... »[٢] .

٢ ــ تتبع اضطراب ابن قتيبة حين يجيز في موضع من كتابه ما منعه في موضع آخر . مثال ذلك : « وقال في هذا الباب : أغامت السماء وأغيمت وتغيمت وغيمت ، ولم يجز غامت . قال المفسر : قد أجاز في باب فعلت وأفعلت باتفاق المعنى : غامت السماء وأغامت ، ونسي ها هنا ما قاله هناك »[٣] . مثال ذلك أيضا : « وقال في هذا الباب وهو بثق السيل وهو ملك يميني . قال المفسر : قد ذكر في باب ابنية الاسماء من كتابه هذا انه يقال بَثق وبِثق وملَك ومِلك ، ونسي ها هنا ما قاله هناك »[٤] .

---

(١) المصدر نفسه : ٢٥٦ ــ ٢٥٧ .
(٢) المصدر نفسه : ٢٥٧ . وانظر : ٢٣٠ ومواضع اخرى كثيرة .
(٣) المصدر نفسه : ١٩٢ .
(٤) المصدر نفسه : ٢٠٥ ، وانظر أيضا : ١٨١ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، الخ ..

٣ ـ أشياء جعلها من لحن العامة « وعول في ذلك على ما رواه ابو حاتم عن الاصمعي وأجازها غير الاصمعي من اللغويين كابن الاعرابي وابي عمر الشيباني ويونس وابي زيد وغيرهم . وكان ينبغي له ان يقول ان ما ذكره هو المختار او الافصح ، او يقول هذا قول فلان، وان لا يجحد شيئا وهو جائز من أجل انكار بعض اللغويين له ، فيقول ذلك رأي غير صحيح ومذهب ليس بسديد »[1] . ومن امثلة هذا النوع من انواع التتبع: « وقال في هذا الباب ـ باب ما لا يهمز والعوام تهمزه ـ علفت الدابة ولم يجز أعلفتها . قال المفسر : قد حكى ابو اسحاق الزجاج ، علفت الدابة واعلفتها »[2] . مثال ذلك أيضا في « باب ما جاء بالصاد وهم ـ اي العامة ـ يقولونه بالسين » : « وقال في هذا الباب بخصت عينه بالصاد ولا يقال بخستها ، انما البخس النقصان . وذكر صنجة الميزان والصماخ والصندوق وبصق الرجل وبزق ، ولم يجز السين في شيء من ذلك . قال المفسر : هذه الاشياء كلها تقال بالصاد والسين . حكى ذلك الخليل وغيره . فاما البخس الذي يراد به النقصان ، والسنجة التي يراد بها مشاقة الكتان فبالسين لا غير »[3] . ويلاحظ ان ابن السيد في هذا المثل الأخير ، وفي امثلة اخرى كثيرة ، يتجنى على ابن قتيبة ويحتج عليه بروايات شاذة . وابن السيد نفسه يعترف بذلك في عدد من المواضع ،ففي

(١) المصدر نفسه : ١٠٦ .
(٢) المصدر نفسه : ١٩٣ .
(٣) المصدر نفسه : ٢٠٤ . وانظر كذلك في هذا المجال : ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٢١٣ ، الخ ...

« باب ما جاء بالسين وهم ــ اي العوام ــ يقولونه بالصاد » : « قال في هذا الباب : اخذته قسرا ولا يقال قصرا . وقد قصره اي حبسه . ومنه : حور مقصورات في الخيام ، فاما القسر فهو القهر . قال المفسر : هذا الذي قاله هو المشهور . وقد حكى يعقوب اخذته قسرا وقصرا بالسين والصاد بمعنى القهر »[1] . فالذي ذكره ابن قتيبة ، اذن ، هو ، باعتراف ابن السيد ، المشهور .

٤ ــ النوع الرابع والاخير من انواع الخطأ التي يتتبعها ابن السيد تلك المواضع التي وقعت غلطا في رواية ابي علي البغدادي « فلا أعلم أهي غلط من ابن قتيبة أم من الناقلين عنه »[2] ، وقد اشرت اليها في الفصل السابق ومن أمثلتها أيضا ، ما جاء في « باب النبات »[3] ، « وقال في هذا الباب : الزرجون الكرم ، وقال الاصمعي : هو الخمر ، وهو بالفارسية زركون ، اي لون الذهب . قال المفسر : كذا روى ابو علي البغدادي زركون بتشديد الراء . وقال كذا اقرأنيه ابو جعفر ابن قتيبة. والصواب تسكينها ، ومعنى زر : ذهب ، ومعنى كون : لون ، كأنه قال : لون الذهب »[4] .

---

(١) المصدر نفسه : ٢٠٣ .
(٢) المصدر نفسه : ١٠٦ .
(٣) المصدر نفسه : ١٢٨ .
(٤) المصدر نفسه : ١٢٩ .

ومن خصائص الكتاب انه :

١ ـ في كل هذا يسير وفق ترتيب ابن قتيبة فيتتبعه بابا بابا : « وأنا شارع في تبيين جميع ذلك وترتيبه على ابواب الكتاب ، بحسب ما أحاط به علمي وانتهى اليه فهمي »[1] .

٢ ـ ويأتي ابن السيد بالعبارة التي يعترض عليها ،ثم يشفعها بعبارة « قال المفسر » ـ كما شاهدنا في الامثلة السابقة ـ موردا موضع الاعتراض .

٣ ـ وابن السيد يرد الاقوال والآراء الى أصحابها . لذلك فان الاسماء تتردد كثيرا : « .. هذا الذي قاله ابن قتيبة هو المشهور عن الاصمعي وغيره من اللغويين . وقد حكى ابو زيد الانصاري وذكر قاسم ابن أصبغ عنه يقال : تصدق اذا سأل . وحكى نحو ذلك ابو الفتح بن جني وانشد :

ولو أنهم رزقوا على اقدارهم ألفيت اكثر من ترى يتصدق

وذكر ابن الانباري أيضا في كتاب الاضداد ان المتصدق يكون المعطي ويكون السائل ، وحكى نحو ذلك صاحب كتاب العين .. »[2] . وهذا الحشد من اسماء اللغويين يصحبه ، ولكن في أحيان قليلة نسبيا ،

---

(١) المصدر نفسه : ١٠٦ .
(٢) المصدر نفسه : ١١٠ .

ذكر لاسماء المؤلفات ، كما وجدنا في المثل السابق ، وكما يمكن ان نجد في مواضع اخرى .[1]

وتردد عبارة « بعض اللغويين »[2] ، او « غيره من اللغويين »[3] .

٤ ــ وربما كانت اهم ظاهرة تنتظم هذا الكتاب تلك التي تتعلق بالتحقيقات اللغوية والنحوية والصرفية . فابن السيد لا يترك فرصة تمر دون ان يسجل ملاحظة نحوية او صرفية ، او يسجل او يشرح ظاهرة لغوية . وتبدو لنا هذه الناحية في أول كلمة يقولها : « قال ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، اما بعد حمد الله بجميع محامده : أما حرف اخبار يدخل على الجمل المستأنفة ، ويتضمن معنى حرف الشرط والفعل المشروط به ولذلك احتاج الى الجواب بالفاء كما يجاب الشرط .. »[4] . ومثال ذلك أيضا : « معلف بفتح الميم وكسر اللام لانه مكان للاعتلاف وكل فعل على وزن فَعَل يَفعِل بفتح العين من الماضي وكسرها من المستقبل فان اسم المكان والزمان منه مفعل بكسر العين كالمضرب والمغرس »[5] .

---

(١) انظر مثلا : ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، الخ ..
(٢) المصدر نفسه : ١٤٥ ، وغير ذلك من المواضع .
(٣) المصدر نفسه : ١١٠ ، وغير ذلك من المواضع .
(٤) المصدر نفسه : ٢ .
(٥) المصدر نفسه : ١١٦ . وانظر كذلك : ١١٨ ، ١٧٨ ، ومواضع اخرى كثيرة .

٥ ـ ونستطيع ان نجد ، هاهنا أيضا ، مجالا للروايات والأخبار والطرائف . ومع ذلك فان المجال لم يكن واسعا في القسمين الاولين وانما معرض ذلك الصالح له هو القسم الثالث حيث شرح الشواهد ،والحديث عن مناسباتها وناظميها ، وما الى ذلك .

***

(٢) الاتجاه الى التأليف المعجمي

ابن سيده ومعجماه : المخصص والمحكم

أ ـ سيرة ابن سيده[١]

ربما كان ابن سيده من اكثر علماء اللغة الاندلسيين الذين لاقوا شهرة واسعة ، وانتشرت مؤلفاتهم في الاندلس وخارجها . وسوف يظهر لنا مدى استحقاقه لمثل هذه الشهرة اثناء البحث في حياة هذا العالم الجليل وفي مؤلفاته . يكفي ان نلم هنا بقول صاحب المغرب : « لا يعلم بالاندلس اشد اعتناء من هذا الرجل باللغة ، ولا اعظم تواليف ، تفخر مرسية به اعظم فخر ، طرزت به بُرْد الدهر ، وهو عندي فوق ان يوصف

(١) ترجمته في : الصلة ٢ : ٣٩٦ ـ ٣٩٧ ، طبقات الامم : ٧٧ ، جذوة المقتبس ، ٢٩٣ ـ ٢٩٤ ،المغرب ٢ : ٢٥٩ ، الديباج المذهب : ٢٠٤ ـ ٢٠٥ ، وفيات الاعيان ١ : ٤٣١ ، انباه الرواة ٢ : ٢٢٥ ـ ٢٢٧ ، مطمح الانفس : ٦٠ ، نكت الهميان : ٢٠٤ ـ ٢٠٥ ، بغية الوعاة : ٣٢٧ ، نفح الطيب ٤ : ٣٥١ ، مرآة الجنان ٣ : ٨٣ (حوادث سنة ١٠٦٦/٤٥٨) ، شذرات الذهب ٣ : ٣٠٥ ـ ٣٠٦ ، لسان الميزان ٤ : ٢٠٥ ـ ٢٠٦ ، تاريخ ابي الفدا ٢ : ١٨٦ (اخبار سنة ١٠٦٦/٤٥٨) . وانظر : بروكلمان (ليدن ، ١٩٣٧) :الملحق ١ : ٥٤٢ .

بحافظ أو عالم »[1] .

اوردت المصادر اسم ابيه وجده فحسب فهو علي بن اسماعيل بن سيده . حتى بالنسبة لاسم جده فليس من الواضح تماما هل هو جده المباشر ام هو احد الاجداد البعيدين ؟

على اية حال فان اسم جده او لقبه يمكن ان يشير الى اصل هذا العالم . وابن سيده لم يكن ـ في الغالب ـ من اصل عربي ، بدلالتين : الاولى ، انقطاع سلسلة النسب عند ابيه او جده على الاكثر ، والثانية ، هذه الصيغة « سيده » فانها اقرب الى ان تكون اعجمية . « وسيده بكسر السين المهملة ، وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الدال المهملة وبعدها هاء ساكنة »[2] .

ومع ان اكثر المراجع روت انه علي بن اسماعيل ، فان مراجع اخرى روت بانه علي بن احمد[3] ، والرواية الاولى أشهر . وهناك من ذكر الاسمين[4] . واورد آخرون ان اسم ابيه محمد[5] .

ولم يذكر المؤرخون صراحة البلد الذي ولد فيه ابن سيده ، ولكن اتفق أصحاب التراجم على انه من اهل مرسية . ومن العسير ان نجزم بانه ولد هناك ، غير انه ليس عندنا من الدلائل ما يشير الى ولادته في

---

(١) المغرب ٢ : ٢٥٩ .
(٢) وفيات الاعيان ١ : ٤٣١ ، شذرات الذهب ٣ : ٣٠٦ .
(٣) مطمح الانفس : ٦٠ ، نفح الطيب ٤ : ٣٥١ ، جذوة المقتبس : ٢٩٣ .
(٤) انباه الرواة ٢ : ٢٢٥ .
(٥) بغية الوعاة : ٣٢٧ ، نكت الهميان : ٢٠٤ .

غير هذا المكان . والاخبار عن والد هذا العالم تذكر بانه « من اهل مرسية »[1] ؛ الى جانب تلك الحادثة المشهورة بين ابن سيده وابي عمر الطلمنكي التي وقعت هناك .

ويمكننا ، بصورة تقريبية ، ان نحدد سنة ميلاده . فلقد توفي ، حسب الرأي الغالب ، عام ١٠٦٦/٤٥٨[2] ، واتفق اصحاب التراجم الذين ذكروا سني حياته انه عاش ستين سنة او نحوها[3] . وبذلك نستطيع ان نقول ان مولده كان في حدود عام ١٠٠٨/٣٩٨ .

واما الاخبار عنه فانها قليلة للغاية . وهي لا تتناسب قط مع الشهرة الواسعة التي نالتها مؤلفاته العظيمة . والواقع انه ابن بيئة مثقفة . فابوه من قبل كان عالما ، وقد تتلمذ الفتى ، اول ما تتلمذ ، على يديه .

وهناك خبر او خبران يعطياننا صورة عنه بعد ان يكون قد اكتمل علمه وذاع امره . فاول صورة نعرفها عنه ، صورة العالم الحافظ المشهور ، الذي يعتز به اهل مدينته ويفاخرون به الزائرين من العلماء . والرواية التي رويت على لسان ابي عمر الطلمنكي تبرز هذا الجانب من شخصيته : « وقال ابو عمر الطلمنكي : دخلت مرسية فتشبث بي اهلها يسمعون علي الغريب المصنف ، فقلت : انظروا من يقرأ لكم ، وأمسكت

(١) ابن بشكوال ١ : ١٠٥ .
(٢) أنباه الرواة ٢ : ٢٢٧ ، نكت الهميان ، الصفدي : ٢٠٤ ، بغية الوعاة : ٣٢٧ ، شذرات الذهب ٣ : ٣٠٥ .
(٣) انباه الرواة ٢ : ٢٢٧ ، بغية الوعاة : ٣٢٧ ، نكت الهميان : ٢٠٤ .

انا بكتابي ، فأتوني برجل اعمى يعرف بابن سيده ، فقرأه علي من أوله الى آخره ، فعجبت من حفظه »[1] . وقد اوردت المراجع هذه الرواية بصور مختلفة .

وابرز ناحية تميزت بها شخصيته ــ وكان لها أثر كبير في حياته ــ ولادته كفيف البصر لأب كفيف[2] . وربما كان لهذه الناحية أثر في تكوينه العقلي ، وقوة ذاكرته . وتشهد له كتبه بالذكاء والفطنة ، كما ان المؤرخين امتدحوه واطنبوا في امتداحه ، فلقد « كان نادرة وقته »[3] وهو « احفظهم ــ احفظ علماء الاندلس ــ حتى انه يستظهر كثيرا من المصنفات .. كغريب المصنف واصلاح المنطق »[4] .

وهناك ناحية من شخصيته تعرض لها واحد فقط من المترجمين هو ابن حجر العسقلاني صاحب لسان الميزان ، فانه ينقل عن اليسع بن حزم قوله : « انه كان يرى رأي الشعوبية فيفضل العجم على العرب »[5] . ولا نعرف بالضبط ما لهذا الكلام من قيمة ، لأن الرواية بهذه الصورة غير وافية بالغرض . وهي رواية لم تتكرر عند غيره من العلماء ، ــ فيما أعلم ــ ولكن على كل حال ربما كان مثل هذا التفضيل ، لو وجد ،

---

(١) نفح الطيب ٤ : ٣٥١ .
(٢) المصدر نفسه ، وذكر ذلك أصحاب التراجم الاخرون الذين ترجموا لابن سيده او ترجموا لابيه .
(٣) انباه الرواة ٢ : ٢٢٥ .
(٤) طبقات الامم : ٧٧ .
(٥) لسان الميزان ٤ : ٢٠٦ .

سببا آخر يدعونا الى الاعتقاد بان ابن سيده غير عربي الأصل . ومع ذلك فانّا لا نعرف الظروف التي برز فيها مثل هذا التفضيل ، فربما كان الامر لا يتعدى رد فعل لحادثة معينة او لاكثر من حادثة . وذلك لا يعني ، بطبيعة الحال ، لصوق تهمة الشعوبية به .

وانا لنلمح في حديث ابن سيده اعجابا شديدا بنفسه ، كما نلمح فيه حدة في الحكم على الناس ، وذلك واضح في أرجوزته . فهو امرؤ قليل الحلم ، سريع الغضب ، شتام ، هجاء لاذع النقد اذا تحدث عن نشأته ، قال انه نشأ « بين أناس لولا الشكل لم تقض لهم بالانسانية ولولا الحس ما حكمت عليهم بالحيوانية »[1] .

وأوضح مرحلة من مراحل حياته هي تلك التي اتصل فيها بمجاهد العامري منتقلا عن وطنه الأصلي الى دانية . وقد كان المتوقع أن يكون لجوءه الى كنف أمير مثل مجاهد مخففا لما في نفسه من نقمة على الناس، ولكنه كان يحس بالقلق الشديد وتفاوت الحظوظ فهو يصف موطنه الجديد بانه « سباخ ذفرة وشطآن بحار دفرة ، أوحش بلاد الله غربة وأخبثها عنصرين : هواء وتربة »[2] . ثم نجده ينحي على الناس فيها بأنهم شديدو الخصومة « لا تسمع منها الا تسعير كذا بكذا ... يتطارحون على الدرهم والدينار ولا يتوقون قبح الاحدوثة ولا انتشار العار »[3] ، ويغيظه أن يجدهم منعمين بالقيان والجنان والقصور : كل هذا مع

(١) المحكم ١ : ١٦ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) المصدر نفسه : ١٧ .

اعترافه بانعام الموفق ــ مجاهد ــ الذي أثار بذلك الانعام حسد الحساد وغيظهم . « ولما مات الموفق رائش جناحه ومثبت غرره واوضاحه خاف من ابنه اقبال الدولة وأطاف بـــه مكروه بعض من كـــان حوله للطلب كحيات مساورة ففر الى بعض الاعمال المجاورة »[1] ، وارسل من منفاه قصيدة يستعطفه فيها أولها[2] :

ألا هل الى تقبيل راحتك اليمنى   سبيل فان الامن في ذاك واليمنا

فعفا عنـــه ، و « وقع له الرضى عنه عند وصولها اليه ، فـــرجع » . ويبدو ان انقطاعه الى الموفق افاده من الناحية العلمية كثيرا ، اذ اتاح له من التفرغ وكفاية العيش ما جعله يهتم بامور التأليف . فانه في دانية « ادرك امانيه فآثر تجرده للعلم وفراغه وتفرد بتلك الاراغة ولا سيما كتابه المسمى بالمحكم فانه ابدع كتاب في اللغة وأحكم »[3] .

وقد كان لابن سيده حظ في الشعر ، ولكن لـــم يبق من شعره الا قصيدته التي استعطف فيها اقبال الدولة ، والا أرجوزته .

وقد أدركت ابن سيده منيته بدانية (٤٥٨/١٠٦٦) ويبـــدو أنه مات مفلوجا : « كان يوم الجمعة صحيحا سويا في صلاة المغرب فدخل المتوضأ وأخرج منه وقد سقط لسانه وانقطع كلامه وبقي علـــى تلك

(١) مطمح الانفس : ٦٠ ، وانظر نكت الهميان : ٢٠٤ .
(٢) جذوة المقتبس : ٢٩٣ ، مطمح الانفس : ٦٠ ، نكت الهميان : ٢٠٤ .
(٣) مطمح الانفس : ٦٠ .

الحالة الى عصر يوم الاحد ، ثم قضى نحبه »[1] .

اول ما تتلمذ ابن سيده على ابيه . وكان والد ابن سيده « من النحاة ومن اهل المعرفة والذكاء »[2] . وكان له اتصالات علمية اذ « لقي ابا بكر الزبيدي وأخذ عنه مختصر العين[3] . وقد اتفق العلماء على ان ابن سيده روى عن ابيه ، وبعض المترجمين يجعلون زمن هذه الرواية أيام نشأة الفتى[4] . ونحن نعلم ان ابن سيده ولد في نهاية القرن الرابع للهجرة ومات ابوه بمرسية بعد الاربعمائة بمدة[5] . فالفترة التي درس فيها على والده ليست طويلة – فيما أرجح – ويمكن القول بانه اخذ عن والده وهو صغير ، ثم تركه ابوه يتلقى المزيد من العلم على آخرين .

ويتكرر في المؤلفات ذكر اثنين من العلماء أخذ عنهما ، وهما : ابو عمر الطلمنكي وصاعد بن الحسن البغدادي . وقد يتوقع المرء ان يكون هناك آخرون ، غير ان المؤلفات تصمت ازاء ذلك وتكتفي بان تقول : وقد روى « عن ابي عمر الطلمنكي وصاعد اللغوي وغيرهما »[6] .

---

(١) نكت الهميان : ٢٠٥ ، وبعض المصادر تذكر انه توفي سنة ٤٦٠ .
(٢) الصلة : ١٠٥ ، وقد ذكرته في علماء العصر السابق انظر ص : ٢٤٣ .
(٣) الصلة : ١٠٥ .
(٤) وفيات الاعيان ١ : ٤٣١ ، شذرات الذهب ٣ : ٣٠٥ .
(٥) الصلة : ١٠٥ .
(٦) المصدر نفسه : ٣٩٦ ، وفيات الاعيان ١ : ٤٣١ ، شذرات الذهب ٣ : ٣٠٦ ، نكت الهميان : ٢٠٤ .

وقد تحدثت عن صاعد في ما مضى ، اما ابو عمر الطلمنكي (٣٤٠ – ٤٢٩/٩٥١ – ١٠٣٨) فهو محدث مفسر وقارىء . ارتحل الى الشرق ثم عاد الى قرطبة يدرس فيها ، ثم انتقل الى المرية فمرسية فسرقسطة . ويبدو ان ابا عمر هذا لم يكن يمتاز بعلم الحديث والتفسير فحسب وانما كان كذلك عالما لغويا مقتدرا ، يدلنا على ذلك طلب الناس لمصنفات اللغة عليه واشتهاره بذلك . وربما ساعد على امتيازه في العلوم الدينية ورعه وشدته على البدع . وقد توفي ابو عمر الطلمنكي في طلمنكة[1] . وكان اول اتصال بين ابن سيده وبينه يوم ان دخل ابو عمر مرسية وكانت له تلك المقابلة مع الحافظ الاعمى .

واكثر ما اشتهر به ابن سيده اللغة والنحو ، حتى عد اماما حافظا حجة فيهما . وقد ظهرت هذه المقدرة في معجميه المشهورين : المحكم ، والمخصص . غير انه كان له ضروب اخرى من الاهتمام ، من ذلك الاشعار وأيام العرب[2] . واهتمامه بالاشعار هو جزء من اهتمام العصر ، وقد برز ذلك في كتابه « الوافي في علم القوافي »[3] وفي شرحه للحماسة . واما أيام العرب فلا تعني انه اهتم بالتاريخ بالمعنى الدقيق ، وانما كانت له معرفة بشيء من اخبار العرب واحداث حياتهم .

وقد وجه شيئا من عنايته الى المنطق ، « كان مع توفره على علوم العربية ، متوافرا على علوم الحكمة والف فيها تواليف كثيرة »[4] وذلك

(١) انظر : الديباج المذهب : ٣٩ ، معجم البلدان ٣ : ٥٤٣ – ٥٤٤ .
(٢) بغية الوعاة : ٣٢٧ .
(٣) نكت الهميان : ٢٠٥ .
(٤) المصدر نفسه : ٢٠٤ .

شيء قد ذكرته في غير هذا الموضع . ويصعب في الواقع البحث في هذا الأمر لأن هذه التواليف الكثيرة لم تصلنا ، وانما وصلتنا كتب اللغة[1] .

---

(١) من النصوص الهامة هذه القطعة من الارجوزة التي تحدثت عنها في ثبت المؤلفين ومؤلفاتهم لهذا القرن ، وهي تبين لنا ، بلسان ابن سيده ، ثقافة هذا العالم والاساتذة الذين درس عليهم والمصنفات والعلوم التي قرأها : (انظر مجلة المشرق العدد ٣٦ : ١٩٠ — ١٩١) .

قرأت بالوحي وسني اربع	وقبل ست تم عندي أجمع
حتى اذا حليت بالتنزيل	نظرت في حقائق التأويل
ولم أدع لعالم تحبيرا	الا وقد ظلت بها خبيرا
فلا ابن عباس أضعت وضعه	ولا أبن سلام تركت جمعه
ولا كتاب أبن حميد عبد	الا اذخرت كل ذاك عندي
حتى اذا استضلعت بالحجاج	قرأت كتب كل حبر ناج
كتب أبي اسحق ذي المعاني	أوضح به لمشكل القرآن
وكل ما أحمله من سند	عن الفقيه الطلمنكي أحمد
ثم قرأت كتب الموطأ	عليه دون كسل مستبطأ
ثمت أشبعت من البخاري	رواية ، فتم لي فخاري
ولم اضع كتب ابي عبيد	جميعها في ربقتي وقيدي
ثم قرأت علم سيبويه	لب الفؤاد فهما عليه
على أبي عثمان شيخي نافع	وكان فيه جد حبر بارع
ثمت فاوهت ابا العلاء	في كتب الصفات والاسماء
رواني الغريب والاصلاحا	حتى انار فجرها ولاحا
ثمت رقاني الى الالفاظ	رواية ، فعدت في الحفاظ
وقد قرأت كتب المجاز	عليه ، من قرموطة الشيرازي
بعد سماعه في الفقيه	أحمد ذي التفهيم والتفقيه
ثم قرأت كتب الرماني	والفارسي وابنه عثمان
كل كتاب لغة وعيت	وكل شعر لهم رويت
ثم تأملت حدود المنطق	ومن يرم حقيقة فلينطق

ومن هذه الابيات يظهر لنا اهتمام ابن سيده بمختلف العلوم ، فلقد درس الفقه والحديث واللغة والمنطق ، حتى برع بهذه الامور جميعا ، وعدد لنا شيوخه المباشرين وغير المباشرين من العلماء الاول . وذكر لنا كيف انه بدأ العلم طفلا في الرابعة فلما اتم السادسة كان قد اتم حفظ القرآن ، ثم تحول الى العلوم الاخرى .
وتجدر الاشارة ها هنا الى ان كتاب سيبويه كان لا يزال ، في هذا القرن ، المعتمد الاول للدارس اللغوي .

وقد خلط المشارقة بين مؤلفاته ومؤلفات ابن سيد الذي عاش في القرن الرابع فعدت في مؤلفاته ما نسبته من قبل الى هـذا الثاني ، من ذلك : شرح كتاب الاخفش ، والعالم والمتعلم على المسألة والجواب ، والعالم في اللغة على الاجناس ، وغير ذلك . ولذا كان الاعتماد في سرد اسماء كتبه على المشارقة كالصفدي وابن حجر والسيوطي أمرا مورطا في الخطأ .

ب ـ المخصص ١

١ ـ الداعي الى التأليف

أعجب ابن سيده بالمؤلفات اللغوية التي كتبت من قبله غير انه لم يجدها كاملة فقال : « تأملت ما الفه القدمـاء في هذه اللسان المعربـة الفصيحة وصنفوه لتقييد هـذه اللغة المتشعبة الفسيحة فوجدتهم قـد اورثونا بذلك فيها علوما نفيسة جمة ، وافتقروا لنا منها قلبا خسيفة غير ذمة الا اني وجدت ذلك نشرا غير ملتئم ونثرا ليس بمنتظم ، اذ كان لا كتاب نعلمه الا وفيه من الفائدة ما ليس في صاحبه . ثم اني لم ار لهم فيها كتابا مشتملا على جلها فضلا عن كلها ، مع اني رأيت جميع من مد الى تأليفها يدا واعمل في توطئتها وتصنيفها منهم ذهنا وخلدا قد حرموا

(١) طبع الكتاب بمصر ـ المطبعة الكبرى الاميرية في ١٧ جزءا : ١٣١٦/١٨٩٩ ـ ١٣٢١/١٩٠٤ .

الارتياض بصناعة الاعراب ولم يرفع الزمن عنهم ما أسدل عليهم من كثيف ذلك الحجاب »[1] . ويبدو لنا ابن سيده من هذا النص معجبا بنفسه ، يتتبع سقطات غيره من اللغويين : « فانا نجدهم لا يبينون ما انقلبت فيه الالف عن الياء مما انقلبت الواو فيه عن الياء ولا يحدّون الموضع الذي انقلاب الالف فيه عن الياء اكثر من انقلابها عن الواو مع عكس ذلك ، ولا يميزون مما يخرج على هيئة المقلوب ما هو منه مقلوب وما هو من ذلك لغتان ، وذلك كجذب وجبذ ويئس وأيس ورأى وراء ونحوه مما ستراه في موضعه مفصلا محللا محتجا عليه . وكذلك لا ينبهون على ما يسمعونه غير مهموز مما أصله الهمز على ما ينبغي ان يعتقد منه تخفيفا قياسيا وما يعتقد منه بدلا سماعيا ولا يفرقون بين القلب والابدال ولا بين ما هو جمع يكسر عليه الواحد وبين ما هو اسم للجمع وربما استشهدوا على كلمة من اللغة ببيت ليس فيه شيء من تلك الكلمة ... »[2] .

ولما كان أمر الكتب اللغوية والمجامع السابقة على مثل هذه الحال فقد أمل ابن سيده في ان يقدم لنا شيئا يسد النقص : « فاشرأبت نفسي عند ذلك الى ان اجمع كتابا مشتملا على جميع ما سقط الي من اللغة الا ما لا بال به ، وان أضع على كل كلمة قابلة للنظر تعليلها وأحكم في

(١) المخصص ١ : ٧ .
(٢) المصدر نفسه .

ذلك تفريعها وتأصيلها . وان لم تكن الكلمة قابلة لذلك وضعتها على ما وضعوه وتركتها علـى ما ودعوه تحبيرا أقينه وأرهفه وتعبيرا اتقنه وأزخرفه »[1] .

ولتأليف الكتاب داع آخر ، يقول ابن سيده : « ومبين قبل ذلك لم وضعته على غير التجنيس بأني لما وضعت كتابـي الموسوم بالمحكم مجنسا لأدل الباحث على فطنة الكلمة المطلوبة أردت ان أعدل به كتابا أضعه مبوبا حين رأيت ذلك أجدى على الفصيح المدره والبليغ المفوّه والخطيب المصقع والشاعر المجيد المدقع ، فانه اذا كان للمسمى اسماء كثيرة وللموصوف أوصاف عديدة انتقى الخطيب والشاعر منها ما شاءا واتسعا فيما يحتاجان اليه من سجع او قافية على مثال ما نجده نحـن في الجواهر المحسوسة »[2] .

وهذا بطبيعة الحال هو الدافع الاول لتأليف الكتاب . غيـر ان ابن سيده يتبع كلامه هذا بحديث يبرز فيه ما يزعم انـه فضل مجاهد العامري في التأليف . ويطنب ابن سيده اطنابا شديدا في وصف ما لمجاهد من شجاعة وتقوى ومروءة ، وعلم أيضا : « لم تزل العناية بالعلم قصده ومجالسة المهرة من حملته وكده حتى فاق كل بارع فَلَقَه وناطق قَوله ،

(١) المصدر نفسه ١ : ٨ .
(٢) المصدر نفسه ١ : ١٠ .

فأخرج العلم من الفساد الى الكون ومن العدم الى الوجود كما فعل ذلك في غيره من أجزاء الفضائل التي اعلقت به القلوب وأصبت اليه النفوس كالكرم والعدل والعفو .. »[1] . ولا يقف الامر عند حد التشجيع ، كما يقول ابن سيده ، وانما يتجاوز ذلك الى التعليم والارشاد « .. هداني سواء السبيل الى علم كيفية التأليف وأراني كيف توضع قوانين التصريف وعرفني كيف التخلص الى اليقين .. »[2] . والواقع ان مثل هذا الكلام ، وهو قليل من كثير ، لا يمكننا ان نأخذه مأخذ الجد . فأولا ، ابن سيده اخبرنا عن السبب الحقيقي للتأليف ، ذلك ان حاجة في نفسه تحركت بعد ما رآه من نقص في الكتب السابقة، فحاول استكمال هذا النقص . والكتاب نفسه ، ثانيا ، بنسجه على منوال « الغريب المصنف » يدلنا على انه من عمل ابن سيده وحده بغير ارشاد ولا نصائح .

٢ ـ منهج الكتاب

(أ) ينقسم المصنف الى كتب يبحث كل منها في موضوع محدد ، أو ، على الأقل ، كان يفترض ان يبحث في موضوع محدد : « كتاب

---

(١) المصدر نفسه ١ : ٩ .
(٢) المصدر نفسه .

خلق الانسان »[1] ، « كتاب الغرائز »[2] ، « كتاب النساء »[3] ، « كتاب الخيل »[4] ، « كتاب الابل »[5] ، الخ ..

(ب) وتنقسم هذه الكتب ، من حيث المبدأ ، الى ابواب . غير ان هذه الابواب قد تتباين طولا ، فبينما نراها احيانا تقصر الى نصف سطر[6] ، نراها في احيان اخرى تشغل صفحات كثيرة[7] . على ان هذا التقسيم ليس دقيقا دائما . فقد يأتي الباب مستقلا عن الكتاب تندرج تحته موضوعات مستقلة[8] . ومصطلح باب لم يرد في كل حالة ، بل كثيرا ما كانت ترد عناوين كثيرة دون ان تميز ، ثم يميز عنوان لاحق بالمصطلح « باب » او « ابواب » دون ان يكون لهذا العنوان أهمية خاصة تفرده دون ما سبقه من عناوين . ف « كتاب اللباس » مثلا ترد بعده العناوين التالية : « عامة الثياب » ، « الرقيق من الثياب » ، « الكثيف من الثياب » ، « المزأبر من الثياب » ، ثم يأتي بعد ذلك « باب المخطط من الثياب »[9] ، فطبيعي ان المصطلح « باب » هنا لا يميز بشيء هذا العنوان

---

(١) المخصص ١ : ١٥ .
(٢) المصدر نفسه ٢ : ١٤٨ .
(٣) المصدر نفسه ٣ : ١٥٤ .
(٤) المصدر نفسه ٦ : ١٣٥ .
(٥) المصدر نفسه ٧ : ٢ .
(٦) المصدر نفسه ٤ : ٦٦ ، ٦ : ١٣٣ ، ١٤ : ٨٤ .
(٧) المصدر نفسه ٦ : ١٣٥، ٧ : ٩٥ .
(٨) باب الفصاحة ٢ : ١١٢ ، ابواب النسب ١٣ : ٢٣٦ .
(٩) المخصص ٤ : ٦٣ ـ ٦٦ .

عما سبقه . ومن هنا فان هذا المصطلح يعتريه الكثير من التشويش والفوضى ، ويزيده تشويشا ان المؤلف ربما ترك بابا من غير ان يميزه في حين انه يختلف عما سبقه من أبواب .

(ج) وقد جعل ابن سيده المفردات تدور حول فكرة ما او موضوع ما او أسماء متعددة لمسمى واحد . ويورد في هذا المجال المفردات جميعها التي يرى انها تدخل في موضوعه . وبناء الكتاب على حسب الموضوعات ليس من ابتكار ابن سيده . ولقد لجأ العرب الى هذه الطريقة منذ اول تنبههم الى ضرورة جمع اللغة . فكان اللغوي منهم يذهب الى البادية ليقابل الاعراب ، او يأتي الاعراب اليه ليقابلوه ، وكان حينئذ يلجأ الى جمع الالفاظ والشواهد التي تدور حول موضوع واحد . من هؤلاء اللغويين الأصمعي في « كتاب الخيل » مثلا .

(د) وربما كان كتاب النضر بن شميل (ـ ٢٠٣/٨١٩) من اوائل الكتب العامة ، التي لا تختص بموضوع خاص ، فقد قيل عنه : « هو كتاب كبير يحتوي على عدة كتب : الجزء الأول يحتوي على خلق الانسان والجود والكرم وصفات النساء . والجزء الثاني يحتوي على الأخبية والبيوت وصفة الجبال والشعاب والأمتعة . والجزء الثالث للابل فقط . والجزء الرابع يحتوي على الغنم ، والطير ، والشمس ، والقمر ، والليل ، والنهار ، والالبان ، والكمأة ، والآبار ، والحياض ،

والأرشية ، والدلاء ، وصفة الخمر . والجزء الخامس يحتوي على الزرع ، والكرم ، والعنب ، واسماء البقول ، والاشجار ، والرياح ، والسحاب ، والامطار »[1] .

(هـ) ولعل كتاب « الغريب المصنف » اكثر الكتب تأثيرا في ابن سيده في تأليفه للمخصص . وقد رأينا كيف انه كان قادرا على روايته منذ أول عهده بالعلم . وتنبه القدماء الى ذلك فقال ابن خير : « وللكتاب المخصص في اللغة .. مرتب كالغريب المصنف »[2] . وقال القاضي صاعد : « كتاب المخصص مرتب على الابواب كغريب[3] المصنف »[4] .

(و) وقد اعتمد ابن سيده في كل باب من الابواب على ما ألف في ذلك الباب لمؤلف أو اكثر . وكان من نتيجة ذلك أن كثر ورود اسماء بعينها في ابواب ، وقلّ في أبواب اخرى . فثابت مثلا وهو صاحب « كتاب في خلق الانسان »[5] ، يتردد ذكره كثيرا في الجزء الأول الذي يدور حول هذا الموضوع ، ولكننا سنجد صعوبة بالغة في العثور على اسمه في الاجزاء الاخرى من المخصص .

---

(١) فهرست ابن النديم : ٥٢ ، وفيات الاعيان ٢ : ٢١٤ .
(٢) فهرسة ابن خير : ٣٥٦ .
(٣) الاصح على الاغلب : كالغريب .
(٤) طبقات الامم ، القاضي صاعد الاندلسي : ٧٧ .
(٥) طبع في الكويت ١٩٦٥ بتحقيق عبد الستار احمد فراج .

(ز) وينبه المؤلف في مقدمة كتابه الى طريقته في التأليف فيلخصها بقوله : « تقديم الأعم فالأعم على الاخص فالاخص ، والاتيان بالكليات قبل الجزئيات ، والابتداء بالجواهر والتقفية بالاعراض على ما يستحقه من التقديم والتأخير ، وتقديمنا كم على كيف ، وشدة المحافظة على التقييد والتحليل . مثال ذلك ما وصفته في صدر هذا الكتاب حين شرعت في القول على خلق الانسان فبدأت بتنقله وتكونه شيئا فشيئا ثم اردفت بكلية جوهره ثم بطوائفه وهي الجواهر التي تأتلف منها كليته ثم ما يلحقه من العظم والصغر ، ثم الكيفيات كالألوان الى ما يتبعها من الاعراض والخصال الحميدة والذميمة »[1] .

٣ ـ خصائص كتاب المخصص

أ ـ الاستطراد وتوارد الخواطر :

لم يبرأ ابن سيده في معجمه هذا من آفة ذلك الزمان في الاستطراد وعدم التقيد بصلب الموضوع . وكان هذا الاستطراد يجره ما يرد على فكر ابن‌سيده من امور مجانسة او أمور مناقضة . وقد يبدأ الحديث عن الطعام[2] وينتهي في آخر الباب بحديث عن المساكن[3] .

---

(١) المخصص : ١٠ .
(٢) المصدر نفسه ٤ : ١١٨ .
(٣) المصدر نفسه ٥ : ٢ .

غير ان هذا الاستطراد ليس في الموضوعات فحسب وانما هو في الألفاظ وفي التفصيلات بعامة . فان كلمة ما قد تجذبه الى كلمة مشابهة او مناقضة ، وان صفة ما قد تذكره بصفة أخرى لموصوف آخر .

ب ـ ظاهرة الجمع :

من الظواهر البارزة للغاية في تأليف الكتاب جمع التفاسير المتعلقة باللفظة الواحدة ورصفها بصورة من الصور . وقد تأتي المادة بهذه الصورة مناقضة بعضها للبعض الآخر وقد تأتي متممة او مؤيدة : « والقطوطى الذي يقارب المشي من كل شيء يقطو في مشيه نشاطا ومرحا وبغيا ، ويقطو يقارب الخطو ، والانثى قطوطاة فأما وزنه فذهب ابو عبيد الى انه فعولى وأما سيبويه فذهب الى انه فعلعل وذهب غيره الى أنه فعوعل »[1] ، لقد اختلفت الآراء هنا وتناقضت النتائج ، ولكن قد تأتي الآراء متممة فيكون كل واحد منها جزءا من الحقيقة : « ابن دريد : يقال للاحمق منطبة وقد نطبت أذن الرجل انطبها نطبا ـ ضربتها . ابن السكيت : رجل ارعن بين الرعونة ـ احمق . وقد رعن رعونة ورغانة ورغنا .. »[2] . ومما يؤيد بعضه بعضا ، « ابن السكيت : عنت الرجل عينا : اصبته بعين فهو معين ومعيون ، وأنشد :

---

(١) المصدر نفسه ١٥ : ٢٠٨ .
(٢) المصدر نفسه ٣ : ٤٩ .

قد كان قومك يحسبونك سيدا وأخال أنك سيد معيون

وهذا مطرد وانما ذكرته لتفرقة ، وذكرها الزجاجي وذلك أنه قال : المعين : المصاب بالعين . والمعيون : الذي به عين »[1] .

جـ ـ التحقيقات اللغوية والصرفية :

يميل ابن سيده الى ابراز الناحية الصرفية في معجمه ، ويجمع لنا الآراء التي ذكرت في مادة من المواد ، ذاكرا بناء اللفظة وأصلها ومشتقاتها : « سادهم يسودهم سيادة . ابن جني : واستادهم . ابو عبيد : وقد سودته ... والسؤدد : فعلل منه ، وقال : ساودني فسدته ، من السيادة ... وليس هذا بمطرد عند سيبويه . وقالوا سيد وسائد . صاحب العين : رئيس القوم ، كبيرهم ، والجمع رؤساء وريساء . قال علي : ليس لريساء عندي وجه البتة ، الا أن تكون الهمزة في رؤساء أبدلت واوا ابدالا صحيحا ليس على حد جون ، ثم قلبت الواو لغير علة الا طلب الخفة ، ثم قلبت الضمة كسرة لمكان الياء »[2] .

د ـ صعوبة العثور على اللفظة المطلوبة :

ليس من السهل البحث عن كلمة من الكلمات في هذا المعجم الكبير . والواقع قد يكون ذلك مستحيلا في كثير من الاحيان . اذ ربما

---

(١) المصدر نفسه ١ : ١٢١ .
(٢) المصدر نفسه ١ : ١٥٨ ــ ١٦٠ .

عثرت على لفظة في مكان لا تمت الى موضوعه بصلة . وقد زاد المشكلة صعوبة متاعب الاستطراد وعدم وجود منهج دقيق .

غير انه يمكن الاعتذار عن ابن سيده ، بأن الكتاب لم يؤلف لنبحث فيه عن الألفاظ المفردة ، وانما كما ذكر هو في مقدمة كتابه فقد اراد اثراء المادة المتيسرة للأديب وتسهيل الامر عليه بجمع هذه المادة له مبوبة حسب الموضوع الذي ينظم شعره فيه او يدبج خطبته .

هـ ـ شخصية ابن سيده غير واضحة :

كان من نتيجة تراكم المواد وأسلوب الجمع الذي اتبعه ان كان المعجم ناطقا باسماء اللغويين الذين اخذ المؤلف عنهم ، وليس باسم المؤلف نفسه . وربما كان السبب في ذلك ان اللغة ، عنده ، تؤخذ عن الاعراب ، وقد كانت الاندلس غير قادرة ، لذلك ، على الادلاء بدلوها في هذا المجال ، ولم يكن لعلمائها سوى النقل .

ومع ذلك فقد نستطيع ان نعثر على آراء لابن سيده وخصوصا في المشكلات النحوية والصرفية : « ابو حاتم ، الظمى : قلة دم اللثة ولحمها . رجل أظمى وامرأة ظمياء .. علي (علي بن اسماعيل بن سيده) : ليس الظمى من لفظ الظمأ ، ذلك مهموز وهذا معتل ، الا ان يكون تخفيفا بدليا وليس هذا بالواسع والا فهما مختلفا اللفظين كاحبنطأت واحبنطيت »[1] . والواقع ان ملاحظاته ليست نادرة[2] ، وانما هي ضائعة

---

(١) المصدر نفسه ١ : ١٤٥ .

(٢) المصدر نفسه ١ : ٢٦ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٧٤ ، ١١٠ ، ١١٧ ، ١٣٧ ، ١٤٥ ، ١٥٣ ، ١٦٥ .

في خضم الآراء ، وليس لها كيان واضح مجسم .

ومع الغرور الشديد الذي لاحظناه في حديثنا عن مقدمة الكتاب ، ومع زعمه انه سيصلح أخطاء من سبقه من العلماء ويقدم عملا نظيفا ، الا انه لم يوفق حتى في ازالة التناقض في كثير مـن مواضع نقله . ولم يكن ابن سيده يلجأ الى التمييز او التفضيل بل يرصف الاراء بغير ان يقدم واحدا على واحد . وهذا مما يزيد في طمس شخصيته .

ولعل من الاسباب التي زادت في تفكك شخصيته انه كثيرا ما كان يلجأ الى عبارات غامضة غير محددة المعالم مثل : غيره ، وغير واحـد ، قيل ، وقال اناس من العرب . ويصعب حصر مثل هـذه العبارات لأنها منتشرة في كل صفحة تقريبا . ومن العدل ان نقر بأن هـذه التعبيرات ليست من خصائص ابن سيده وحده ، ولكن هذا لا يغير من الحقيقة شيئا ، وتبقى شخصيته غير واضحة .

جـ ـ المحكم[1]

١ ـ الداعي الى تاليف الكتاب

يقـول ابن سيده في مقدمة كتابه « فلما وضح له ـ للموفق ـ

---

(١) صدر منه ثلاثة اجزاء حتى اليوم .

مكان الحاجة الى هذه اللسان الفصيحة ، الزائدة الحسن ، على ما اوتيه سائر الامم من اللسن ، أراد جمع الفاظها ، فتأمل لذلك كتب رواتها وحفاظها ، فلم يجد منها كتابا مستقلا بنفسه ، مستغنيا عن مثله ، مما ألف في جنسه بل وجد كل كتاب منها يشتمل على ما لا يشتمل عليه صاحبه ، وشل لا تعاند عليه ورّاده ، وكلأ لا تحاقد في مثله رواده ، لا تشبع فيه ناب ولا فطيمة ، ولا تغني منه خضراء ولا هشيمة »[1] . من هنا نستطيع ان نتصور ان الهدف الاول الذي قصده ابن سيده من تأليف معجمه كان جمع المواد اللغوية المشتتة في الدراسات والرسائل المختلفة . وطبيعي ان دور الموفق هنا لا يعدو التشجيع وتهيئة جو التأليف .

غير أن هذا التوزع في المادة اللغوية لم يكن الداعي الوحيد للتأليف فلقد « لحظ مناظر تعبيرهم ، ومسافر تحبيرهم ، فما اطّبى شيء من ذلك له ناظرا ، ولا سلك منه جنانا ولا خاطرا ، وذلك لما اوتيه وما حرموه ، وأوجده وأعدموه ، من ثقابة النظر ، واصابة الفكر ، وكان اكثر ما نقمه ــ سدده الله ــ عليهم ، عدولهم عن الصواب ، في جميع ما يحتاج اليه من الاعراب ، وما احوجهم من ذلك الى ما منعوه »[2] . فابن سيده لا يأخذ على السابقين التجزئة وعدم الشمول فحسب ، وانما

(١) المحكم ١ : ٣ .
(٢) المصدر نفسه ١ : ٣ ــ ٤ .

هو ينعي عليهم « عدولهم عن الصواب » . فهو هنا ، اذن ، يعدنا بتغييرين جذريين ، تغيير في المنهج وزيادة في الدقة .

٢ ـ منهج الكتاب

ينقسم معجم ابن سيده الى حروف مرتبة وفق المخارج على النحو التالي : العين ، الحاء ، الهاء ، الخاء ، الغين ، القاف ، الكاف ، الجيم ، الشين ، الضاد ، الصاد ، السين ، الزاي ، الطاء ، التاء ، الدال ، الظاء ، الذال ، الثاء ، الراء ، اللام ، النون ، الفاء ، الباء ، الميم ، الهمزة ، الياء ، الواو ، والالف . وكل حرف من هذه الاحرف ينقسم الى الابواب التالية : الثنائي المضاعف الصحيح ، الثلاثي الصحيح ، الثنائي المضاعف المعتل ، الثلاثي المعتل ، الثلاثي اللفيف ، الرباعي ، الخماسي ، السداسي ، وقد امتلأت هذه الابواب بالتقاليب ، وهو النظام الذي اتبعته مدرسة العين ، ورأيناه في كتاب البارع .

ويبدو ان ابن سيده كان واعيا لأمور ، وكان يبغي توخيها والسير عليها . ويضع في مقدمة كتابه خطة محكمة يرسم بها سبيله في التأليف : « ومن غريب ما تضمنه هذا الكتاب ، تمييز اسماء الجموع من الجموع ، والتنبيه على الجمع المركب ، وهو الذي يسميه النحويون جمع الجمع ، فان اللغويين جمًّا لا يميزون الجمع من اسم الجمع ، ولا ينبهون على جمع الجمع . ومن الأبنية ما يجوز أن يكون جمعا ، وأن

يكون جمع جمع ، وذلك ادق ما في هذا الجنس المقتضي للجمع . فاذا مررنا في كتابنا بمثل هذا النوع من الجمع علمنا أيهما أولى به الجمع أم جمع الجمع »[1] .

وسوف يطول بنا الامر لو نحن حاولنا اقتباس ما قاله ابن سيده في مقدمة كتابه عن خطته في التأليف ، فلقد أطال اطالة عظيمة واتى بالامثلة الموضحة . ويمكن تلخيص عمله بما يلي :

أ ــ حذف ما اعتقد انه يزيد في حجم الكتاب بلا مبرر . من ذلك المشتقات القياسية ، وجمع اسم الفاعل من الاجوف على فَعَلَة ، او الناقص على فُعَلَة ، او المؤنث على فواعل ، والمصدر الميمي واسمي المكان والزمان ، وافعال التعجب . ولا يذكر من كل ذلك الا الشاذ .

ب ــ ونبه على أمور شاذة قد يؤدي اغفال ذكرها الى الالتباس ، ومن ذلك : اسم المفعول الذي لا فعل له او المبني من الفعل اللازم ، والافعال التي لا مصادر او لا ماضي لها ، او لها مصادر من غير لفظها ، والنسب الشاذ ، والمؤنث بغير علامة ، والالفاظ التي يشعر ظاهرها انها للمفرد والجمع ، وما لا يصغر .

جـ ــ وميَّز اسماء الجموع من الجموع وجموع الجموع ، واسم الفاعل الجاري على فعله بعطفه عليه بالفاء من اسم الفاعل غير

---

(١) المصدر نفسه ١ : ٨ ــ ٩ .

الجاري عليه بعطفه بالواو ، والمهموز اصلا من المهموز شذوذا ، والمعتل الواوي من اليائي .

د ــ راعى في ترتيب الالفاظ في داخل المواد تقديم المفرد على الجمع ، وجمع القلة على الكثرة ، والمجرد على المزيد[1] .

ويمكن الاستشهاد على هذا كله بكلام للمؤلف من مقدمة كتابه . غير انه ، كما سنلاحظ ، لم يستطع ان يتقيد تماما بهذه الخطة ، وغلبته المادة الهائلة التي أتى بها في احيان كثيرة فتزعزع ترتيبه .

٣ ـ مصادر الكتاب

يضع ابن سيده في مقدمة كتابه ثبتا بالمؤلفات التي أخذ عنها ، وهو يقسم هذه المؤلفات الى قسمين : لغوية ونحوية ، « واما ما ضمناه كتابنا هذا من كتب اللغة ، فمصنف أبي عبيد ، والاصلاح ، والالفاظ ، والجمهرة ، وتفاسير القرآن ، وشروح الحديث ، والكتاب الموسوم بالعين ، ما صح لدينا منه ، وأخذناه بالوثيقة عنه ، وكتب الأصمعي ، والفراء ، وابي زيد ، وابن الاعرابي ، وابي عبيدة ، والشيباني ، واللحياني ، ما سقط الينا من جميع ذلك ، وكتب ابي العباس احمد ابن يحيى : المجالس ، والفصيح ، والنوادر ، وكتابا ابي حنيفة ، وكتب

(١)راجع فيما يتعلق بهذه الخطة كتاب المعجم العربي : ٣٤٦ ــ ٣٤٧ .

كـُراع ، الى غير ذلك من المختصرات ، كالزبرج ، والمكنّى ، والمبنّى ، والمثنّى ، والاضداد ، والمبدل ، والمقلوب ، وجميع ما اشتمل عليه كتاب سيبويه من اللغة المعللة العجيبة ، الملخصة الغريبة ، المؤثرة لفضلها ، والمستراد لمثلها ، وهو حلي كتابي هذا وزينه ، وجماله وعينه ، مع ما أضفته اليه من الابنية[1] التي فاتت كتاب سيبويه معللة ، عربية كانت أو دخيلة . واما ما نثرت عليه من كتب النحويين المتأخرين ، المتضمنة لتعليل اللغة ، فكتب أبي علي الفارسي : الحلبيات ، والبغداديات ، والاهوازيات ، والتذكرة ، والحجة ، والاغفال ، والايضاح ، وكتاب الشعر . وكتب ابي الحسن بن الرماني ، كالجامع ، والاغراض ، وكتب ابي الفتح عثمان بن جني : كالمغرب ، والتمّام ، وشرحه لشعر المتنبي ، والخصائص ، وسر الصناعة ، والتعاقب ، والمحتسب »[2] . وكانت هناك مصادر أخرى لم يستطع ابن سيده حصرها اختارها وجمع موادها من هنا ومن هناك ، وهو يسجل ذلك فيقول : « الى أشياء اقتضبتها من الاشعار الفصيحة ، والخطب الغريبة الصحيحة[3] . ويلاحظ انه نسب مادة كتابه كلها الى الاصول المشرقية ، بغير الالتفات الى المؤلفات

---

(١) لعله استفاد في ذلك من كتاب « الاستدراك على سيبويه » لابي بكر الزبيدي ، الذي تجده موصوفا في ص : ١٣٥ ــ ١٤٦ من هذا الكتاب .

(٢) المحكم ١ : ١٥ .

(٣) المصدر نفسه .

اللغوية الاندلسية . وقد كان لفئة ممن سبق ابن سيده اعمال تشهد لهم بالتقدم والمقدرة ، كما رأينا عند القالي والزبيدي وابن القوطية . وأغلب الظن ان ابن سيده استفاد منهم واطلع على مؤلفاتهم ، وان كان يصعب اثبات ذلك ، لأن مصادر القالي والزبيدي وابن القوطية وابن سيده هي في الاساس واحدة ، جاءتهم من المشرق ، وجميعهم طوروا اساليب وطرائق اخذوها عن المشارقة ، لذلك ليس سهلا التأكد هل استفاد من الفرع ام رجع الى الأصل . ولا بد أنه عرف أيضا مصادر شفوية عديدة غير انه لا يفرق في معجمه بين مثل هذه المصادر وبين المصادر المكتوبة .

٤ ـ خصائص كتاب المحكم

ان اختيار مادة من المواد ودراستها وتحليلها يجعلنا اقرب الى خصائص ابن سيده في هذا المعجم ، واقدر على ابراز الخصائص الهامة . ولتكن مادة « العين والقاف والتاء »[1] .

« العتق : خلاف الرق .

عَتَق يَعْتِقُ عتقا ، وعِتقا ، وعتاقا وعتاقة ، فهو عتيق وجمعه عُتقاء» . فقد اعطانا أولا الاسم ومعناه ، ثم الفعل الثلاثي المجرد ومصادره المختلفة ثم الصفة منه في حالتي الافراد والجمع .

---

(١)المصدر نفسه ١ : ١٠٠ ـ ١٠٢ .

« وأعتقه فهو مُعتق وعتيق . والجمع كالجمع » فانتقل اذن من المجـرد الى المزيد . غير انه يذكر اسم المفعول القياسي « معتق » وهو هنا لا يفي بما وعدنا به في المقدمة من حذف المصادر واسماء المفاعيل القياسية .

وبعد ان بدأ بالاسم ثم ثني الى الافعال فأعطانا المجرد منها والمزيد ، انتقل الى الاسماء والصفات المشتقة من الافعال « عتيق : اسم الصدّيق،. قيل سمي بذلك ، لأن الله تعالى اعتقه من النار » ، « وفرس عاتق : سابق»، « ورجل معتاق الوسيقة : اذا طرد طريدة سبق بها . وقيل : اذا سبق بهـا وأنجاها » ، « والعاتق : الناهض من فراخ القطا ، قال ابو عبيد ، ونـرى انه من السبق . وقيل : العاتق من الطير : فوق الناهض ، وهو في أول مـا ينحسر ريشه الاول ، وينبت له ريش جِلْذيّ : اي شديد . وقيل : العاتق من الحمام : ما لم يسنّ ويستحكم ، والجمع : عتق » . ونسجل ها هنا ان ابن سيده وقع فيما وقع فيه القالي من قبل فاورد المعلومات دون ان يوازن بينها ، مما ادى الى رصف معان متناقضة احيانا دون ترجيح .

ثم يعود الاسم مرة أخرى فيذكر ان « العتق الشجر التي تتخذ منها القسي العربية .. والعتيق : فحل من النخل معروف ، لا تنفض نخلته .. وعتيق الطير البازي ، قال لبيد :

فانتضلنا وابن سلمى قاعد كعتيق الطير يغضي ويجل

ابن سلمى النعمان ، وانما ذكر مقامته مع الربيع ، بين يدي النعمان ».فهو

يلجأ الى تفسير ما هو غامض مما لا علاقة له بالمادة الأصلية .

« والعتيق : القديم من كل شيء ، وقد عَتُق عِتقا وعتاقة . والبيت العتيق : مكة ، لقدمه ، لانه اول بيت وضع للناس . وقيل لانه اعتق من الغرق ايام الطوفان . وقيل سمي عتيقا ، لانه لم يملكه أحد » . فابن سيده يذكر المعاني المختلفة دون ان يرد الآراء الى اصحابها ، ويكثر من استعمال كلمة « قيل » ، او « قال بعض حذاق اللغويين » .

واما ابيات الشعر فهنالك ، في هذه المادة « عتق » التي ندرسها ، سبعة شواهد شعرية ذكر اسماء اصحابها ، وهناك شاهدان لم يذكر اسمي قائليهما ، ربما لانه لم يعرفهما . واذا صح ذلك فاننا نستطيع القول بانه يذكر صاحب الشاهد اذا عرفه .

« فأما قول الأعشى :

وكأن الخمر العتيق من الاسفنط ممزوجة بماء زلال

فانه قد يوجه على تذكير الخمر ، فاما ان يكون تذكير الخمر معروفا ، واما ان يكون وجهها على ارادة الشراب ، ومثله كثير ، أعني الحمل على المعنى . قال ابو حنيفة : وان شئت جعلت فعيلا هنا في معنى مفعول كما تقول : عين كحيل ، فتكون الخمر مؤنثة ، على اللغة المشهورة » . وهذا يدلنا على اهتمام ابن سيده بالمسائل الصرفية وادراجه لها في معجمه . وقد رأينا ان من جملة مصادره مجموعة من كتب النحو والابنية . وهو يدرك ما في كتابه

هذا من صعوبة فيقول : « وليست الاحاطة بعلم كتابنا هذا ، الا لمن مهر بصناعة الاعراب »[1] .

وبعد ان يتحدث عن الاسماء يعود الى الفعل المزيد منه والمجرد بغير ضابط : « عتّق بفيه : عض . وعَتَق المال عِتقا : صلح . وأعتقه أصلحه . وعتق بعد استعلاج فهو عتيق : رقّ .. » ثم يعود مرة اخرى الى الاسماء : « العتيق اسم للتمر ، علَم ، وأنشد قول عنترة :

كذب العتيق وماء شن بارد ان كنت سائلة غبوقا فاذهبي

والعاتق : ما بين المنكب والعنق » .

وبعد ان يستوفي الكلمة بكل ما فيها من فروع ومعان ينتقل الى « مقلوبه (ق ت ع) : قتع يقتع قتوعا : انقتع وذلّ » .

ويمكننا ، اعتمادا على المادةالسابقة وغيرها من المواد ، ايجاز الملاحظات التالية :

أ ــ لا يفي بما وعدنا به في المقدمة من حذف المصادر واسماء المفاعيل القياسية .

ب ــ ولا يفي أيضا بما وعدنا به من انه سيراعي في ترتيب الالفاظ داخل المواد تقديم المفرد على الجمع ، وتقديم المجرد على المزيد ، وترتيب

(١) المصدر نفسه ١ : ١٤ .

الاعلام بلا تشويش ، مما جعل العثور على اللفظة المطلوبة امرا عسيرا ، وبخاصة اذا كان اللفظ مزيدا او مشتقا .

جـ ـ يلجأ الى طريقة التفسيرات المتراكمة بغير تصنيف بحيث يأتي بعضها ، احيانا ، مناقضا لبعض .

د ـ قلل كثيرا من الاعتماد على الاشعار بحيث لم تعد مقصودة لذاتها وانما لتقوم بعملها في توضيح الدلائل اللغوية . وهو يرد الشاهد الى صاحبه اذا عرفه .

هـ ـ فسر الالفاظ الصعبة التي ترد في النصوص حتى ولو لم تكن من المادة الاصلية التي يتعرض لها .

و ـ لا يهتم بذكر المصادر ولا يرد الآراء الى اصحابها الا نادرا ، ويكتفي بلفظة قيل او ما شابهها .

ز ـ ولكنه كان يسجل اسم صاحب الرأي اذا كان رأيه قاعدة وليس مجرد تفسير[1] .

ح ـ يهتم بالنواحي الصرفية ويعالجها بافاضة .

ط ـ قلل من الاستطراد الى الروايات والاخبار التي تجرها لفظة

---

(١)انظر المحكم ١ : ٢٦١ ، ٢ : ١٦٥ ، ٣٨٠ .

ما ، ولكنه لم يستطع ان يتخلص من ذلك نهائيا[1] .

وبرغم المآخذ التي سجلناها عليه ، فانه استطاع ، الى حد ما ، ان يقدم لنا هذه المادة الهائلة بما قدر عليه من تنظيم ، وبشيء من الاختصار أيضا ، وملأ معجمه بتخريجات نحوية وصرفية .

وقد أثار هذا الكتاب نشاطا كبيرا ، واعتمده اصحاب المعجمات المتأخرون كابن منظور والفيروزابادي ، « وطعن فيه السهيلي في الروض عند الكلام على نقض الصحيفة فقال : وما زال ابن سيده يعثر في هذا الكتاب ، يعني المحكم »[2] ، « ورد عليه ابن برجان عبد السلام بن عبد الرحمن ناقدا محللا »[3] . واثنى عليه اصحاب التراجم فوصفوه بالشهرة[4] ، وقيل فيه « لم ير مثله في فنه ولا يعرف قدره الا من وقف عليه ... لو حلف الحالف انه لم يصنف مثله لم يحنث »[5] .

---

(١) المصدر نفسه ١ : ٢٥٧ ــ ٢٥٨ ، ٢ : ١٧١ .
(٢) لسان الميزان ٤ : ٢٠٥ .
(٣) التكملة : ٥٨٥ ، ٦٤٦ (الطبعة الاوروبية) ، وانظر ترجمته أيضا في بغية الوعاة : ٣٠٦ .
(٤) تاريخ ابي الفدا ٢ : ١٨٦ .
(٥) انباه الرواة ٢ : ٢٢٥ .

خاتمة

الآن وقد بلغت كلمة الختام أرى أن أجمل الصورة العامة لهذا الكتاب ، فلقد درست الحياة اللغوية الاندلسية ، في حقبة تزيد على اربعمائة عام . وكانت تلك الفترة ناشطة منذ بدايتها . وان كان القرن الرابع للهجرة هو ما يمكن ان نسميه بالعصر الذهبي لها ، فان هذا العصر هو نتيجة لما تقدمه من نشاط ، وقمة للتطور الطبيعي في حياة اللغة .

وقد قدمت للبحث بمقدمة عالجت فيها امور اللغة والمجتمع قبل الفتح العربي وتوزع الاجناس العربية بعده ، واوضحت مكانة اللغة عند الاندلسيين والعوامل الفعالة التي كان لها التأثير العظيم المستمر في تطوير اللغة .

وقد تدرجت مع الزمن معالجا منذ الفصل الاول حتى الفصل الخامس والأخير تطور الحياة اللغوية ونموها ، ودعمت ما وضحته من تيارات مختلفة بأمثلة مفصلة من سير المؤلفين الكبار وأهم مؤلفاتهم . وقد قصدت من هذه السير والمؤلفات الى ابراز الصورة وتوضيح ما

يمكن ان يكون قد ظل غامضا حين الحديث عن التيارات والاتجاهات والعوامل المؤثرة وألوان النشاط المختلفة .

واعتقد انني حققت أمرين رئيسين مهمين :

١ ــ كان هذا الكتاب بناء جديدا ، لم يتوكأ على بناء سابق ، فجاء حركة رائدة ، له ما للريادة من فضل التقدم والاستكشاف . وان تكن هذه الريادة قد اعطت البحث قيمة ، فانها قد زادته عليّ صعوبة . فالى جانب عظم الفترة التي تغطيها دراستي فان جدة البحث قد كانت عاملا شاقا يتطلب التنقيب الطويل في المصادر ويجعل تصور الموضوع غاية في الصعوبة . والواقع لم استطع ان أحيط بالمصادر وان اتصور البحث على صورته الحالية الا بعد اطلاع واسع وبحث دائب وعمل جاد أمين ، لفترة طويلة من الزمن .

٢ ــ والأمر الثاني الذي اعتقد ان له هو الاخر أهمية بالغة ، انني بهذا البحث قد أسهمت في تصور جزء من تراثنا اللغوي ، وقدمت بحثا عن تاريخ اللغة في الاندلس ارجو ان يفيد منه الدارسون . ولعلني لا أبالغ اذا قلت ان اللغة في الاندلس جديرة اعظم الجدارة بالدراسة والوصف والتحليل والبناء . وهناك نواح ــ منها اللغة العامية الاندلسية ــ لا تزال بحاجة الى دراسات مفصلة موضحة ، واذا كنت أقدم مثل هذا المجهود فانما ارد شيئا من الحق الى اصحابه . فأهل الاندلس ــ بمجهوداتهم اللغوية المختلفة ــ قد أضافوا الى تراثنا ، فحق لهم الاعتراف

بالفضل .

ولأول مرة ـ فيما أعتقد ـ يتكامل بحث واحد ليبين دور المؤدبين في حياة اللغة بالاندلس ، ويأخذ بعين الجدّ والاستقصاء جهود المهاجرين من المشارقة والكتب المهاجرة من المشرق والرحلة في طلب اللغة ويتلمس نواحي « النظرية » اللغوية بالاندلس ، ويفصل القول في المؤلفات اللغوية الهامة وأصحابها ويعطي للاندلس في الجانب اللغوي ما تستحقه من اهتمام وتقدير .

ولست أقول : ان هذا هو جهد المقلّ ، فكل عمل علمي انما هو جهد المقلّ ، أعني أنه لبنة تتساند مع غيرها في نطاق البناء الكلي .

مراجع الدراسة

أ ـ المراجع العربية

١ ـ ابو العلاء وما اليه

عبد العزيز الميمني ، اعظم كره ١٣٤٤ هـ .

٢ ـ احكام صنعة الكلام

أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي ، مصورة بدار الكتب المصرية مأخوذة عن نسخة خطية بمكتبة الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب . وقد ظهر الكتاب بتحقيق محمد رضوان الداية، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٧ .

٣ ـ الاحكام في أصول الأحكام

ابو محمد علي بن حزم الاندلسي ، تحقيق احمد محمد شاكر، ط القاهرة ، ١٣٤٥ ـ ١٣٤٨ ، ٨ ج .

٤ ـ أرجوزة ابن سيده

مجلة المشرق ، السنة السادسة والثلاثون .

٥ ـ أزهار الرياض في أخبار عياض

شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني ، تحقيق : مصطفى السقا ، ابراهيم الابياري ، عبد الحفيظ شلبي ، القاهرة ، ١٩٣٩ ـ ١٩٤٢ .

٦ ـ الاستدراك على سيبويه

ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي ، تحقيق : اغناطيوس غويدي ، روما ، ١٨٩٠ .

٧ ـ الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى

أبو العباس احمد بن خالد الناصري ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤ ـ ١٩٥٦ ، ٩ ج .

٨ ـ اصلاح الخلل الواقع في الجمل

ابن السيد البطليوسي ، مخطوطة بدار الكتب المصرية .

٩ ـ اعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام

لسان الدين ابن الخطيب التلمساني ، تحقيق : ليفي بروفنسال ، الطبعة الثانية ـ بيروت ، ١٩٥٦ .

١٠ ـ الافعال الثلاثية والرباعية

ابو بكر محمد بن عمر ابن القوطية ، تحقيق : اغناطيوس غويدي ، ليدن ، بريل ، ١٨٩٤ .

١١ ـ الاقتضاب في شرح أدب الكتاب

ابو محمد عبد الله ابن السيد البطليوسي ، قلفاط وميداني ـ بيروت ، ١٩٠١ .

١٢ ـ الامالي

ابو علي القالي ، الطبعة الثالثة ـ القاهرة ، ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤ ، ٢ ج .

١٣ ـ الامثال

ابو علي القالي ، مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم : أدب ٧٤٤٢ .

١٤ ـ انباه الرواة على أنباه النحاة

جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف القفطي ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم، القاهرة ، ١٩٥٠ ـ ١٩٥٥ ، ٣ ج.

١٥ ـ الانتصار ممن عدل عن الاستبصار

ابو محمد عبدالله بن السيد البطليوسي ، تحقيق : حامد عبد المجيد ، القاهرة ، ١٩٥٥ .

١٦ ـ الانصاف في التنبيه على الاسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم

ابو محمد عبد الله بن السيد البطليوسي ، مطبعة الموسوعات بمصر ، ١٣١٩ هـ .

١٧ ـ البارع في اللغة

ابو علي القالي ، تحقيق : أ. س. فلتن ، لندن ، ١٩٣٣ .

١٨ ـ بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الاندلس

أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي، ط مجريط ١٨٨٤ .

١٩ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة

جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، الطبعة الاولى ـ القاهرة ، ١٣٢٦ .

٢٠ ـ البيان المغرب في أخبار المغرب
ابن عذاري المراكشي ، تحقيق : ليفي بروفنسال ، ط باريز ، ١٩٣٠ .

٢١ ـ تاريخ الادب الاندلسي
عصر سيادة قرطبة ، الدكتور احسان عباس ، نشر دار الثقافة ـ الطبعة الاولى ـ بيروت ، ١٩٦٠ .

٢٢ ـ تاريخ الادب الاندلسي
عصر الطوائف والمرابطين ، الدكتور احسان عباس ، نشر دار الثقافة ـ الطبعة الاولى ـ بيروت ، ١٩٦٢ .

٢٣ ـ تاريخ الأدب العربي (١)
كارل بروكلمان ، ترجمة : عبد الحليم النجار ، القاهرة ، ١٩٥٩ ـ ١٩٦٢ ، ٣ ج .

٢٤ ـ تاريخ افتتاح الاندلس
محمد بن عمر ابن القوطية ، تحقيق : عبد الله انيس الطباع ، دار النشر للجامعيين ، بيروت ، ١٩٥٧ .

٢٥ ـ تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس
عبد الله بن محمد بن يوسف ابن الفرضي، القاهرة ، ١٩٥٤ ، ٢ ج .

٢٦ ـ تاريخ قضاة الاندلس
أبو الحسن بن عبد الله النباهي ، تحقيق : ليفي بروفنسال ، دار الكاتب المصري ـ ١٩٤٨ .

(١) حين كنت استعين بالأصل الألماني كنت أضيف : « طبعة ليدن » ، أو اكتفي بلفظة : « الملحق » .

٢٧ ـ **تذكرة الحفاظ**

ابو عبد الله شمس الدين الذهبي ، الطبعة الثالثة ـ مطبعة حيدر آباد ، ١٩٥٥ ـ ١٩٥٨ ، ٤ ج .

٢٨ ـ **تعريف العلماء بأبي العلاء**

اشراف : الدكتور طه حسين ، القاهرة ، ١٩٤٤ .

٢٩ ـ **التقريب لحد المنطق والمدخل اليه**

ابو محمد علي بن حزم الاندلسي ، تحقيق : الدكتور احسان عباس ، منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت ، ١٩٥٩ .

٣٠ ـ **التكملة لكتاب الصلة**

ابو محمد عبد الله محمد بن عبد الله ابن الابار ، القاهرة ، ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦ ، ٢ ج .

٣١ ـ **التكملة لكتاب الصلة**

ابو محمد عبد الله محمد بن عبد الله ابن الابار ، الطبعة الاوروبية .

٣٢ ـ **التنبيه على أوهام ابي علي في أماليه**

عبد الله بن عبد العزيز البكري ، الطبعة الثالثة ـ القاهرة ، ١٩٥٤ .

٣٣ ـ **توشيع التوشيح**

صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، تحقيق البير حبيب مطلق ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٦ .

٣٤ ـ **الجامع في أخبار ابي العلاء وآثاره**

محمد سليم الجندي ، دمشق ، ١٩٦٢ ، ٢ ج .

٣٥ ـ جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس

محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي ، تحقيق : محمد تاويت الطنجي ، الطبعة الاولى ، القاهرة ، ١٩٥٢ .

٣٦ ـ الجغرافيا والجغرافيون في الاندلس

الدكتور حسين مؤنس ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية ، المجلد ٧ ، ٨ .

٣٧ ـ جمهرة أشعار العرب

محمد بن ابي الخطاب القرشي ، دار صادر، بيروت ، ١٩٦٣ .

٣٨ ـ جمهرة انساب العرب

أبو محمد علي بن حزم الاندلسي ، تحقيق : ليفي بروفنسال (١٩٤٨) ، وتحقيق : عبدالسلام هارون (١٩٦٢) ، دار المعارف بمصر .

٣٩ ـ الحدائق في المطالب العالية الفلسفية

ابو محمد عبد الله ابن السيد البطليوسي ، تحقيق : محمد زاهد بن الحسن الكوثري ، الطبعة الاولى ، القاهرة ، ١٣٦٥ هـ .

٤٠ ـ حضارة العرب في الاندلس

ليفي بروفنسال ، ترجمة : ذوقان قرقوط ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت .

٤١ ـ الحلل في شرح أبيات الجمل

ابن السيد البطليوسي ، مخطوطة بدار الكتب المصرية .

٤٢ ـ **الحلة السيراء**

أبو محمد عبد الله محمد بن عبد الله ابن الأبار ، تحقيق : الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ٢ ج .

٤٣ ـ **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**

عبد القادر بن عمر البغدادي ، الطبعة الاولى ، القاهرة ، ١٢٩٩ هـ ، ٤ ج .

٤٤ ـ **خلق الانسان**

ثابت بن ابي ثابت ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، الكويت ، ١٩٦٥ .

٤٥ ـ **دار الطراز في عمل الموشحات**

ابن سناء الملك ، تحقيق : جودة الركابي ، دمشق ، ١٩٤٩ .

٤٦ ـ **دول الطوائف**

محمد عبد الله عنان ، الطبعة الاولى ـ مطبعة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٠ .

٤٧ ـ **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**

برهان الدين ابراهيم بن علي ابن فرحون المالكي ، الطبعة الاولى ـ القاهرة ، ١٣٥١ هـ .

٤٨ ـ **ديوان ابن قزمان**

محمد بن عيسى بن عبد الملك ابن قزمان، نشر دافيد جنزبرغ. ١٨٩٦ .

٤٩ ــ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة

ابو الحسن علي ابن بسام الشنتريني ، القسم الأول من الجزء الأول ، القسم الثاني من الجزء الأول ، القسم الاول من الجزء الرابع ، القاهرة ، ١٩٣٩ ــ ١٩٤٢ ، ١٩٥١ .

٥٠ ــ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة

ابو الحسن علي ابن بسام الشنتريني ، القسم الثاني والقسم الثالث ، مخطوطة بغداد .

٥١ ــ ذكر بلاد الاندلس

مؤلف مجهول ، مخطوطة الرباط رقم ٨٥ ج .

٥٢ ــ الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة

محمد بن عبد الملك المراكشي ، تحقيق : الدكتور احسان عباس ، نشر دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٤ ــ ١٩٦٥ ، ج ٤ ، ج ٥ .

٥٣ ــ الرد على النحاة

احمد بن عبد الرحمن بن مضاء القرطبي ، تحقيق : شوقي ضيف ، الطبعة الأولى ــ دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٤٧ .

٥٤ ــ رسائل ابن حزم الاندلسي

تحقيق : الدكتور احسان عباس ، مكتبة الخانجي بمصر ، ١٩٥٤ .

٥٥ ــ رسائل في اللغة

(من بينها جزء من المسائل والاجوبة لأبي محمد عبد الله ابن السيد البطليوسي) ، تحقيق : ابراهيم السامرائي ، بغداد ، ١٩٦٤ .

٥٦ ـ رسالة في اعراب : ان الضارب الشاتم والده كان زيدا

ابو القاسم بن العريف ، مخطوطة بدار الكتب المصريـة تحت رقم : ١٠٠٧ نحو .

٥٧ ـ الروض المعطار في خبر الاقطار

ابو عبد الله محمـد بن عبد الله الحميري ، تحقيـق : ليفي بروفنسال ، القاهرة ، ١٩٣٧ .

٥٨ ـ روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات

محمد باقر موسوي ، الطبعة الثانية ، طهران ، ١٣٤٧ .

٥٩ ـ الزجل في الاندلس

عبد العزيز الأهواني ، القاهرة ، ١٩٥٧ .

٦٠ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب

عبد الحي ابن العماد الحنبلي ، القاهرة ، ١٣٥٠ ـ ١٣٥١ هـ ، ٨ ج .

٦١ ـ شروح سقط الزند

ابو محمد عبد الله بن السيد البطليوسي (وآخران) القاهرة ، ١٩٤٥ ـ ١٩٤٨ ، ٥ ج .

٦٢ ـ الصلة

ابو القاسم خلف بن عبد الملك ابن بشكوال ، القاهرة، ١٩٥٥ ، ٢ ج .

٦٣ ـ صورة الارض

ابو القاسم بن حوقل النصيبي ، منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت .

٦٤ ـ طبقات الاطباء والحكماء

ابو داود سليمان بن حسان الاندلسي ابن جلجل ، تحقيق : فؤاد سيد ، القاهرة ، ١٩٥٥ .

٦٥ ـ طبقات الامم

ابو القاسم صاعد بن احمد الاندلسي ، تحقيق : الأب لويس شيخو ، المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت ، ١٩١٢ .

٦٦ ـ طبقات النحويين واللغويين

ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، الطبعة الاولى ـ القاهرة ، ١٩٥٤ .

٦٧ ـ العاطل الحالي والمرخص الغالي

صفي الدين الحلي ، تحقيق : ولهلم هونرباخ ، فيسبادن ، ١٩٥٥ .

٦٨ ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر (تاريخ ابن خلدون)

عبد الرحمن ابن خلدون ، طبعة بولاق ، ١٢٨٤ هـ ، ٧ ج .

٦٩ ـ عيون الانباء في طبقات الاطباء

موفق الدين احمد بن القاسم ابن ابي اصيبعة ، دار الفكر ـ بيروت ، ١٩٥٦ .

٧٠ ـ غاية النهاية في طبقات القراء

شمس الدين ابو الخير محمد ابن الجزري ، تحقيق : ج . برجستراسر ، القاهرة ، ١٩٣٢ ، ٣ ج .

٧١ ـ فجر الاندلس

حسين مؤنس ، الطبعة الاولى ـ القاهرة ، ١٩٥٩ .

٧٢ ــ **الفصل في الملل والاهواء والنحل**

ابو محمد علي ابن حزم الاندلسي ، الطبعة الاولى ــ القاهرة ، ١٣١٧ ، ٥ ج .

٧٣ ــ **فصل المقال في شرح كتاب الامثال**

عبد الله بن عبد العزيز البكري ، تحقيق : الدكتور احسان عباس والدكتور عبد المجيد عابدين ، الخرطوم ، ١٩٥٨ .

٧٤ ــ **الفهرست**

ابن النديم ، تحقيق : فلوجل ، بيروت ، ١٩٦٤ .

٧٥ ــ **فهرسة ابن خير**

ابو بكر محمد ابن خير ، تحقيق : كوديرا وريبيرا ، بيروت ، ١٩٦٣ .

٧٦ ــ **فوات الوفيات**

محمد بن شاكر الكتبي ، تحقيق : محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ١٩٥١ ، ٢ ج .

٧٧ ــ **قضاة قرطبة**

محمد بن حارث الخشني ، نشر عزت العطار الحسيني ــ القاهرة ، ١٣٧٢ هـ .

٧٨ ــ **قلائد العقيان**

الفتح بن خاقان ، ط بولاق ، ١٢٨٣ .

٧٩ ــ **كتاب سيبويه**

ابو بشر عمرو بن قنبر سيبويه ، الطبعة الاولى ــ ١٣١٦ ــ ١٣١٧ ، ٢ ج .

٨٠ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون

حاجي خليفة ، استامبول ، ١٩٤١ ـ ١٩٤٣ ، ٢ ج .

٨١ ـ اللآلي في شرح الأمالي

عبد الله بن عبد العزيز البكري ، تحقيق : عبد العزيز الميمني، القاهرة ، ١٩٣٦ ، ٢ ج .

٨٢ ـ لحن العوام

ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي ، تحقيق : الدكتور رمضان عبد التواب ، الطبعة الاولى ـ القاهرة ، ١٩٦٤ .

٨٣ ـ لسان الميزان

شهاب الدين احمد بن علي ابن حجر العسقلاني ، الطبعة الاولى ـ حيدر آباد الدكن ، ١٣٢٩ ـ ١٣٣١ هـ ، ٦ ج .

٨٤ ـ المثلثات

ابن السيد البطليوسي ، مخطوطة بدار الكتب المصرية ، مجاميع ش ٣ .

٨٥ ـ المحكم والمحيط الأعظم في اللغة

علي بن اسماعيل ابن سيده ، نشر مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٥٨ ، ٣ ج .

٨٦ ـ المختار من شعر بشار

اختيار الخالديين ، تحقيق : محمد بدر الدين العلوي ، مطبعة الاعتماد ـ القاهرة ، ١٩٣٤ .

٨٧ ــ المخصص

علي بن اسماعيل ابن سيده ، طبع بمصر ، المطبعة الاميرية الكبرى ، ١٨٩٩ ــ ١٩٠٤ ، ١٧ ج .

٨٨ ــ مرآة الجنان وعبرة اليقظان

ابو محمد عبد الله بن اسعد اليافعي ، حيدر آباد ، دائرة المعارف النظامية ، ١٣٣٧ ــ ١٣٣٩ هـ ، ٤ ج .

٨٩ ــ المزهر في علوم اللغة وانواعها

جلال الدين السيوطي ، القاهرة ، ١٢٨٢ / ١٨٦٥ .

٩٠ ــ المسالك والممالك

عبد الله بن عبد العزيز البكري ، مخطوطة الرباط ٤٨٨ ق .

٩١ ــ المطرب من اشعار المغرب

ابو الخطاب عمر بن حسن ابن دحية ، تحقيق : ابراهيم الابياري ، حامد عبد المجيد ، أحمد أحمد بدوي ، القاهرة ، ١٩٥٤ .

٩٢ ــ مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الاندلس

ابو نصر الفتح بن محمد ابن خاقان ، الطبعة الاولى ، مطبعة الجوائب ــ القسطنطينية ، ١٣٠٢ هـ .

٩٣ ــ المعجب في تلخيص أخبار المغرب

محيي الدين عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي ، مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٤ هـ .

٩٤ ـ **معجم الأدباء**

شهاب الدين ياقوت الحموي الرومي ، مكتبة عيسى البابي الحلبي ، ١٩٣٨ ، ٢٠ ج .

٩٥ ـ **معجم البلدان**

شهاب الدين ياقوت الحموي الرومي ، دار صادر ـ بيروت ، ١٩٥٥ ، ٧ مجلدات .

٩٦ ـ **المعجم العربي**

الدكتور حسين نصار ، دار الكاتب العربي بمصر ـ القاهرة ، ١٩٥٦ ، ٢ ج .

٩٧ ـ **المغرب في حلى المغرب**

علي بن موسى بن سعيد ، تحقيق : شوقي ضيف ، دار المعارف ـ القاهرة ، ١٩٥٣ ، ٢ ج .

٩٨ ـ **المقتبس في تاريخ رجال الاندلس**

ابو مروان حيان بن خلف ابن حيان ، تحقيق : الأب انطونية ملشور ، باريس ، ١٩٣٧ .

٩٩ ـ **المقتبس في تاريخ رجال الاندلس**

مخطوطة مدريد .

١٠٠ ـ **مقدمة ابن خلدون**

عبد الرحمن ابن خلدون ، تحقيق : الدكتور علي عبد الواحد وافي ، القاهرة ، ١٩٥٧ ـ ١٩٦٠ ، ٤ ج .

١٠١ ـ **المكتبات وهواة الكتب في اسبانيا الاسلامية**

خوليان ريبيرا ، مجلة معهد المخطوطات ، المجلد الرابع ، الجزء الأول : ٧٧ ، المجلد الخامس ، الجزء الأول : ٦٩ .

١٠٢ ـ نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب

أحمد بن محمد المقري التلمساني ، تحقيق : محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية ، ١٩٤٩ ، ١٠ ج .

١٠٣ ـ نكت الهميان

صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، ط مصر .

١٠٤ ـ نهاية الأرب في فنون الأدب

أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب النويري ، دار الكتب المصرية ـ القاهرة ، ١٩٢٣ ـ ١٩٥٥ ، ١٨ ج .

١٠٥ ـ الوافي بالوفيات

صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، بعناية هلموت ريتر وآخرين ، ج ١ ـ ٤ .

١٠٦ ـ الوافي بالوفيات

صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، مخطوطة بمكتبة احمد الثالث رقم ٢٦٦٠ .

١٠٧ ـ وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان

شمس الدين احمد بن محمد ابن خلكان ، تحقيق : محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الأولى ، ١٩٤٨ ، ٦ ج .

١٠٨ ـ يتيمة الدهر

ابو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي ، تحقيق : محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، ٤ ج .

ب ـ المراجع الأجنبية

Geschichte der arabischen litteratur : ١٠٩

C. Brockelmann

Leiden, 1937 - 1949

5 vols.

Hispano-Arabic Poetry : ١١٠

Nykl, A. R.

Baltimore, 1948

Histoire de l'Espagne Musulmane : ١١١

Levi-Provencal, vol. I - III

Paris, 1950 - 1953

Islam d'Espagne : ١١٢

Henri Terrasse

Paris, 1958

Nouvelle Histoire d'Espagne : ١١٣

Maurice Legendre

Paris, 1938

Origines del Espagnol : ١١٤

Ramon Menendez Pidal

3rd ed., Madrid, 1950

Spanish Islam : ١١٥

R. Dozy

London, 1913

الفهرست

اسماء الاعلام والاماكن والكتب والمصطلحات

أ

أبان بن عثمان ٧٥
أبذة ٢٥٤ .
ابراهيم بن ابي الفضل بن صواب ٣٠٢ .
ابراهيم بن حجاج ٦٠ ، ٦١ .
ابراهيم بن السري الزجاج ابو اسحق ٥٧ ، ١٩٣ .
ابراهيم بن عبدالصمد الهاشمي ١٩٢ .
ابراهيم بن عيسى بن مزاحم ١٦٥ .
ابراهيم بن لب التجيبي ٢٦٣ .
ابراهيم بن محمد بن زكريا ، ابن الافليلي (٣٠٣ — ٣٠٧) يتكرر .
ابراهيم بن محمد بن عرفة ابو عبدالله نفطويه ٩٢ ، ١٠٥ ، ١٠٨ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٧٤ .
الابل : الأصمعي ١٠٨ .
الابل ونتاجها وجميع أحوالها : القالي ١١٤ ، ١٢٥ ، ٢٠٨ ، ٢٤٦ .
ابن الابار ٨٤ ، ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١١٦ ، ٢٦٤ ، ٣٢٨ .
ابن ابي تمام ١٦٧ .
ابن ابي الحباب النحوي ١٠٧ ، (٢٤٢) ، ٢٤٦ ، ٣٠٤ .
ابن ابي شيبة ١٦٣ .
ابن ابي عبدة ٦٧ .
ابن ابي غزالة ٦٩ .
ابن أبي الوليد الأعرج ١٦٧ .
ابن أرقم ٤٨ .
ابن الامام الخولاني ٧٥ — ٧٧ .
ابن الانباري ١٠٥ ، ١٠٨ ، ١٦٠ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٣٨ ، ٢٨٣ ، ٢٩٩ .
ابن أيمن ١٦٧ .
ابن بسام ٣٩ ، ٩٩ ، ٢٨٨ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ — ٣٠٩ ، ٣٢٨ .
ابن بشكوال ١٠٠ ، ١٠٦ ، ٢٩٧ ، ٣٠٦ .
ابن جني ٢٩٩ .
ابن حمديس ٢٩٦ .
ابن حنزابة (ورد خطأ ابن خنزابة) ١٠٢ .
ابن حوقل ٢٧ .
ابن حيان ٣٨ ، ٥١ ، ٦٠ ، ٨٢ ، ٩٩ — ١٠١ ، ١٢٥ ، ٣٠٠ ، ٣٢٧ .
ابن خالويه ٢٩٩ .
ابن خشخاش ١٠٢ .
ابن خير ٧٢ ، ٩٢ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٩ ، ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٧٠ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٣٦ .

ابن الخياط ١٩٣ .
ابن دحيم ٢٦٢ .
ابن درستويه ١٧١ ، ١٩٣ ، ١٩٨ ، ١٩٩ .
ابن راشد ٢٨٧ .
ابن الربيب القروي ١٢٠ ، ١٢١ .
ابن رماحس ٢٠٢ .
ابن زيدون ٣٠٠ .
ابن سعيد الاندلسي ٢٦٤ .
ابن السقاء ٣٢٧ .
ابن السمح ١١٢ .
ابن سناء الملك ٢٨٨ .
ابن شرف القيرواني ٢٩٥ .
ابن شهيد ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٣٠٤ — ٣٠٦ .
ابن صمادح ٣٢٨ .
ابن عاصم ٣٠٦ .
ابن عبد البر النمري ٢٦٣ .
ابن عبد ربه ٦٠ ، ٣٣٠ .
ابن عبد الغفور الكلاعي ٣٠١ .
ابن عذاري ٥١ ، ٣١١ .
ابن عمار ٣٥ .
ابن الغراب ٣١٤ .
ابن فرحون ٧١ ، ١٦٨ .
ابن الفرضي ٦٥ ، ٧٠ ، ٧١ ، ١٠٦ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١٢٦ ، ١٣٣ .
ابن فطيس الوزير ٦٨ ، ٨٦ .
ابن القزاز ٢٤٦ .
ابن قزمان ٢٨٧ .
ابن قطن الاسكافي ١٩٢ .
ابن الكوفي ٢٩٩ .
ابن لبابة ١٦٧ .
ابن محلم ٣٢٩ .
ابن مضاء ٢٧٥ .
ابن ملول الوقشي ٢٦٥ .
ابن منظور ٣٢٩ ، ٣٨٢ .
ابن ميمون ٢٦٧ .
ابن هشام ١٢٩ .
ابن وقاص القرشي ٥٤ .
ابن وليد النحوي ١١٢ ، ١٣٣ .
ابن يحيى ٣٢٧ .
ابن يونس ١٦٧ .
الأبنية في أدب الكتاب : ابن قتيبة ١٧١ .
ابو بكر بن خاطب المكفوف ٦٩ .
ابو بكر بن العربي ٤٣ ، ٤٤ ، ٢٨٦ .
ابو تمام حبيب الطائي ٣٠٥ .
ابو تمام النحوي ٢٦٣ .
ابو الجراح ٢١٩ .
ابو جعفر البغدادي ٦٣ .
ابو جعفر بن عباس الوزير ١٠٧ .
ابو جعفر بن النحاس ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١٢٠ ، ٢٧٤ .
ابو جعفر الدينوري ٥٦ ، ٥٨ .
ابو جميل الكلابي ٢١٩ ، ٢٢١ .
ابو حاتم السجستاني يتكرر .
ابو حرشن ٥٣
ابو الحزم بن جهور ٢٥٤ .
ابو الحسن الاخفش ١٠٥ ، ٢٤٤ .
ابو الحسن بن خروف ١٣٠ .
ابو الحسن بن كيسان ٢١٧ — ٢١٩ .
ابو الحسن الشاري ١٢٩ .
ابو الحسين بن الفارس ٩١ .
ابو خلدة ١٩٥ .
ابو خيرة ٢١٩ .
ابو داوود السجستاني ١٦٣ .
أبو زرعة الفزاري ١٩٣ .
ابو زياد الكلابي ٩٢ ، ١٢٥ ، ٢١٩ ، ٢٢١ .
ابو زيد الأنصاري ١٠٨ ، ١٥٦ ، ١٦٤ ، ١٧١ ، ١٩٥ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٣٨ ، ٢٤٥ .
ابو سعيد السيرافي ٩٧ ، ٢٩٩ .
ابو سعيد الوراق ٣٣٩ .

ابو سهل الحراني ٣٠٩ ، ٣١٠ .
ابو صاعد ٢١٩ .
ابو العباس الأحول ١٧١ .
أبوالعباس بن ولاد ٥٦، ٦٣ ، ١١٧ ، ٢٤٤ .
ابو عبيدة ١٠٩ ، ١٥٦ ، ١٦١ ، ١٧١ ، ٢١٧ — ٢١٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٧ ، ٣٣٣ .
ابو العرب ٢٩٦ .
ابو العطاف الغنوي ٢١٩ .
أبو العلاء المعري ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٠١ ، ٣٢٦ .
ابو علي الآمدي (ورد خطأ الآمد) ١٠٥ .
ابو علي الغساني ٣٠٩ ، ٣١١ ، ٣٣٩ .
ابو علي الفارسي ٢٤٧ .
ابو عمر بن عبد الواحد المطرز ١٩٤.
ابو عمر الطلمنكي ٣٥٣ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ .
ابو عمرو بن حجاج ٥٤ ، ٦٨ .
ابو عمرو بن العلاء ١٩٤ ، ٢١٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٣٣٠ .
ابو عمرو الموروري ٥٤ .
ابو الغادية النميري ٢١٩ .
ابو الفرج الاصبهاني ٨٥ .
ابو القاسم بن عباد ٢٥٤ .
ابو القاسم بن العريف ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١١٥ ، ١١٩ .
ابو الكوثر الخولاني ٦١ .
ابو مسمع ٢١٩ .
ابو محمد الاعرابي العامري ٦٠ .
ابو محمد الفهري ١٨٧ .
ابو المغيرة بن حزم ١٢٠ .
ابو منصور الثعالبي ٢٩٧ .
ابو موسى الحامض ٢٦٥ .
ابو النجم ١٩٥ .
ابو نواس ١٩٨ .
ابو الوليد الباجي ٢٦٢ .
ابو الوليد الوقشي ٢٦٣ ، ٢٦٩ ، ٣٠٢ ، (٣١٠) .
ابو وهب بن عبد الرؤوف ٥٨ .
الابيات لسيبويه : ابن النحاس ١٠٥ ، ١١١ .
ابيات المعاني : ابن السيد ٢٢١ .
أبيات المعاني : القتبي ٣٠٩ .
الأبيرد اليربوعي ٣٣٢ .
الاجناس : غلام الاصمعي ١٠٨ ، ٢٣٧ .
الاحرزي ٢١٩ .
احكام صنعة الكلام : الكلاعي ٣٠١.
احمد بن أبان بن سيد ٨٩ ، ١٠٨ — ١١٠ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ، ٢٠٩، ٢٣٧ ، (٢٣٩) ، ٣٠٤ .
احمد بن اسحق بن القاضي ١٩٢ .
احمد بن بتري ٥٤ .
احمد بن بشر بن الاغبس ٦٧ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ١٦٧ .
احمد بن خالد ١٦٧ .
احمد بن داود الدينوري ٢٨٣ .
احمد بن سعيد ١٩٥ .
احمد بن الصنديد (٢٩٨) .
احمد بن عبدالله بن الباجي ١٠٥ .
احمد بن علي ابو يعلي الموصلي ١٩٠ ، ١٩١ .
احمد بن محمد بن الاصبحي (٢٤١)
احمد بن محمد بن البستبان ١٩٢ .
احمد بن محمد بن مجاهد ١٩٤ .
أحمد بن محمد بن هارون ٥٩ .
احمد بن محمد بن يوسف ١٠٧ .
احمد بن محمد المرسي ٣٢٢ .
احمد بن نعيم ٤٩ ، ٥٤ .
احمد بن يحيى ثعلب ٣٣١ .
احمد بن يحيى المنجم ١٩٤ .

احمد بن اليسع ١١٦ .
الاحمر ٢١٩ .
الأحوص ٢٩٣ .
الاخبار : المازني ٢٤٤ .
اخبار شعراء الاندلس : ابن ماء السماء ٢٤٦ .
اخبار الهرج والمرج : ابن ابي الأزهر ١٩٤
اختصار العين : الزبيدي ١٢٦ .
اختصار للبيان والتبيين : ابن الفربالي ٢٤٤ .
اختلاف لغات العرب : ابن فرج الطوطالقي ١١٧ ، ٢٤٠ .
اختيار فصيح الكلام : ثعلب ١٠٨، ٢٩٩ .
الاخطل ٩٢ ، ١٩٦ .
أخطل بن نماره ٢٨٧
ادب الكاتب : ابن الانباري ١٩٣ .
ادب الكاتب : ابن دريد ١٩٢ .
ادب الكتاب : ابن قتيبة ٦٦ ، ١٠٨ ، ١٦٣ ، ٢٤٢ ، ٢٩٦ ، ٣٠٤ ، ٣٢٦ .
ارجوانة ٢٥٤ .
ارطباس ١٦٦ .
اركش ٢٥٤ ، ٢٥٥ .
ارمينية ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٠ .
آريوس (الآريوسية) ١٧ ، ١٨ .
الازجال الاندلسية ٣٢ .
الأزد ٢١ .
اسبانيا ١٧ ـ ١٩ ، ٢٦ ، ٣٠، ٨٦.
استجة ٢٣ ، ١٦٧ ، ٢٣٨ .
الاستدراك على سيبويه : الزبيدي ١١٣ ، (١٣٥ ـ ١٤٦) ، ١٦٣، ١٧٢ ، ١٨٥ ، ٢٣١ ، ٢٤٥ .
الاستدراك على العين : الزبيدي ١١٣ ، ١١٨ ، ١٣١ .
الاستعراب ٣١ ـ ٣٣ .
الاستغفار : المعري ٣٠١ .
اسحاق بن الحسن الزيات ٣٢٣ .
اسحاق بن قسطار ٢٧١ .
اسحاق النصري ٧٥ .
أسد ٢٢ ، ٢٢١ .
الاسكندرية ٢٩٦ .
أسلم القاضي ١٦٧ .
الاسم والمسمى : ابن السيد ٣٢١ .
اسماعيل بن احمد التجيبي (٢٩٦)
اسماعيل بن ذي النون ٢٥٤ .
اسماعيل بن سيده ١٢٩ ، (٢٤٣)، ٣٥٧ .
اسماعيل بن القاسم ابو علي القالي (١٨٧ ـ ٢٣٤) ، يتكرر .
اسماعيل بن محمد ابن المحاملي ١٩٢ .
الاسود بن يعفر ٣١١ .
اشبيلية يتكرر .
الاشتقاق : ابن دريد ١٩٢ .
الاشتقاق : ابن السراج ١٩٣ .
الاشتقاق : ابن النحاس ٢٤٤ .
الاشتقاق : الزجاج ١٩٣ .
اشتقاق الاسماء : البكري ٣١٥ .
الاشتقاق اللغوي : ايزيدور الاشبيلي ١٩ .
الاشعار الستة الجاهلية ١٩٥ ، ٢٤٠ ، ٣١٠ ، ٣٢٦ .
أشعار هذيل ١٩٥ .
أصبغ بن عبد الله ٣٨ ، ٣٩ .
اصلاح الخلل الواقع في الجمل : ابن السيد (٣١٥ ـ ٣١٦) ، ٣١٧ .
اصلاح المنطق : ابن السكيت ٦٦ ، ١٠٢ ، ١٠٨ ، ٢٤٢ ، ٢٤٧ ، ٢٦٥ ، ٢٦٨ ، ٣٢٦ .
الاصمعيات ٢٤٦ .
الاصوات : ابن السكيت ٩٢ .

الاضداد : ابن السكيت ٩٢ .
الاضداد : التوزي ٩٢ ، ١٠٩ .
الاضداد : ثعلب ٩٢ ، ١٢٥ ، ٢٤٦ .
الاضداد في النحو : ابن الانباري ١٩٣ .
اطرغش في اللغة : نفطويه ١٠٨ ، ١٩٦ .
اعراب القرآن : ابن النحاس ١٠٥ .
الاعشى ٩٢ ، ١٢٥ ، ١٩٥ .
الاغاني : الاصبهاني ٨٥ .
افريقية ٢٤ ، ٢٥ .
الافعال : ابن القوطية (١٧٠ — ١٨٦) ، يتكرر .
الافعال : عبدالملك بن طريف ١١٥ .
أفعل من كذا : القالي ١١٤ ، (٢٠٩ — ٢١١) .
الأفوه ١٩٥ .
اقبال الدولة ٢٦٢ ، ٢٧١ ، ٣٥٦ .
الاقتضاب : ابن السيد ٢٩٠ ، ٣١٥ ، ٣٢٠ ، (٣٤٤ — ٣٥١) .
الاقشتين ٥٣ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٣ ، ٧٨ .
البرت (جبال) ٢٥ .
البونت ٢٥ ، ٢٥٥ .
البيرة ٢٣ .
الفارو ٣٢ ، ٣٣ .
الألفاظ : ابن السكيت ١٠٨ ، ١٩٦ ، ٣٠٤ .
الفونسو السادس (الاذفونش) ٢٥٤ — ٢٥٦ .
الامالي : القالي ٩١ ، ١١٩ ، ٢٠١ (٢٢٣ — ٢٣٣) .
الامثال : ابن السكيت ٣٣١ .
الامثال : ابو زيد الانصاري ١٠٨ .
الامثال : ابو عبيد ٦٤ ، ٢٤٢ .
الامثال : احمد بن يحيى ثعلب ٣٣١ .
الامثال : الاصمعي ٢٣٨ .
الامثال : الجاحظ ٣٣١ .
الامثال : الليث ٢١٠ .
امرؤ القيس ٩٢ ، ١٩٥ .
ام الحمارس الكلبية ٢١٩ ، ٢٢١ .
الاموال : ابو عبيد ٦٤ .
الامويون ٢١ ، ٢٦ — ٢٨ ، ٨١ .
انباه الرواة : القفطي ١٨٦ ، ١٩٩ .
الانتصار : الزبيدي ١١٣ ، ١٣٠ .
الانتصار للخليل : الزبيدي (١٣١ — ١٣٣) .
الاندلس يتكرر .
اندوجر ٢٥٤ .
الانصار ٢١ .
الانصاف : ابن السيد ٢٧٨ .
الانواء : ابن دريد ١٠٨ ، ١٩٢ .
الانواء : ابن الغربالي ١١٦ ، ٢٤٤ .
الانواء : الزجاج ١٩٣ .
الأنيق في شرح الحماسة : ابن سيده ٣٢١ .
اوس بن حجر ٩٢ ، ١٩٦ .
اونبة ٢٢ ، ٢٣ ، ٣٢٧ .
ايبيريا ٣٠ .
ايزيدور الاشبيلي ١٩ .
أيام العرب ١٩٨ .

ب

البابوية ١٨ .
باجة ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥٤ .
باديس ٣٠٠ .
البارع (٢١٢ — ٢٢٣) ، يتكرر .
بجانة ١٢٤ .
بدال ، منندث ٣٠ ، ٣٦ .
البر الافريقي ١٠٦ .
البرانس ٢٤ ، ٢٥ .

البربر ٢٠ ، ٢٤ – ٢٦، ٢٨ – ٣٢،
٧٨ .
البتر ٢٤ .
البرتغال ٢٤ .
برشلونة ٣٨ ، ٣٩ .
بريل بن شنير ٣٨ .
البسباسي ٣٠٦ .
بسط لكتاب الافعال : المعافري
١١٥ ، ١١٩ ، ١٨٦ .
بسطام بن قيس ١٦٣ .
بشار الأعمى ١٠٧ .
البصرة ٥٥ ، ١٩٢ .
البصرة (مدرسة) ٥٧ ، ١٦٤ ،
١٧٢ ، ١٩٣ ، ١٩٨ .
بطليموس ٢٧١ .
بطليوس ٢١ ، ٢٢ ، ٢٥٤ ، ٢٦٦،
٣١٤ .
بغداد يتكرر .
بغية الوعاة ١٣٣ .
بكر ٢٢ ، ٢٩٢ .
بكر بن حماد ١٦٣ .
بكر الكناني ٥٣ .
البكريون ٢٥٥ .
بلج بن بشر القيسي ٢٠ .
البلديون ٢١ ، ٢٤ .
بلنسية ٢٣ ، ٢٥٢ ، ٢٥٦ ، ٢٦٢
بلي ٣٥ – ٣٧ .
بنو الأفطس ٢٥٤ ، ٢٥٦ .
بنو تميم ٢٥٢ .
بنو جهور ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٣٠٦ .
بنو حدير ٢٧ ، ٤٨ ، ٦٦ ، ١٠٤ ،
٢٤١ .
بنو حمود ٢٥٢ ، ٣٠٥ .
بنو حنظلة ٢٣٠ .
بنو خزرون ٢٥٥ .
بنو ذي النون ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٩،
٢٦٧ .
بنو زيري الصنهاجيون ٣٠ ،
٢٥٤ ، ٢٩٥ .
بنو سالم ٢٥ .
بنو سراج ٣٠٧ .
بنو سيد ٧٨ .
بنو شبريق ٢٨ .
بنو شهيد ٢٧ .
بنو صمادح ٢٦٢ .
بنو طاهر ٢٩٨ .
بنو عباد ٢٥٤ ، ٢٥٥ .
بنو عوسجة ٢٥ .
بنو غزلون ٢٥ .
بنو غني ٢٢١ .
بنو الفرج ٢٥ .
بنو فطيس ٢٧ ، ٤٨ .
بنو قاسم ٢٥ ، ٢٥٥ .
بنو القبطرنة ٢٨ .
بنو قرلمان ٢٨ .
بنو قومس ٢٨ .
بنو اللونقه ٢٨ .
بنو مرتين ٢٨ .
بنو مروان ٨٤ ، ٢٠١ ، ٢٢٤ .
بنو مغيث ٢٧ .
بنو ملول ٢٢٥ .
بنو هشام ٤٨ .
بنو هود ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٩ .
بون فليو ٣٨ .
البيان والتبيين : الجاحظ ٣٣١ .
بياسة ٢٥٣ ، ٢٥٤ .

ت

التاجه ٢٥ .
تاريخ ابي جعفر الطبري ٢٦٥ .
تاريخ افتتاح الاندلس : ابن
القوطية ١٦٩ .

تاريخ بني عامر : ابن معمر اللغوي ١٠٣ .
تجيب ٢١ ، ٢٣ .
تدمير (مرسية) ٢٣ .
التذكرة الادبية : ابن السيد ٣٢١ .
التذكير والتأنيث : ابن الانباري ١٠٨ .
تغلب ٢٢ .
تفسير الامثال : ابن الاعرابي ٣٣١ .
تفسير الحوفي لكتاب الكسائي ١٢٢ .
تفسير عيون مسائل سيبويه : ابن صالح القيسي ٢٤٤ .
تفسير القصائد والمعلقات : القالي ١١٤ ، ١٢٥ ، ٢٠٩ ، ٢٤٦ .
تفسير كتاب الجرمي : ابن درستويه ١٩٤ .
التقريب لحد المنطق : ابن حزم ٣٧ ، ٢٧٠ ، ٢٧٥ .
تلقيح العين في اللغة : ابن التياني ١٢١ ، ٣٢٣ .
تليد الفتى ٨٤ .
تمام بن غالب ابن التياني ١٢٢ ، ٢٤٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٣٢٣ .
تميم ٢٢ .
تميم بن أبي بن مقبل ١٥٦ .
التنبيه على الاسباب الموجبة لاختلاف الامة : ابن السيد ٣٢١ .
التنبيه على أوهام ابي علي : البكري ٢٦١ ، ٢٩٢ ، ٣١٤ ، ٣٢٧ .
التوتونية ، القبائل ١٧ .
التوزي ١٠٩ .
تيروال ٢٥ .

ث

ثابت ٢٨٣ .
ثابت بن ابي ثابت ٦٣ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٨ ، ١٠٩ ، ٢١٩ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ .
ثابت (الحفيد) ٧٢ .
ثابت الجرجاني ٢٦٣ ، ٢٧٠ (٢٩٨ — ٣٠١) ، ٣٢٥ .
ثعلب ٥٦ ، ٧٤ ، ٩٢ ، ١٠٨ ، ١٢٥ ، ١٩٤ ، ١٩٧ ، ٢٤٦ ، ٢٩٢ ، ٢٩٩ .
الثغر الاوسط ٢٥ .

ج

جابر بن غيث ٤٨ ، ٤٩ .
الجاحظ ٦٣ ، ٣٣١ .
جامع القرويين ١٠١ .
جذام ٢١ ، ٢٣ .
الجذوة : الحميدي ٢٠٤ .
جرير ٩٢ ، ١٩٦ .
جزء فيه الفرق بين المسهب والمسهب : الاعلم ٣٢٤ .
جزء فيه مختصر الانواء : الاعلم ٣١١ ، ٣٢٤ .
الجزائر ٢٥٢ .
الجزيرة ٢٢١ .
الجزيرة الخضراء ٢٢ ، ٢٣ .
جزيرة شلطيش ٢٥٤ .
جعفر بن عباس ٢٦٦ .
جعفر بن عثمان الوزير ١٢٦
جعفر بن محمد بن مكي ٢٥٦ .
جليقية ٣٨ ، ٣٩ .
الجمل : ابن السراج ١٩٣ .

الجمل : الزجاجي ٣٢٦ .
الجمهرة : ابن حزم ٢٤ .
الجمهرة : ابن دريد ١٠٨ ، ١١٨ ، ١٣٠ ، ١٧١ ، ١٩٢ ، ١٩٥ ، ٢٩٩ .
جمهور بن الشيخ ٣٨ .
جميل بن معمر ١٩٥ .
جودي النحوي ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٩ .
الجواس : صاعد ٩٤ ، ٩٥ .
جيان ٢٣ ، ٤٩ ، ٥٤ ، ٢٥٤ .

ح

الحارث بن ظالم ٣٣٦ .
الحارث بن كعب ٣٣٦ .
حبيب بن أحمد الشطجيري (٢٤٤) .
الحجاز ٦٠ ، ٢٢١ .
الحدائق في المطالب العالية الفلسفية : ابن السيد ٢٦٩ .
الحذقة ٤٩ .
الحر بن علي العدوي ١٩٢ .
الحروف الخمسة : ابن السيد ٣١٨ .
حسام الكلبي ابو الخطار ١٦٦ .
حسان بن أبي عبيدة ٩٤ ، (٢٤٥) ، ٢٧٤ .
الحسن بن علي بن محمد الطائي ٣١٤ .
الحسن بن علي النمري ٣٢٥ .
الحسن بن محمد البطليوسي ٣١٤ .
حسين بن قابل ٧٥ .
حسين بن نصر ابن العريف ١٠٧ ، (٢٤٠) ، ٣٠٤ .
الحشرات : السجستاني ١٠٨ ، ١٩٥ .
الحصري ابو الحسن ٢٩٥ .
حضرميون ٢١ .
الحطيئة ٩٢ ، ٢٤٠ .
حكم الامثال : ابن قتيبة ٣٣١ .
الحكم المستنصر (٨٤ — ٩٢) يتكرر .
حلب ٩١ .
الحلل في شرح ابيات الجمل : ابن السيد (٣١٦ — ٣١٧) .
الحلة : ابن الابار ٣٢٨ .
حلويرة ٣٨ .
حلى الانسان : القالي ١١٤ ، ١٢٥ ، ٢٠٩ ، ٢٤٦ .
الحمار ٣٠٦ .
الحماسة : ابو تمام ٣٠٠ ، ٣٢٦ .
حمص الاندلس (اشبيلية) ١٢٤ .
حمص الشام ١٢٣ .
الحميدي ٧٢ ، ٩٤ ، ١٠٠ ، ٢٠٧ ، ٢٢٤ ، ٢٣٧ ، ٢٤١ ، ٢٤٤ ، ٢٩٨ .
حوض ابرة الاوسط ٢٢ .
حوض نهير جلق ٢٢ .
حوض الوادي الكبير ٢٢ .
الحيوان : الجاحظ ٣٣١ .
حي الفرائين ٢٦٧ .
حيان بن خلف ٦٠٠ .

خ

الخازن (فاتن الحكمي) ١١٢ .
الخرجة ٣٩ ، ٤٠ .
الخزرج ٢٣ .
الخشني ٣٤ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ١٠٩ ، ٢٣٥ .
خصيب الكلبي ٥٤ ، ٦٧ ، ٦٩ .
خطبة الفصيح : ابو العلاء ٢٩٧ .

الخطاب الشعبي الكلبي ١٦٦ .
الخطابي ٢٩٧ .
خلف بن سليمان البزاز (٢٣٨) .
خلف بن فتح بن ابي الموتى ٣٢٣ .
خلق الانسان : ابن السكيت ٩٢ .
خلق الانسان : الاصمعي ١٠٨ .
خلق الانسان : الزجاج ١٩٣ .
خلق الانسان : ثابت ٢٠٣ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٨٣ .
خلق الفرس : الاصمعي ١٠٨ .
خلق الفرس : الزجاج ١٩٣ .
الخليل بن أحمد يتكرر .
خيران الصقلبي العامري ٢٥٣ .
الخيل : ابو عبيدة ٩٢ ، ٢٣٧ .
الخيل الصغير : ابن دريد ١٩٢ .
الخيل الكبير : ابن دريد ١٩٢ .

د

دار بلي ٢٤ .
دانية ٢٥٢ ، ٢٥٩ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٩٩ ، ٣٥٥ .
دروقة ٢٢ .
دريد بن الصمة ١٩٥ .
الدلائل : قاسم بن ثابت ٧٢ ، ٢٣٤ ، ٢٤٤ .
دوبلر ، سيزار ٢٤ .
دوزي ١٨ ، ١٩ .
الدويرة ٢٥ .
ديار بكر ١٨٧ .
ديوان زهير ١٩٧ .

ذ

الذمة (معاهدة ، معاهدون) ٢٧ ، ٣١ .
ذو الرمة ٩٢ ، ١٩٦ .
ذيل النوادر : القالي ١١٤ ، ١٢٥ .

ر

الرازي ٢٠ .
الربض الشرقي ٨٦ .
الربعي ٢٩٩ .
ربيعة ٢٢ .
ربيعة وعقيل : حسان بن ابي عبيدة ٩٤ ، ٢٤٥ .
رد ابن السيد على اعتراضات ابن العربي ٣٢١ .
الرد على ابن مسرة : الزبيدي ١٢٧ .
الرد على صاعد : ابن القزاز ١١٥
الرد على النحويين : ابن مضاء ٢٧٥ .
رداد الكلابي ٢١٩ ، ٢٢١ .
الرزاحي ٢١٩ .
رسالة ابن الربيب ١٢٠ ، ١٢١ .
رسالة الاغريض : المعري ٣٠١ .
رسالة الانتصار للخليل : الزبيدي ١١٣ ، ١٣٣ .
رسالة التقريظ : الزبيدي ١٣٣ ، ٢٤٦ .
رسالة التوابع والزوابع : ابن شهيد ٣٦٥ .
رسالة الغفران : المعري ٣٠١ .
رسالة الفلاحة : المعري ٣٠١ .
رسالة في الاعراب : ابن العريف ١١٦ .
الرشيد ٨٩ .
رنده ٢٥٤ .
رواة العرب : ابن دريد ١٩٢ .
الرؤاسي ٢١٩ .
رؤبة ١٩٥ ، ٢٣٧ .

روضات الجنات ١٣٣ .
الروم ١٧ ، ١٨ ، ٢٧ .
الرياشي ٥٦ ، ٧١ .
ريبيرا ، خوليان ٨٦ ، ٢٦٥ .
الريف ٢٣ .
ريكاريدو (الملك) ١٨ .
رية ٢٣ .

ز

الزاهر : ابن الانباري ١٩٣ ، ٢٣٨ .
الزاهرة ٨٢ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ٢٤١ .
زاوي بن زيري ٢٥٥ .
زبيد ١٢٣ .
الزبير بن بكار ١٩٤ .
الزجاج ١٠٥ ، ١١٨ ، ١٧١ ، ١٩٣ ، ٢٠٨ ، ٢٤٢ ، ٢٤٥ .
الزجاجي ١٢٩ ، ٢٧٤ ، ٣١٥ ، ٣٢٦ .
زكريا بن خطاب ٧٨ .
الزلاقة (معركة) ٢٥٦ .
الزهراء ٨٢ ، ٩١ ، ١٠٥ ، ١٢٦ ، ٢٠٣ ، ٢٢٥ ، ٢٤٣ .
زهرة بن كلاب ٧٨ .
زهير بن ابي سلمى ١٩٧ .
زهير بن جناب ٣٣٥ .
زهير الفتى العامري ٢٥٣ ، ٢٦٦ .
الزيادي ٧١ .
زيد بن سليمان البارد ٧٣ .
زيد الخيل ٣١١ .

س

سالم ٢٥ .
السبع الطوال : ابن الانباري ١٩٣ .
السجع السلطاني : المعري ٣٠١ .
السرج واللجام : ابن دريد ١٩٢ .
سردانية ٢٩٩ .
سر من رأى ١٩٦ ، ١٩٧ .
سرقسطة ٢٢ ، ٢٣ ، ٥٤ ، ٧٨ ، ٢٥٤ ، ٢٥٩ ، ٢٧١ ، ٣٢٣ .
السماء : ابن السيد ١١٨ .
سعد بن ابي وقاص ٣٠٣ .
سعيد بن جابر ١٦٧ .
سعيد بن سليمان ٣٤ .
سعيد بن عثمان ابن القزاز ١١٥ ، (٢٤٢) .
سعيد بن عيسى الاصفر ٢٦٣ ، ٢٧٠ ، ٣١٤ .
سعيد بن فحلون ١٢٤ .
سعيد بن اسرج الرشاش ٥٣ ، ٦٨ .
سعيد بن مسعدة الاخفش ٧٣ ، ١٦٣ .
سعيد المعافري ١١٥ ، ١١٩ ، ١٨٦ ، (٢٤٣) .
سقط الزند : المعري ٢٩٨ ، ٣٠١ .
سكان الاندلس الاصليون ٢٧ ، ٣٠ ، ٣١ .
السكري ١٥٦ ، ٢٩١ .
السلاح : ابن دريد ١٩٢ .
سلامة بن جندل ١٩٥ .
سلمى (جارية الزبيدي) ١٢٨ .
سلمة بن عاصم ٢١٩ .
السليك ٣١٠ .
سليم ٢١ ، ٧٨ .
سليمان بن أسود ٣٥ .
سليمان بن خلف ابن نفيل (٢٤٥)
سليمان المستعين ٢٥٢ ، ٢٦٥ .
السهلة ٢٥ .
السهيلي ٣٨٢ .
السيرافي ١٠٢ ، ١٣٥ .
السيوطي ١٣١ ، ١٣٣ ، ٢٠٨ .

سيد ابيه الزاهد ١٦٧ .
سيدة ١٦٦ .

ش

الشاء : الأصمعي ١٠٨ .
شاطبة ٢٥٣ .
الشام (الشاميون) ٢٠ ، ٢١ ، ٢٤ ، ١٦١ ، ٣٠٣ .
شانجة بن غرسية ٢٥٢ .
شبيل بن عذرة ٢٣١ .
الشجر : ابو زيد الانصاري ١٠٨ .
شذونة ٢٣ .
شرح ابيات اصلاح المنطق : ابن السيرافي ٢٩٩ .
شرح ابيات الالفاظ : ابن السيرافي ٢٩٩ .
شرح ابيات الجمل : ابن سيده ٣٢٢ .
شرح ابيات الجمل : الاعلم ٣٢٥ .
شرح ابيات سيبويه : الاعلم ٣١١ ، ٣٢٤ .
شرح ابيات سيبويه : الزجاج ١٩٣ .
شرح أدب الكتاب : ابن السيد ٢٦٩ ، ٣١٤ .
شرح ادب الكتاب : ابن القوطية ١١٤ ، ١١٩ ، ١٧٠ .
شرح الاشعار الستة : الأعلم ٣١١ ، ٣١٨ .
شرح الاشعار الستة : الاعلم ٣١١ ، ٣٢٤ .
شرح الاشعار الستة : عاصم البلوي ٣٢٥ .
شرح اصلاح المنطق : احمد المرسي ٣٢٣
شرح الجمل : ابن العريف ١١٦ .
شرح الجمل : اسحق بن الزيات ٣٢٣ .
شرح الجمل : ثابت الجرجاني ٢٦٣ ، ٢٩٩ ، ٣٢٥ .
شرح الجمل : سعيد بن الاصفر ٣١٤ .
شرح الحديث : الخشني ٦٦ ، ٧١ ، ٧٢ .
شرح الحماسة : ابن سيده ٣٥٨ .
شرح الحماسة : الأعلم ٣١١، ٣٢٤ .
شرح الحماسة : ثابت الجرجاني ٣٢٥ .
شرح الحماسة : عاصم البلوي ٣٢٥ .
شرح الخمسة المقالات : ابن السيد ٢٦٩ .
شرح ديوان امرىء القيس : عاصم البلوي ٣٢٥ .
شرح ديوان زهير : الاعلم ٣٢٤ .
شرح ديوان علقمة الفحل : الاعلم ٣٢٥ .
شرح ديوان المتنبي : ابن الافليلي ٣٠٧ ، ٣١٣ .
شرح ديوان المتنبي : ابن السيد ٣١٨ .
شرح ديوان المتنبي : ابن سيده ٣٢١ .
شرح ديوان النابغة : الاعلم ٣٢٥ .
شرح سقط الزند : ابن السيد ٢٨٦ ، ٣١٥ ، ٣٢٠ ، (٣٤٠ — ٣٤٣) .
شرح سيبويه : ابن السراج ١٩٣ .
شرح غريب الحديث : الخطابي ٣٠٩ .
شرح الغريب المصنف : احمد المرسي ٣٢٢ .
شرح كتاب الاخفش : محمد بن سيد ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٢ .

شرح كتاب الكسائي : البغل ٥٨ ،
٧٠ .
شرح كتاب النبات : ابن اخت غانم
٢٦٢ .
شرح المختار من شعر بشار :
اسماعيل التجيبي ٢٩٦ .
شرح معاني ابيات الحماسة : ابو
علي النمري ٣٢٥ .
شرح المفضليات : ابن الانباري
١٩٣ .
شعبة بن الحجاج ١٦٣ .
شفاء عليل العربية : البكري ٣١٥ .
شلب ٣٦ ، ٣٣٨ .
شلطيش ٢٥٥ ، ٣٢٧ .
الشماخ ٩٢ ، ١٩٥ .
شنتمرية ٢٥٤ ، ٣١٠ .
شنيل (نهر) ٢٢ .

ص

صاعد البغدادي (٩٤ — ١٠٢) ،
يتكرر .
صاعد (القاضي) ٨٥ ، ٩٣ ،
٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ .
صالح بن معافى ٤٨ ، ٥٣ .
الصفدي ٢٠٠ .
صفي الدين الحلي ٢٨٧ .
صقلية ١٠١ ، ٢٦٣ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ .
صلة المفصول : البكري ٣١٥ .
صنعة الكتاب : ابن النحاس ٢٤٤ .

ض

ضبة بن أد ٣٣٦ .
ضوء السقط : المعري ٣٤١ .

ط

الطائيون ٢٢١ .
طارق بن زياد ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٤ ،
١٦٦ .
الطالعة الأولى ٢٠ .
طالعة بلج ٢١ .
طاهر بن عبد العزيز ٦٤ ، ٧٦ ،
١٦٧ .
طاهر بن الوليد ١٦٧ .
طبقات الادباء : ابن الفرضي ٧٠ .
طبقات النحويين واللغويين :
الزبيدي (١٣٣ — ١٣٥) ،
يتكرر .
الطرماح ١٩٥ .
طفيل الغنوي ١٩٥ .
طلبيرة ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ .
طليطلة يتكرر .
الطوائف (ملوك ، دول) ٣٠ ، ٣٥ ،
٤٤ ، ٢٥٣ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ،
٢٦٨ ، ٢٧٢ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ .
الطوسي ٣٣٥ .
الطير : السجستاني ١٠٨ ، ١٩٥ .

ظ

ظالم ابو الأسود الدؤلي ١٣٣ ،
١٤٨ .

ع

عاصم بن أيوب البلوي ٣٢٥ ،
٣٣٩ .
العاصمي ٩٧ ، ١٠٢ .
عافي بن سعيد ٧٨ .

العالم : ابن سيد ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٢ .
العالم والمتعلم : ابن سيد ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٢ .
العامريون ٨١ ، ٢٥٩ .
عباد بن محمد المعتضد بالله ٢٥٤ ، ٢٦٠ .
عباس ، احسان ٢٨٨ .
العباس بن الفرج الرياشي ٥٧ .
عباس بن ناصح ٥٢ ، ٧٨ .
عباده بن ماء السماء ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، (٢٤٦) .
عبدالله بن ابي داوود السجستاني ١٩١ .
عبدالله بن أصبغ ٧٥ ، (٢٣٨) .
عبدالله بن بلقين ٢٥٥ .
عبدالله بن جعفر درستويه ١٩٤ .
عبدالله بن حسين ابن الفربالي ١١٦ ، (٢٤٤) .
عبدالله بن حمود الزبيدي (٢٤٧) .
عبدالله بن الربيع التميمي (٢٤٥).
عبدالله بن سليمان دريود ١١٦ .
عبدالله بن شعيب الاشوني (٢٤٠).
عبدالله بن عبد العزيز البكري (٣٢٦ — ٣٣٧) ، يتكرر .
عبدالله بن عمر بن الخطاب ٧٨ .
عبدالله بن الغازي بن قيس ٥٣ ، ١٣٥ .
عبدالله بن قاسم ٢٥٥ .
عبدالله بن محمد البغوي (ابن بنت منيع) ١٩٢ .
عبدالله بن محمد بن جناح الدولة ٢٥٥ .
عبدالله بن محمد بن السيد (٣٣٧ — ٣٥١) ، يتكرر .
عبدالله بن محمد التوزي ١٧١ .
عبدالله بن محمد الداني ٣٣٩ .
عبدالله بن محمد السري ٨٨ .
عبدالله بن مسلم ابن قتيبة ، يتكرر .
عبدالله بن المنصور ١٠٢ ، ١٠٣ .
عبدالله بن هرثمة ٧٥ .
عبد التواب ، رمضان ١٤٦ .
عبد الدائم بن مرزوق القيرواني (٢٩٨) .
عبد الرحمن بن الحكم ٣٤ ، ٧٨ .
عبد الرحمن بن خلدون ٤٣ ، ٤٤ ، ٨٢ .
عبد الرحمن بن فطيس ٢٦٤ .
عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ١٦٦ .
عبد الرحمن الداخل ٢٦ .
عبد الرحمن شنجول ٢٥١ .
عبد الرحمن الناصر ٢٧ ، ٤٨ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٩ — ٩١ ، ٩٤ ، ١٦٧ ، ٢٠٠ — ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٨ ، ٢٢٦ .
عبد السلام بن برجان ٣٨٢ .
عبد السلام البصري ٣٠٠ .
عبد السلام بن السمح الهواري ١٠٥ ، ١١١ .
عبد العزيز البكري عز الدولة ٢٥٥ .
عبد العزيز بن مغلس ١٠١ .
عبد الملك بن أحمد عماد الدولة ٢٥٤ .
عبدالملك بن حبيب ٤٣ ، ٧٠ — ٧٢ ، ٧٨ ، ١١١ .
عبد الملك بن زيادة الله ٣٠٧ .
عبد الملك بن سراج ٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٣٠١ ، ٣٠٣ (٣٠٧ — ٣٠٩) .
عبد الملك بن شهيد ٦٧ .
عبد الملك بن طريف ١١٥ ، ١٢١ ، (٢٤١) .
عبد الملك بن قريب الاصمعي ، يتكرر .

عبد الملك بن مروان ١٨٧ .
عبد الملك المظفر ٢٥١ .
عبد الواحد بن سلام الأحدب ٤٩ .
عبد الوهاب بن أصبغ ٢٠٨ .
عبيد الله بن فرج الطوطالقي ١١٧ ، (٢٣٩) .
عبيد الله بن قاسم ٣٨ .
عبيد بن شرية ٣٣٠ .
عثمان بن ابراهيم البرشقيري ٧٠ .
عثمان بن ابي بكر الصدفي (٢٩٦).
عثمان ٢٨٠ ، ٣٣٢ .
عثمان بن سعيد ورش ٤٨ .
العجاج ١٩٥ ، ٢٣٠ ، ٢٣٧ .
العجلي ٥٩ ، ٦٠ .
عجم الذمة (عجم الاندلس) ٢٧ .
العدنانية ٢٣ .
العدوة ٢٠ ، ٣٠١ .
عدي بن زيد ١٩٥ .
عذرة ٢٣ .
العراق ٥٩ ، ٧١ ، ١٨٩ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٢١ .
العرب يتكرر .
العربية : دريود ١١٦ .
عروة بن الورد ١٩٥ .
العروض : الزجاج ١٩٣ .
العز بن محمد ٣٠٠ .
عفير بن مسعود ٦٧ ، ٦٨ .
العقد : ابن عبد ربه ٣٣٠ .
العلاء بن ابي المغيرة ٣٠٧ .
علاقة بن كرشم الكلابي ٣٣٠ .
علقمة بن عبدة ١٩٦ .
علي بن ابراهيم التبريزي (٢٩٧) .
علي بن ابي شيبة ١٦٧ .
علي بن أحمد بن حزم (٢٧٢ — ٢٧٨) ، يتكرر .
علي بن اسماعيل بن سيده (٣٥١ — ٣٨٢) ، يتكرر .
علي بن ثابت ٦٣ ، ٦٥ .
علي بن حمزة الكسائي ٥٥ — ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٣ ، ٢١٩ ، ٢٩١ .
علي بن سليمان الاخفش ١٩٣ .
علي بن عبد العزيز ٦٥ ، ٧٤ ، ١١٠ .
علي بن محمد ٣٣٩ .
عمر بن ابي ربيعة ١٩٦ .
عمر بن عبد العزيز ١٦٦ .
عمر بن محمد المتوكل ٢٥٤ .
عمرو بن احمد الباهلي ١٩٥ .
عمرو بن بحر الجاحظ ٥٩ .
عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه ، يتكرر .
عمرو بن قميئة ٩٢ ، ١٩٦ .
عمرو بن كلثوم ٣١٠ .
عمير بن عمر ٥٤ .
عوف ٧٨ .
عيسى بن أيوب ٦٥
عيسى بن شذانق ٦٥
عيسى بن مزاحم ١٦٦ .
عيسى بن منصور ٣٨ .
العين : الخليل يتكرر .
عيون كتاب سيبويه : ابو نصر بن موسى النحوي ١١٣ .

غ

الغازي بن قيس ٤٨ ، ٥٣ ، ٥٦ .
غرناطة ٢١ ، ٢٣ ، ٣٠ ، ٢٥٤ ، ٣٠٠ .
غريب الحديث : ابن‌الانباري ١٩٣ .
غريب الحديث : ابن قتيبة ١٠٥ .
غريب الحديث : ابو عبيد ٦٤ ، ١٠٥ .

غريب الحديث : الخطابي ٢٩٧ .
غريب الحديث : عبد الملك بن حبيب ٧١ ، ١١١ .
غريب القرآن : ابن دريد ١٩٢ .
الغريب المصنف . ابو عبيد ،يتكرر .
الغزال الجياني ٢٤٤ .
غنية ٢١٩ .

ف

فاتن الحكمي (الخازن) ١١٢ .
الفاخر في الامثال : ابن سلمة ٣٣١ .
الفاطمية (الدولة) ١٠٦ .
الفتح بن خاقان ١٢٩ .
فحص البلوط ٤٠ .
الفراء ٥٦ ، ٦٣ ، ١٦٠ ، ١٧١ ، ٢١٩ .
الفرزدق ٩٢ .
الفرغاني ٢٦٥ .
الفرق : ابن السكيت ٩٢ .
الفرق : ثابت ٩٢ ، ١٠٩ ، ٢٣٧ ، ٢٨٣ .
الفرق : الزجاج ١٩٣ .
الفرق : السجستاني ١٠٨ ، ١٩٥ .
الفرنجة ٢٧ .
فرنسا ١٧ .
فصل المقال : البكري (٣٣٠ — ٣٣٣) ، يتكرر .
الفصوص : صاعد (٩٩ — ١٠٢) ، يتكرر .
الفصول والغايات : المعري ٣٠١ ،
فصيح ثعلب ٢٤٢ .
فعلت وأفعلت : الزجاج ١١٨ ، ١٩٣ ، ٢٠٨ ، ٢٤٢ ، ٢٤٥ .
فعلت وافعلت : السجستاني ١٠٨ ، ١٩٥ .
فعلت وافعلت : القالي ١١٤ ، ١١٨ ، ١٢٥ ، ٢٠٨ ، ٢٤٨ .
فقه اللغة : الثعالبي ٢٩٧ .
فقيم ٢٣٠ .
الفكر اليوناني الروماني ١٩ .
فلتن ٢١٤ ، ٢١٥ .
فهرسة ابن خير ٩٢ ، ١٧٠ .
فهرسة ابي الحسن الشاري ١٢٩ .
فهرسة ابي علي البغدادي ١١٤ ، ٢٠٩ .
الفيروزابادي ٣٨٢ .

ق

القائم بأمر الله ٢٩٨ .
قاسم بن اصبغ ٥٦ ، ٧٤ — ٧٨ ، ٨٤ ، ٩٠ ، ١٠٩ ، ١٢٤ ، ١٣٥ ، ١٥٦ ، ١٦٧ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ .
القاسم بن ثابت ٥٤ ، ٦٣ ، ٧١ — ٧٣ ، ٧٨ .
قاسم بن حمداد ٧٥ .
القاسم بن سلام ابو عبيد ،يتكرر .
قاسم بن محمد ٦٠ ، ٦١ .
قالي قلا ١٨٨ ، ١٨٩ .
قبرة ٢٣ .
القحطانيون ٢١ ، ٢٣ .
القراءات : ابو عبيد ٦٤ .
القراءات السبع : ابن مجاهد المقرىء ١٩٤ .
القرون الوسطى ١٩ .
قريش ٢١ .
قرطبة يتكرر .
قرمونة ٢٣ ، ٥٤ ، ٦٠ ، ٢٥٤ .
القسطنطينية ٨٢ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٢٠٢ .
قشتالة ٢٧ ، ٣٩ .
قضاعة ٢٣ .

القطامي ١٩٥ .
قطرب ١٠٨ ، ١٧١ ، ٢١٩، ٢٤٢ .
قطين ٢٦٣ .
القفطي ٩٥ ، ١٣٣ ، ١٨٩ ، ٢٠٧ .
القلب والابدال : ابن السكيت ٩٢ ، ٢٣٧ .
قلعة أيوب ٢٢ ، ٢٦٣ .
قلعة بني سعيد (يحصب) ٢٣ .
قلعة خولان ٢٣ .
قلعة رباح ٢٢ .
القلفاط ٥٣ .
قلنبيرة ٢٥ .
قورية ٢٥ .
القوط ١٧ ــ ١٩ ، ٢٦ .
قومس الاندلس ١٦٦ .
القيروان ٤٢ ، ٤٥ ، ٥٤ ، ٢٠١ ، ٢٩٥ ، ٢٩٨ .
قيس بن الخطيم ١٩٥ .
قيس عيلان ٢١ .
القيسيون ٢٢١ .

ك

الكافي في النحو : ابن الانباري ١٠٥ ، ١١١ ، ١٩٣ .
الكامل : المبرد ١٠٥ ، ١١١ ، ١٢٢، ٢٢٤ ، ٣٠٤ .
كتاب الأخفش ٧٣ .
كتاب اقليدس ٢٦٣ .
كتاب ديوسقوريدوس ٨٩ ، ٩٠ .
كتاب سيبويه يتكرر .
كتاب السيرافي ١٣٥ .
كتاب الكسائي ٥٨ .
كتاب هروشيوش ٨٩ ، ٩٠ ، ٢٧١ .
كثير عزة ١٩٥ .
كلاب ٢١ ، ٣٠٧ ، ٢٢١ .
كلب ٢١ ، ٣٠٧ .
كليب ٣٣٥ .
كنانة ٢١ .
الكنبيطور ٢٥٦ .
كندة ٢٣ .
الكوفة ٥٥ .
الكوفة (مدرسة) ٥٧ ، ١٣٢ ، ١٦٤ ، ١٧٢ ، ١٩٨ .

ل

اللآلي : البكري (٣٣٣ ــ ٣٣٧) ، يتكرر .
لاردة ٢٥ .
اللامات : ابن الانباري ١٩٣ .
لبلة ٢٢ ، ٢٣ ، ٤٨ ، ٢٥٤، ٣٢٧ .
لحن العامة : السجستاني ١٠٨ ، ١١٨ ، ١٤٩ ، ١٦٣ ، ١٩٥ .
لحن العوام : الزبيدي (١٤٦ ــ ١٦٥) ، يتكرر .
اللحياني ٩٢ ، ٢١٠ ، ٢١٩ ، ٣٣٠ .
لزاز ٢١٩ .
اللزوميات : المعري ٣٠١ .
اللغات : ابن دريد ١٩٢ .
اللغة : ابن اليسع ١١٦ .
لغة
الارغونية ٣٨ .
الاغريقية ٩٠ ، ٢٧٣ .
البربرية ٢٩ ، ٣٠ .
البلنسية ٣٨ .
الجرمانية ١٧ .
الحديث ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٣٧ ، ٣٩ .
الرومانية القديمة ٢٧ .
السريانية ٢٧٣ .
العامية العربية الاندلسية ٣٢ ، ٣٦ ، ٤٠ ــ ٤٢ .

العبرية ٢٦ ، ٣٠ ، ٢٧٣ .
عجمية الاندلس ٢٠ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٢ ــ ٣٩ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٤ .
العربية يتكرر .
القشتالية ٣٨ .
القوطية ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٦ .
الكتابة ٢٩ ــ ٣٣ ، ٤٥ .
اللاتينية ١٨ ، ١٩ ، ٣١ ــ ٣٣ ، ٣٥ ــ ٣٧ ، ٨٩ ، ٩٠ .
لاتينية عامية ١٧ ــ ٢٠ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٦ .
لفي بروفنسال ٢٥ ، ٢٧ ــ ٢٩ ، ٣٦ ، ٩٣ .
لقنت ٢٣ .
لقيط بن معمر الايادي ٣١٠ .

م

ما اسمك يا اخا العرب : ابن سيده (٣٢٢) ، ٣٥٩ .
ما سئل عنه لفظا : ابن دريد ١٩٢ .
ما ينصرف وما لا ينصرف : الزجاج ١٩٣ .
ماردة ٢٥ .
المازني ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٣ ، ٢٤٤ .
مالقة ٢٣ ، ٢٩٦ .
المأمون ٨٩ .
المأمون بن ذي النون ٣١٠ .
المبارك بن سعيد ابن الخشاب ٣٠١ .
مبارك العامري ٢٥٢ .
مبرمان ١٩٣ .
المبني والمعرب : اسحق بن الزيات ٣٢٣ .
متى بن يونس ٢٦٨ .
المتحف البريطاني ٢١٤ ، ٢١٦ .
المتناهي في اللغة : ابو بكر ٢٣٢ .
المتنبي ٣٠٠ ، ٣٠٥ ، ٣٢٦ .
المثقب ١٩٥ .
المثلث : قطرب ١٠٨ ، ٢٤٢ .
المثلث في اللغة : ابن السيد (٣١٨ ــ ٣٢٠) .
المجالس : ابن الانباري ١٩٣ .
مجاهد بن اصبغ ٧١ ، ١١١ .
مجاهد العامري ٢٥٢ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٧١ ، ٢٩٩ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ .
المجتمع الاسلامي ٢٨ .
المجتنى : ابن دريد ١٩٢ .
المجسطي : بطليموس ٢٧١ .
المحكم في اللغة : ابن سيده (٣٧١ ــ ٣٨٢) ، يتكرر .
محمد بن أبان بن سيد (٢٣٧) ، يتكرر .
محمد بن ابراهيم المصنوع ٢٠٧ ، (٢٣٨) .
محمد بن ابراهيم القرشي (٢٤٦) .
محمد بن ابي الازهر ١٩٣ ، ١٩٤ .
محمد بن ابي الحسين ٨٩ .
محمد بن ابي علاقة البواب ١٠٥ .
محمد بن أحمد ابن العطار (٢٤١) .
محمد بن أحمد العقيلي (٢٤٢) .
محمد بن أحمد بن عمير ٧٦ .
محمد بن أرقم ٤٨ .
محمد بن اسماعيل الحكيم ٥٣ ، ٧٦ ، ٧٧ .
محمد بن ايوب بن سليمان ٧٥ .
محمد بن الحاج ٣٣٨ .
محمد بن حبيب البصري ٢١٠ .
محمد بن حزم ٨٦ .
محمد بن الحسن ابن دريد، يتكرر.
محمد بن الحسن الحضرمي (٢٩٧).
محمد بن الحسن الزبيدي (١٢٣ ــ ١٦٥) ، يتكرر .
محمد بن حسين الفهري ٢١٣ ،

(٢١٧ — ٢٢٨) .
محمد بن حمدون الوراق ٧٥ .
محمد بن خزرج اللخمي (٢٤٥) .
محمد بن خزرون القائم ٢٥٥ .
محمد بن خطاب الازدي ١٠٧ ، (٢٤١) .
محمد بن زياد ابن الاعرابي ، يتكرر .
محمد بن زيد ٧٨ .
محمد بن السراج ١٩٣ .
محمد بن سعيد القشيري (٢٣٩) .
محمد بن شقير ١٩٣ .
محمد بن طرخان ٨٥ .
محمد بن عاصم العاصي (٢٣٩) .
محمد بن عبدالله ٥٣ ، ٥٦ .
محمد بن عبدالله الغازي ٥٦، ٧٦ .
محمد بن عبدالله بن القوق ١٦٧ .
محمد بن عبدالرحمن (الامير) ٣٥ .
محمد بن عبد الرحمن بن معمر ١٠٢ .
محمد بن عبد الرحمن المستكفي ٢٨٢ ، ٣٠٥ .
محمد بن عبد السلام الخشني ٥٦ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٣ — ٦٥ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٦ ، ٨٤ .
محمد بن عبد الملك التاريخي ١٩٤ .
محمد بن عبد الواحد التميمي (٢٩٨) .
محمد بن عبد الوهاب ١٦٧ .
محمد بن عطاء الله القرطبي (٢٤٠).
محمد بن علي بن الحسن ٧٥ .
محمد بن عمر ابن القوطية (١٦٥ — ١٨٦) ، يتكرر .
محمد بن عمر الجياني ٢١٣ ، ٢٣٧ .
محمد بن مسعود الخطيب ٧٥ .
محمد بن مسور ١٦٧ .
محمد بن معمر ابن أخت غانم ٢٦٢ .
محمد بن معن ٣٢٨ .
محمد بن المفيث ١٦٧ .
محمد بن المغيرة ٧١ .
محمد بن مفرج ٧٥ ، ١٠٥ .
محمد بن هشام بن عبد الجبار المهدي ٢٥٢ .
محمد بن هشام المصحفي ٢٩٩ .
محمد بن وسيم القيسي ٧٥ .
محمد بن وهب المسعري ٦٣، ٧١ .
محمد بن يزيد المبرد يتكرر .
محمد بن يحيى الرباحي يتكرر .
محمد بن يحيى الغافقي ٢٦٤ .
محمد بن يوسف الازرق ١٩٢ .
المخترع في النحو : الاعلم ٣١١ ، ٣٢٤ .
مختصر الزاهر : الزجاجي ١٢٩ .
مختصر سيرة ابن اسحق : ابن هشام ١٢٩ .
مختصر شرح ادب الكتاب : ابن القوطية ١٧٠ .
مختصر العين : الزبيدي ٨٨ ، ١١٤ ، ١٢٠ ، (١٢٩ — ١٣٠)، ٢٤٣ ، ٢٤٦ ، ٢٨٣ .
مختصر في النحو : الزجاج ١٩٣ .
مختصر لحن العوام : الزبيدي ١١٣ ، ١٤٦ ، ١٤٧ .
مختصر الواضحة : المفضل بن سلمة ١٢٩ .
المخصص في اللغة : ابن سيده (٣٦٠ — ٣٧١) .
المداخل في اللغة : المطرز ١٠٢ .
المدور ٢٥٤ .
المدينة ٢٢١ .
مدونة ٢٤ .
المذكر والمؤنث : ابن الانباري ١٩٣ ، ٢٨٣ .
المذهب الاشعري ٣٠٢ .
المذهب الظاهري ٢٧٢ .

المرابطون ٣٠ ، ٤٤ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ .
مرسيه ٢١ ، ٢٦٢ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ .
المرنز (في الموشح) ٣٩ .
مروان بن جناح ٢٧١ .
المروني ٥٤ .
المريه ٢٣ ، ١٠٧ ، ٢٥٣ ، ٢٦٢ ، ٢٦٦ ، ٣٢٨ .
مزاحمة بنت مزاحم الثعفي ٧٨ .
المزهر : السيوطي ١٢٩ ، ١٣١ .
المسائل المنثورة في النحو : ابن السيد ٢١٨ .
مسائل النحو : ابن العريف ١١٥ ، ١٢٠ .
المسائل والاجوبة : ابن السيد (٣٢٠ – ٣٢١) .
المسألة الرشيدة : الاعلم ٣١١ ، ٣٢٤ .
المسألة الزنبورية : الاعلم ٣١١ ، ٣٢٤ .
المسالمة (الاسالمة) ٢٧، ٣١ ، ٧٨ .
المستدرك : الزبيدي ١١٤ ، ١٣٠ ، ٢٤٦ .
المستعربون ١٩ ، ٢٧ .
مسلمة بن سعيد الانصاري ٢٦٥ .
المشرق يتكرر .
المشكل في معاني القرآن : ابن الانباري ١٩٣ .
المصادر : ابو زيد الانصاري ١٠٨ .
المصحفي (الحاجب) ١١١ .
مصر يتكرر .
المطرز ١٠٢ .
مطغرة ٢٤ .
المظفر : ابن الافطس ٢٦٦ .
المظفر بن الافطس ٢٦٦ .
المظفر بن المنصور العامري ١٠٧ ، ٢٤٢ ، ٢٥٢ .
معاذ بن عبدالله البلدي (٢٤٥) .
المعاني : ابن النحاس ١٠٥ .
معاني الشعر : ابن دريد ١٠٨ .
معاني الشعر : الباهلي ١٦٨ .
معاني القرآن : ابن قتيبة ٦٤ .
معاويه بن لب ٣٨ .
المعتضد بن عباد ٣١١ ، ٣٢٧ .
المعتمد بن عباد ٢٥٤ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ .
معجم ما استعجم : البكري ٣٣٠ .
المعز بن باديس ٢٩٥ ، ٢٩٨ .
المغرب يتكرر .
مفرج بن مالك البغل ٥٣ ، ٥٨ ، ٧٠ ، ٧٦ .
المفضل بن سلمة ١٢٩ ، ٣٣١ .
المفضليات : الضبي ١٢٥ ، ٢٤٦ .
مقاتل الفرسان : القالي ١١٤ ، ١٢٥ ، ١٩٨ ، ٢٠٨ ، ٢٤٦ .
مقبرة متعة ٢٠٣ .
المقتبس : ابن حيان ١٢٦ .
المقتبس : ابن دريد ١٩٢ .
المقتضب : ابوزيد الانصاري ١٠٨ .
المقصدر ٥٤ .
المقصور والممدود : ابن الانباري ١٠٨ ، ١٩٣ .
المقصور والممدود : ابن القوطية ١١٥ ، ١٧٠ .
المقصور والممدود : القالي ١١٤ ، ١١٨ ، ١٢١ ، ١٦٣ ، (٢٠٧ – ٢٠٨) ، ٢٣٣ ، ٢٨٣ .
مقصورة ابن دريد ١٢٥ ، ٢٤٦ .
المقنع : ابن محمد الطائي ٣١٤ .
المكتبة الأهلية بباريس ٢١٤ .
مكتبة الحكم ٨٣ – ٨٦ ، ٢٦٤ ، ٢٦٨ .
مكتبة العروشي ٢٦٧ .
مكتبة القاضي ابن فطيس ٢٦٤ .
مكناسة ٢٤ .

الملاحن : ابن دريد ١٠٨ ، ١٩٢ ، ١٩٥ ، ٢٤٢ .
منازجرد ١٨٧ — ١٨٩ ، ١٩١ .
مناكير النوادر والغريب : القزاز ٩٩ .
منزل طي ٢٣ .
منذر بن سعيد البلوطي ٥٦ ، ٦٣ ، ٨٨ ، ٢٠٣ .
المنذر بن عبد الرحمن المذاكرة ٥٣، ٦٦ .
منذر بن محمد (الامير) ٧٨ .
المنذر بن يحيى التجيبي ٢٥٤ .
المنصور بن أبي عامر (٩٢ — ١٠٣)، يتكرر .
المهلهل ٣٣٤ ، ٣٣٥ .
الموالي ٢٦ — ٢٨ ، ٧٨ .
الموجز : ابن السراج ٢٨٢ .
المؤدبون ٤٨ — ٥٤ .
موررور ٥٤ ، ٦٧ ، ٢٥٤ .
موسى بن ازهر ٦٦ .
موسى بن نصير ٢٠ ، ٢٢ ، ١٦٦ .
الموصل ٩٤ ، ١٩٠ ، ١٩١ .
الموضح في النحو : ابن الانباري ١٩٣ .
المولدون ٢٤ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٧٨ .
مؤمن بن سعيد ٥٠ .
مؤنس ، حسين ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٣١ ، ٣٢٧ ، ٣٢٩ .
موهب بن عبد القادر الباجي ٦٣ .
الميمني ٣٢٩ .
ميورقة ٢٦٣ .

ن

النابغة ٩٢ ، ١٩٥ .
النابغة الجعدي ١٩٦ .
الناسخ والمنسوخ : ابن النحاس ١٠٥ .
الناهج : ابن ابي الموتى ٣٢٣ .
النبات : ابن السكيت ٩٢ .
النبات : ابوحنيفة الدينوري ٢٠٩ .
النبات : ابو زيد الانصاري ١٠٨ .
النبات : البكري ٣٣٠ .
النحو : الاخفش ٢٤٤ .
النسب : الزبير بن بكار ١٩٤ .
نسب ابي علي البغدادي : الفهري ١٨٧ .
النسخ ٢٧٨ .
نصر الفتى ٣٤ .
النضر بن شميل ١٤٣ ، ٢١٩ ، ٣٦٦ .
نظام الاقطاع ١٨ .
النفح : المقري ٨٢ .
النقائض : ابن ولاد ٢٤٤ .
نقائض جرير والفرزدق ٩٢، ٢٣٧ .
نقض مسائل ابن شنبوذ : ابن الانباري ١٩٣ .
النكت في كتاب سيبويه : الاعلم ٣٢٤ .
نكل ٣٨ .
النمر بن قاسط ٢٢ .
نمير ٢١ ، ٢٢١ .
نهير الحمة ٢٢ .
نوادر ابن الاعرابي ٢٣٨ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٦٥ .
نوادر ابي زياد الكلابي ٩٢ ، ١٢٥ ، ١٩٥ .
نوادر ابي زيد الانصاري ١٠٨ .
نوادر الزجاج ١٩٣ .
نوادر علي بن عبد العزيز ١١٠ .
نوادر القالي يتكرر .
نوادر اللحياني ٩٢ .
النورمان ٢٩٥ .
النويري ٣٢٨ .

نيقولا الراهب ٩٠ .

هـ

هارون بن موسى النحوي ١١٢ ، (٢٤٣) ، ٢٩١ .
الهجاء : ابن الانباري ١٩٣ .
الهجفجف : صاعد ٩٤ .
هشام (حفيد عبد الرحمن الثالث) ٢٦٥ .
هشام بن الحكم المؤيد ٩٣ ، ١٠٧ ، ١٢٥ — ١٢٧ ، ٢٥٢ .
هشام بن عبد العزيز ٤٨ .
هشام بن عبد الملك ١٦٦ .
هشام بن محمد بن المصحفي ١٠١ .
هشام بن محمد المعتد بالله ٢٥٤ ، ٣٠٦ .
هشام بن الوليد الغافقي ٤٨ .
الهلالية ٢٩٥ .
الهمز : ابو زيد الانصاري ١٠٨ .
هوازن ٢١ .
هوارة ٢٤ .

و

وادي الحجارة ٢٢ ، ٢٥ .
الوادي الكبير ٢٥٣ .
الواضح في النحو : الزبيدي ١١٤ ، ١١٩ ، ١٣٣ ، ٢٤٦ ، ٢٨٢ .
الوافي بالوفيات : الصفدي ١٣٣ ، ٢٠٠ .
الوافي في أحكام القوافي : ابن سيده ٣٢٢ ، ٣٥٨ .
وبة بن غيطشة ١٦٥ .
الوحوش : السجستاني ١٠٨ ، ١٩٥ .
وشقة ٢٥ .
الوقف والابتداء : ابن الانباري ١٩٣ .
وقش ٣١٠ .
ولبة ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٣٢٧ .
الوليد بن عبد الملك (الخليفة) ٧٨ .
وهب بن نافع ٦٣ ، ٦٥ .

ي

يابرة ٣٢٣ .
ياقوت ١٣٣ ، ٢٠٣ ، ٢٠٩ ، ٢١٣ .
يحيى بن اسماعيل القادر ٢٥٤ .
يحيى بن زياد الفراء ٥٧ .
يحيى بن عبد الرحمن الابيض ٧٠ .
يحيى بن محمد بن صاعد ١٩١ .
يحيى المغيلي ٧٥ .
يزيد بن طلحة العبسي الفصيح ٦١ ، ٧٦ ، ٧٧ .
اليسع بن حزم ٣٥٤ .
يعقوب بن السكيت يتكرر .
اليمن ١٢٣ ، ١٦٢ .
اليمنية ٢١ ، ٢٣ .
اليهود ١٨ ، ٢٦ ، ٣٠ .
يوريك ١٧ .
يوسف البلوطي ٦٦ .
يوسف بن تاشفين ٢٥٤ ، ٢٥٦ .
يوسف بن سليمان الاعلم الشنتمري ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٣٠٣ ، (٣١٠ — ٣١١) ، ٣٢٣ .
يوسف بن فضالة ابو الحجاج (٢٤٧) .
يوسف بن ورمز (ربما كانت وزمر) (٢٤٦) .
يوسف بن يعقوب القاضي ١٩١ .
يونس ٢٣١ .

فهرست المحتويات

تمهيـد

الكتاب الأول : الحركة اللغوية بالاندلس حتى اواخر القرن الثالث الهجري

مقدمـة ١٧

١ ــ حالة المجتمع واللغة في العهد القوطي ١٧

٢ ــ الاجناس المختلفة في الاندلس بعد الفتح العربي ٢٠

٣ ــ حال اللغة بين هذه الاجناس المختلفة ٢٩

٤ ــ مقـام اللغة بين الاندلسيين ٤١

٥ ــ عوامل فعالة في تطور العناية باللغة في الاندلس ٤٥

الفصل الأول : بواكير الحركة اللغوية في الاندلس ٤٧

١ ــ نشوء طبقة المؤدبين اللغويين ٤٧

٢ ــ الرحلة ولقاء العلماء المشارقة ٥٤

٣ ــ رحلة لغويين مشارقة الى الاندلس ٥٨

٤ ــ هجرة الكتب المشرقية الى الاندلس ٦٢

٥ ــ النشاط الشفوي في ميدان اللغة ٦٥

٦ ــ حركة التأليف اللغوي حتى اواخر القرن الثالث ٦٩

٧ ــ اشهر المدرسين وتلامذتهم ٧٣

٨ ــ هل كان هذا النشاط اللغوي وقفا على العناصر العربية في الاندلس ٧٧

الكتاب الثاني : الحركة اللغوية بالاندلس في القرن الرابع الهجري

الفصل الثاني : عوامل النهضة اللغوية ومظاهرها في هذا القرن ٨١

١ ــ العوامل الجديدة ٨١

أ ـ تمهيـد	٨١
ب ـ جهود الحكم في النهضة اللغوية	٨٤
جـ ـ المنصور بن ابي عامر واثره في النهضة اللغوية	٩٢
٢ ـ العوامل التقليدية	١٠٣
أ ـ الرحلة الى المشرق	١٠٣
ب ـ التأديب والتدريس	١٠٧
٣ ـ المظاهر الكبرى	١٠٨
أ ـ ظهور الدارس اللغوي المتخصص	١٠٨
ب ـ المناظرات اللغوية	١١١
جـ ـ تنوع حركة التأليف واتساعها	١١٣
٤ ـ انصاف الاندلس في الميدان اللغوي	١٢٠
الفصل الثالث : أئمة اللغة ومؤلفاتهم في هذا القرن	١٢٣
أولا ـ ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي ومؤلفاته	١٢٣
الاستدراك على سيبويه	١٣٥
لحن العامة	١٤٦
ثانيا ـ ابن القوطية ومؤلفاته	١٦٥
الافعـال	١٧٠
ثالثا ـ ابو علي القالي ومؤلفاته	١٨٧
البارع	٢١٢
كتاب الأمالي	٢٢٣
تذييل على الفصل السابق	٢٣٥
الكتاب الثالث : الحركة اللغوية بالاندلس في القرن الخامس الهجري	
الفصل الرابع : العوامل المؤثرة في توجيه الحركة اللغوية في القرن الخامس	٢٥١
١ ـ صورة موجزة للاحوال السياسية في هذا العصر	٢٥١
٢ ـ العوامل الجديدة التي اثرت في الحركة اللغوية	٢٥٨

أ ـ الخصب اللغوي الذي اوجده القالي وتلامذته ٢٥٨
ب ـ تعدد المراكز الثقافية ٢٥٩
ج ـ الاهتمام بانشاء المكتبات ٢٦٤
د ـ التسامح النسبي ٢٦٧
٣ ـ الظاهرة النظرية في حياة اللغة ٢٧٢
أ ـ البحث في أصل اللغة ٢٧٢
ب ـ مشكلة الاشتقاق ٢٧٤
ج ـ بطلان العلل النحوية ٢٧٥
د ـ الصلة بين اللغة والشريعة ٢٧٥
٤ ـ صلة اللغة بالواقع العملي ٢٨٠
أ ـ وضع معلم اللغة ٢٨٠
ب ـ وضع اللغة بين العلوم الاخرى ٢٨٢
ج ـ صلة اللغة بالحياة العملية ٢٨٤
٥ ـ العوامل التقليدية واثرها في الحركة اللغوية ٢٩٥
أ ـ الهجرة الى الاندلس ٢٩٥
ب ـ الهجرة من الاندلس ٣٠١
ج ـ التدريس واشهر المدرسين ٣٠٢
الفصل الخامس : حركة التأليف اللغوي ووجهاته في هذا العصر ٣١٣
أولا ـ صورة عامة للمؤلفات ٣١٣
ثانيا ـ اتجاهان في التأليف كبيران ٣٢٦
(١) الاتجاه الى الشرح ٣٢٦
١ ـ ابو عبيد البكري وكتاباه : فصل المقال واللآلي ٣٢٦
أ ـ شيء من سيرة البكري ٣٢٦
ب ـ فصل المقال ٣٣٠
ج ـ اللآلي في شرح الامالي ٣٣٣
٢ ـ ابن السيد البطليوسي وكتاباه :

شرح السقط والاقتضاب ٣٣٧
أ ــ سيرة ابن السيد ٣٣٨
ب ــ شرح سقط الزند ٣٤٠
ج ــ الاقتضاب في شرح ادب الكتاب ٣٤٤
(٢) الاتجاه الى التأليف المعجمي ٣٥١
ابن سيده ومعجماه : المخصص والمحكم ٣٥١
أ ــ سيرة ابن سيده ٣٥١
ب ــ المخصص ٣٦٠
١ ــ الداعي الى التأليف ٣٦٠
٢ ــ منهج الكتاب ٣٦٣
٣ ــ خصائص كتاب المخصص ٣٦٧
ج ــ المحكم ٣٧١
١ ــ الداعي الى التأليف ٣٧١
٢ ــ منهج الكتاب ٣٧٣
٣ ــ مصادر الكتاب ٣٧٥
٤ ــ خصائص كتاب المحكم ٣٧٧
خاتمة ٣٨٣
مراجع الدراسة ٣٨٧
الفهرست ٤٠٣